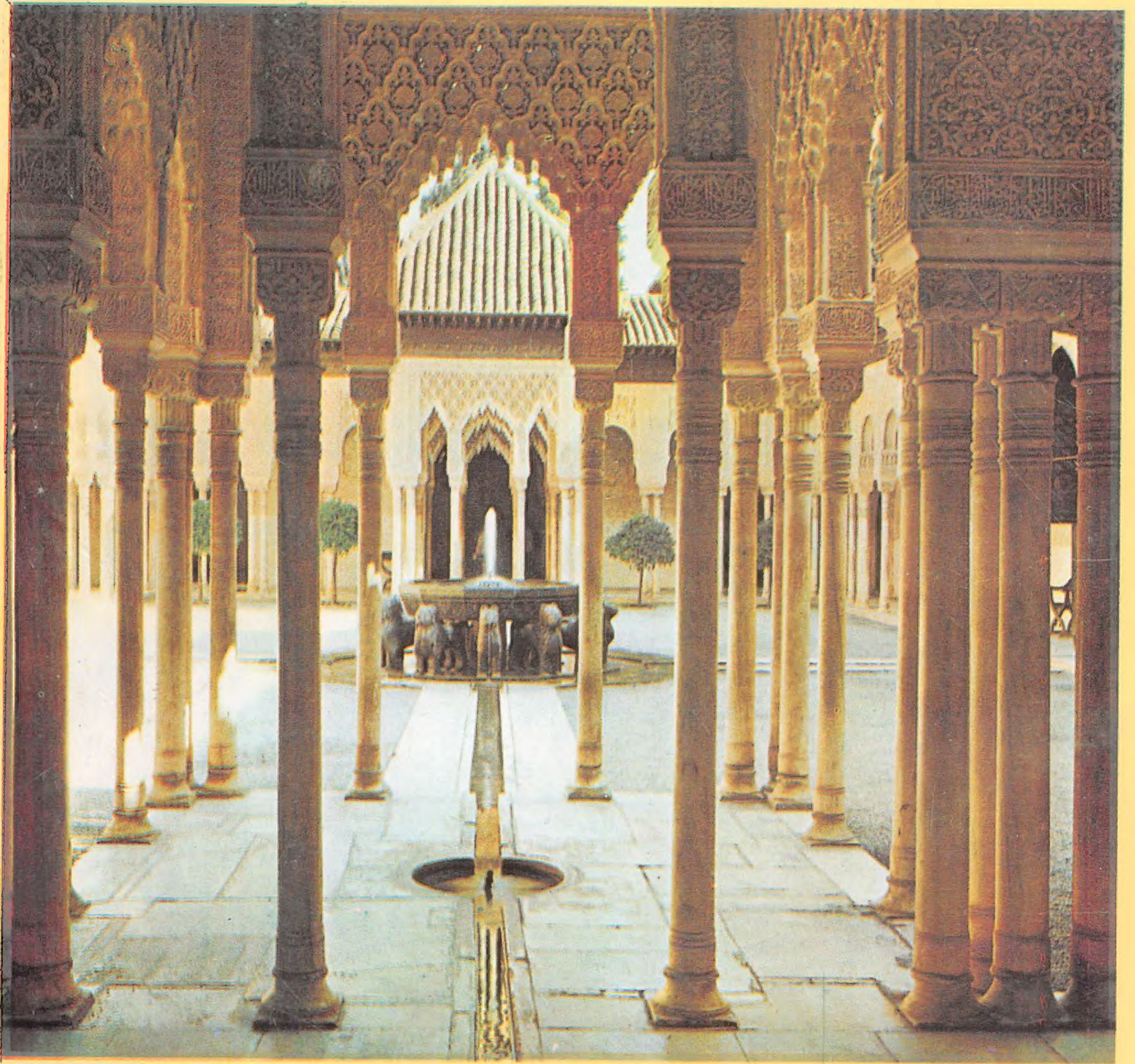


# المساجد والقصور في الأندلس



الناشر  
مؤسسة شباب الجامعة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ت ٤٩٣٩٤٧٢ إكسبريس

١٩٨٦

دكتور  
السيد عبد العزيز سالم  
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



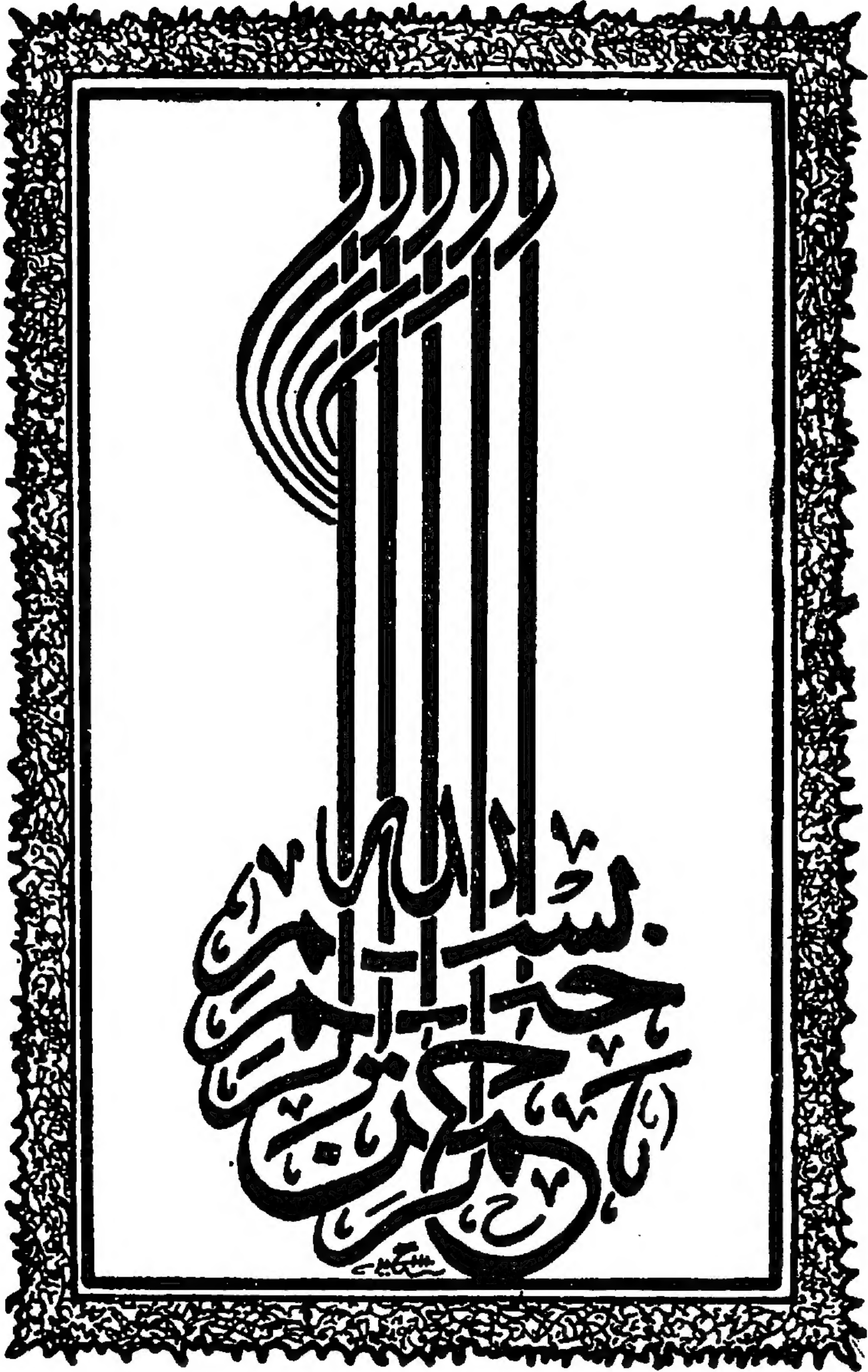
# المساجد والقصور في الأندلس

تأليف  
الدكتور السيد عبد العزيز بن سالم  
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٦

الناشر  
مكتبة كتابات والبحوث  
للطباعة والنشر والتوزيع  
٣٩٢٧٢ الإسكندرية





وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرْتُكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ  
«صَدَقَ اللَّهُ عَظِيمٌ»

## مقدمة

تختلف الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس اختلافاً بيناً عن غيرها من حضارات البلاد التي أخضعها الإسلام لسلطانه • وكان المغرب والأندلس يؤلفان جزءاً منفصلاً عن بقية العالم الإسلامي لبعدهما الشاسع وعزلتهما عنه نتيجة للانفصال السياسي الذي حدث على أثر سقوط الدولة الأموية بالمشرق وقيام الدولة العباسية • وقد استطاع عبد الرحمن الداخل ، أحد أمراء بني أمية بفضل ما أوتى من ألمعية أن يؤسس ملكاً بعد فنائه ، إذ اقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية الجند ، فضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم بقوة حيلته ، واستمال قلوب رعيته بحسن سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ، ملكاً على قطيعته ، قاهراً لأعدائه ، حامياً لذماره ، مانعاً لحوزته •

وما كاد عبد الرحمن الداخل يستقر بقرطبة ويستقيم أمره بها حتى بنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة • ومنذ ذلك العهد بدأ فن العمارة يتلمس طريقه في الأبنية الدينية والمدنية ، فقد عمد عبد الرحمن بن معاوية منذ أن استقام له الأمر الى تجديد ما طمس لبنى أمية بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها ، فشيّد الدور وأقام القصور • وكان بحكم بعده عن دمشق مسقط رأسه يحن الى أرضه حينئذ متواصلاً ، فأقام منية الرصافة شمالي قرطبة لنزهه وسكناه واتخذ بها قصراً حسناً ودحاً جناناً واسعة ونقل اليه غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وسماه باسم رصافة جده هشام • وتأثر في بنائه للمسجد الجامع بقرطبة بالجامع الأموي بدمشق •

ومنذ ذلك الحين نبت الفن الإسلامي بالأندلس وما لبث أن ترعرع في العصور التالية حتى وصل الى ذروة نضارته في عصر بني نصر ، ثم هاجر هذا الفن الى المغرب بعد أن طرد من بلاده التي ولد

فيها على أثر الاسترداد المسيحي وقدر له أن يقضى فيه البقية الباقية من حياته •

ومن الغريب حقاً أن نلمس بإسبانيا في الوقت الحاضر آثار التقاليد الإسلامية في جميع مظاهر الحياة العمرانية ، فما زالت تحتفظ منذ انتهاء دولة الإسلام بالأندلس بتراث هائل من هذه التقاليد ، وما زالت مدنها تحمل ذلك الطابع الإسلامي الذي عهد ملوك إسبانيا المسيحية المتحدة دون جدوى إلى محوه : كل ذلك بفضل الصبغة الإسلامية التي تأصلت طوال ثمانية قرون في كيان إسبانيا الاجتماعي والفكري والاقتصادي وبفضل الروائع المعمارية التي خلفها مسلمو الأندلس في مدنها وقراهم ومجاشرهم بعد أن حرموا من الحياة في وطنهم ومسقط رأسهم •

هذه العمارة الأندلسية تستحق منا الدراسة والاهتمام باعتبارها الآثار المادية القائمة التي تشهد بما أحرزته الحضارة الإسلامية في إسبانيا في العصور الوسطى من تفوق على سائر الحضارات الأوروبية •

الأسكندرية في يناير ١٩٨٦

السيد عبد العزيز سالم



## الفصل الأول

### المساجد

أولا : المسجد الجامع بقرطبة •

ثانيا : المساجد الأندلسية في عصر الدولة الاموية وعصر ملوك الطوائف

ثالثا : المسجد الجامع بقصبة اشبيلية •





## أولا — المسجد الجامع بقرطبة

لم يخلد أثر من الآثار الإسلامية في كتب التاريخ كما خلد المسجد الجامع بقرطبة ، فقد كتب عنه جميع مؤرخي العرب في المغرب والأندلس ووصفوه وصفاً دقيقاً فاق كل وصف ، ولولا أن هذا الأثر الجليل ما يزال قائماً حتى اليوم تشهد عناصره بصدق أقوالهم لكننا قد اعتبرنا هذه الأوصاف ضرباً من الخرافة أو نوعاً من المبالغة الخيالية . ولقد عظم أهل الأندلس هذا المسجد ، ويرجع ذلك التعظيم الى أن حنش بن عبد الله الصنعاني وأبا عبد الرحمن الحبلي التابعين توليا تأسيسه بأيديهما ، وقوما محرابه . واحتفظ الأمير عبد الرحمن الأوسط بالمحراب القديم في زيادته لبيت الصلاة (١) ، كما احتفظ المسجد الجامع في زيادته المتتابة باتجاه القبلة الذي حدده حنش الصنعاني . ومن مظاهر اجلال هذا الجامع ما نعتبه به مؤرخو العرب ، فقد سماه المراكشي بالجامع الأعظم (٢) . وكذلك أسماء ابن بشكوال (٣) وابن الخطيب (٤) ، ووصفه الإدريسي بقوله : « وفيها الجامع الذي ليس بمسجد المسلمين مثله بنية وتمنيقاً وطولاً وعرضاً (٥) » . وقال عبد المنعم الحميري : « وفيها المسجد الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره ، من أجل مصانع الدنيا كبر ساحة ، واحكام صنعة ، وجمال هيئة ، واتقان بنية ، تهتم به الخلفاء المروانيون فرادوا فيه زيادة بعد زيادة

---

(١) انظر الرسالة الشريفة في الاقطار الاندلسية للفساني ص ١١٦—١١٧

(٢) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقيق سعيد العريان ، القاهرة ١٩٤٩ ص ٣٧٢ — ٢٧٣ .

(٣) نفح الطيب للمقرئ ، طبعة محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ٩٩

(٤) ابن الخطيب : كتاب أعمال الاعلام ، نشره ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ ص ٤٣ ، ٤٨ .

(٥) الإدريسي : وصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب نزهة ايشناق تحقيق دوسيه لامار ، الجزائر ١٩٤٩ .



وتتمة أثر تتمة حتى بلغ الغاية فى الالتقان ، فصار يحار فيه الطرف،  
ويعجز عن حسنه الوصف (١) » •

وقد بلغ من اجلال أهل الأندلس وتعظيمهم لمسجدهم الجامع أن  
جعلوه مركزاً يحجون اليه ، وفى ذلك يقول ابن المثنى شاعر عبد الرحمن  
الأوسط من قصيدة :

بنيت لله خير بيت      يخرس عن وصفه الأنام  
حج اليه بكل أوب      كأنه المسجد الحرام  
كأن مخرابه ، اذا ما      حف به ، الركن والمقام (٢)

ويعتبر المسجد الجامع بقرطبة أروع أمثلة العمارة الإسلامية  
والمسيحية على السواء فى العصر الوسيط بفضل ما تضمنه من ابتكارات  
معمارية وثروات زخرفية ، وقد أنقذته هذه الجلائل من موجات  
التخريب التى تبعت الاسترداد القومى الأسباني ، وشملت العدد  
الأعظم من آثار الإسلام فى الأندلس • ويعد هذا المسجد العظيم الأثر  
الوحيد فى اسبانيا لعصر من أرقى العصور التى مرت عليها فى الوقت  
الذى كانت تنغمس فيه الدول الأوروبية الأخرى فى ظلمات الجهل  
والانحطاط ، كما أن بناءه يحتضن فى عناصره ذلك المجد الذى بلغه الفن  
الاسباني الأموى • ويمكننا أن نجزم القول بأن جميع التطورات التى  
أصابتها العمارة الإسلامية المغربية تعتمد فى أصلها على هذا المسجد ،  
لأنه يضم العناصر التى أخذت فى الظهور بعدئذ فى عهد ملوك الطوائف  
وفى عصر دولتى المرابطين والموحدين والتى بلغت ذروة تطورها فى

---

(١) الحميرى : كتاب الروض المعطار ، نشرة ليفى بروفنسال ، لندن  
١٩٣٨ ص ١٦٨ •

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ٣٢٥ — ٣٢٦ •



عصر دولة بنى نصر • وبغض النظر عن أهميته العظمى للفن الاسباني المغربى وما حمله من ثراء بفضل الصور الجديدة التى اتخذت منبعاً ترتوى منه فنون الاسلام فى المغرب فان المسجد الجامع بقرطبة أخذ يشع تأثيراته فى مجالات بعيدة فأدركت تأثيراته جنوبى فرنسا ، اذ نراه فى بعض آثارها (١) ، وأصاب هذا التأثير بعض عمائر المغرب (٢) ومصر (٣) •

لما افتتح المسلمون الأندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأى عمر بن الخطاب من مشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة يوحنا المعمدان بدمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً ، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التى كانت داخل مدينتها تحت انسور وهى الكنيسة المعروفة بسنت بنجنت St.vincent وابتنوا فى ذلك الشطر مسجداً جامعاً لهم أسس قبلته حنش الصنعانى وأبو عبد الرحمن الحبلى ، وبقي الشطر الآخر بأيدي النصارى ، وهدمت سائر الكنائس بحضرة قرطبة • وقنع المسلمون بما فى أيديهم الى أن كثروا وتزايدت عمارة قرطبة ونزل بها أمراء العرب من جند

(١) انظر مقالنا « اثر الفن الخلافى بقرطبة فى العمارة المسيحية باسبانيا » بالمجلة ، العدد ١٤ فبراير ١٩٥٨ ص ٧٣ — ٨٨ •

(٢) يبدو هذا التأثير القرطبى فى الطابع الذى اتخذه نظام بلاطات المساجد المغربية المتجهة عمودياً على جدار القبلة ، وفى عقود محاريبها ، وفى تعدد القباب على أسكوب المحراب ، وفى نظام المآذن ، وفى الصور التى اتخذتها العقود والقباب وفى الزخرفة الهندسية والنباتية • وقد بدأت التأثيرات القرطبية تغزو المغرب منذ عهد الادارسة بفاس • حيث أنشئوا جامع القرويين ، فان مؤذنته الحجرية التى مازالت قائمة فى وقتنا هذا والتى أضيفت اليه عام ٩٥٥ م تتوافر فيها صفات المؤذنة القرطبة التى أقامها الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل بجامع قرطبة انظر Terrasse فى كتابه L'art Hispano Mauresque ص ٢١٥ — ٢١٦

(٣) انظر مقالنا : بعض التأثيرات الاندلسية فى العمارة المصرية الاسلامية المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧ ص ٨٨ — ١٠٠ •



الشام في العهد الذي كانت تخضع فيه لخلافة بنى أمية بالمشرق ، فضاق عنهم ذلك المسجد ، وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة ، ليقيموا ظلاله يستكثرون بها حتى كان الناس يجدون في الوصول الى داخل المسجد الأعظم مشقة » لتلاصق تلك الشقائف وقصر أبوابها وتطامن شقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الأرض (١) ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الأمير عبد الرحمن ابن معاوية المرواني الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بالمشرق ، فاستولى على أمارتها ، وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدينت به ، فنظر في أمر الجامع ، وسامهم بيع مابقى بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه ، وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه ، فأبوا بيع ما بأيديهم ، وسئلوا بعد الجد بهم أن يباح لهم بناء كنيستهم التي هدمت بخارج المدينة ، وتعرف بشنت أجلاح خارج الأسوار (١) San Ascilo على أن يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طولبوا به ، فتم الامر على ذلك عام ١٦٨ — ١٦٩ هـ ( ٧٨٤ — ٧٨٥ م ) ، فابتنى عبد الرحمن الداخل المسجد الجامع ، وتم بناؤه وكملت بلاطاته ، واشتملت أسواره في سنة ١٧٠ هـ ( ٧٨٦ م ) .

وساهم أمراء بنى أمية فيما بين ٨٥٢ — ٨٨٦ م في الاضافة اليه أو تجديده وتجميله ثم زيد فيه بعد ذلك زيادات هامة . ويمكننا أن نحدد المراحل التي مر بها بناء المسجد الجامع بست مراحل : الأولى :

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٦ — ٩٧ ، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب ، ج ٢ نشرة كولان وليفى بروفنسال ، ليدن ١٩٥١ ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(١) فتح الاندلس Historia de la conquista deEspana تحقيق خواكين جنثالث Joaquin Gonzalez الجزائر ١٨٨٩ ص ٩ — ١٠ — وكذلك انظر مقالنا Al-Sayyid Salem : Cronologia de la Mezquita Mayor de Cordoba, Al-Andalus, fusc. II, 1954.



المسجد زمن عبد الرحمن الداخل والثانية في عهد الأمير هشام والثالثة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط والرابعة في عهد عبد الرحمن الناصر والخامسة في عهد الخليفة الحكم المستنصر والسادسة في عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر . وفى هذا العهد الأخير أخذ المسجد الجامع بقرطبة صورته النهائية .

### المرحلة الأولى :

كان نصف هذا المسجد الأول مسقفاً ونصفه الآخر صحناً للهواء وكان النصف المسقف أو بيت الصلاة يتميز باشتماله على تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة تمتد على اثنى عشر قوساً تقوم على عمد من الرخام ، سعة البلاط الأوسط منها ٧ر٨٥ م بينما تبلغ سعة كل بلاط من البلاطات الثمانية الأخرى ٦ر٨٦ م ، ويزيد البلاط الأوسط كذلك فى ارتفاعه عن سائر البلاطات . وسقف مسقفه كله كان يتألف من سماوات (١) خشب مسطحة ومسمرة فى جوائز سقفه فيها ضروب الصنائع والزخارف المنشأة من الضروب المسدسة والمؤربى وصنع الفص وصنع الدوائر والمداهن ، وكل سماء منها لا تشبه أختها بل كل سماء منها مكثفية بما فيها من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بألوان زاهية مختلفة . وتحت كل سماء منها أزار من الخشب منقوش بآيات قرآنية ، ولم يتبق من هذه الأسقف أى شىء (١) ، وكان يعلو هذه السقف هياكل هرمية تمتد على امتداد البلاطات .

وقد عقد بين العمود الرخامية على أعلى الرأس عقود متجاوزة تقوم مقام الأوتار الخشبية وتربط الأعمدة فيما بينها عقود أخرى

---

(١) أى لوحات خشبية مسطحة بين عوارض مربعة .

(١) استطاع العالم الاثرى فيلا سكيث بوسكو أن يعيد تركيب جزء من سقف البلاط الأوسط بالمسجد كما كان فى عهده الاول .

نصف أسطوانية تحمل الجدران التي تقام عليها السقف ، وتستند هذه العقود الأخيرة على أرجل من الحجر المنجور مما كان سبباً في ارتقاء السقف الى ثلاثة أضعاف ارتفاع الأعمدة •

وتستند الأرجل العليا على مساند تتألف من ثلاثة أو أربعة فصوص متراكبة الواحد فوق الآخر •

ويتناوب في جميع العقود العليا والدنيا اللون الأصفر الشاحب واللون الأحمر نتيجة لتناوب الحجارة والآجر بحيث يتألف من هذا التعاقب سنجة حجرية وثلاثة صفوف متلاحمة من الآجر الأحمر تؤلف سنجة أخرى ، واكتسب المسجد بذلك مظهراً زخرفياً بسيطاً وفي ذلك تأثيراً بالفن البيزنطي والفن اللومباردي الرومانى • ويتألف العمود من رأس رخامى وبدن وقاعدة رخامين ، وكان بعض هذه القواعد مدفوناً في أرضية المسجد والبعض الآخر ظاهراً فوق مستوى سطحها على نحو غير مستقيم • وجميع أعمدة هذا المسجد الأول وتيجانه قديمة أو قوطية تمثل أنواعاً ساذجة ، وقد أعاد المسلمون استخدامها من الكنائس المهدمة • وتشبه هذه التيجان نظائرها الرومانية في طالقة (١) •

ويتوج الجدران خارج بيت الصلاة أفريز من الشرفات المثلثة المسننة وتسندها دعائم قوية لا وظيفة لها في الحق سوى إضفاء صفة القلاع على المسجد ، مادامت صفوف العقود ترتكز مباشرة على جدار القبلة •

وحين يتخذ المرء طريقه داخل بيت الصلاة ماراً بين الأعمدة التي تحمل العقود ، توحى إليه هذه العقود المتكررة المحمولة على عمد

---

(١) طالقة مدينة شرقى اشبيلية كانت مزدهرة أيام الرومان وقد أجريت بها حفائر أثرية أسفرت عن اكتشاف كثير من الابنية الاثرية •



بالطبيعة الحية تحت ظلال في لون الشفق بحيث تمثل غابة من النخيل ،  
وينبعث من ضوء الصحن الذي يغشى البصر ضوء شاحب كما يتسلل  
من شبكات النوافذ الخارجية خيوط رفيعة من النور لا تفي باضاءة  
مسقف المسجد ولكنها تعمل على احداث تأثير قوى ناشئ من ظلام  
خفيف يستثير الرهبة ، وهنا يستشعر المرء نفسه بعيداً عن نطاق  
الحقيقة ، ويظل مستغرقاً مهيباً للتطلع الى ما وراء الحس في صلاة  
خاشعة مؤدياً لله فرضه ، مقراً لعبوديته حياله ، ولاسبيل الى أن يكون  
الخلق المعمارى أكثر كمالاً مما يوحى به هذا المثل الدينى في بساطته  
وتجرده .

وعهد عبد الرحمن الداخل الى عبد الله صمصعة بن سلام (توفى  
في ١٩٢ هـ) صاحب الصلاة بالمسجد بفرش صحن المسجد الجامع  
بالأشجار . وأتبع خلفاء المسلمين وأمرأؤهم بعد ذلك هذه التقاليد .  
ويذكر ابن بطوطة أن في صحن جامع مالقة أشجار النارنج البديعة  
ويغلب على الظن أن هذا كان سبباً في تسمية الاسبان لصحن المساجد  
بأبهاء النارنج Patio delos Naranjos ويذكر منتزر الرحالة الألماني  
الذى زار الأندلس عام ١٩٨٤ أن جامع المرية كان مغروساً بأشجار  
النارنج وكذلك كان شأن جامع وادي آش وجامع ابن عدبس باشبيلية  
وجامع القصبة باشبيلية وجامع البيازين بغرناطة وغيرها . . .

ونلاحظ أن عناصر بناء المسجد الجامع بقرطبة في مرحلته الأولى  
تشف عن أصالة وابتكار في ابتداع النظام المزدوج للعقود وفي تناوب  
الآجر والحجارة بسنجات العقود وفي اتخاذ المساند الملفوفة . وليست  
ازدواج العقود فكرة زخرفية فحسب بل ان لها غاية معمارية ، لرفع  
سقف الجامع الى ثلاثة أمثاله وذلك لانقاذ الهواء والضوء الى قبلته ،  
وخاصة أن نظام القباب لم يكن قد استخدم بعد في مساجد الاسلام .  
وقد أرجع مؤرخو الفن الاسلامى الاسبانى أصل هذا الابتداع الى  
عقود الجسور الرومانية وحاولوا مقارنة نظام العقود المزدوجة بجامع

قرطبة واندماجها في الأرجل بعقود الجسر الرومانى بماردة المعروف بجسر المعجزات (de aos Milagros) ، إلا أن عقود جسر ماردة متخذة من الآجر بينما تتعاقب في الدعائم مع الكتل الحجرية في توافق وانسجام . هذا الى أن وظيفة العقود بجامع قرطبة وحجمها يختلفان اختلافاً بيناً عنها في جسر ماردة . وفي اعتقادنا أنه لا صلة بين قرطبة وماردة وأن عقود قرطبة عقود ابتكرها مهندسو هذا الجامع وأملت شكلها عناصر البناء وموارده التي كانت في متناول يديه وخاصة الأعمدة القصيرة التي جمعها من الكنائس المهدمة .

### المرحلة الثانية :

أنفق عبد الرحمن الداخل على بناء مسجده مبالغ طائلة فبلغ انفاقه ما يزيد على ثمانين ألف مثقال وقيل مائة ألف ، ويغلب على الظن أنه أرجأ بناء صومعة المسجد الى ما بعد زخرفته فان هذا البناء الرائع بما ظهر فيه من مظاهر الابداع والابتكار لا يمكن أن يكون قد استغرق عاماً واحداً كما يقول المؤرخون . ففنع الأمير عبد الرحمن بأحد أبراج انقصر المجاور للمسجد من جهته الغربية ليقوم مقام صومعة الجامع حتى يتهيأ له بناؤها فيما بعد ، ولكن الموت أدركه قبل اتمام المسجد فأكماله ابنه هشام من بعده ( ٧٨٨ — ٧٩٦ ) من خمس فيء أربونة ، وذلك بأن زاد فيه صومعة بلغ ارتفاعها أربعين ذراعاً الى موضع الأذان أى ما يقرب من عشرين متراً ، وبنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء وأمر ببناء الميضاة بشرقى الجامع ، وأقام الجامع على هيئته تلك الى أيام عبد الرحمن بن الحكم . وقد اهتمدى دون فيليث هرنانديث مهندس الجامع الى الموضع الذى كانت تقوم عليه الصومعة وأجرى فيه حفائر أثرية أسفرت عن كشف أساس قاعدتها المربعة وطولها ستة أمتار .



**المرحلة الثالثة:** يتم زرع الفلفل في جدران البيت الزجاجي.

ولى عبد الرحمن بن الحكم الأمانة بعد أبيه ( ٨٢٢ - ٨٥٢ ) ،  
 وكان شاعراً أديباً بعيد الهمّة والغيات ، وهو أول من اتخذ رسوم  
 الخلافة وأبهرتها ، رتب الدواوين ، وجمل القصور وأجرى إليها المياه ،  
 وشيد الرصيف بسقائفة وساقيته ، وأسس المساجد الجامعة في جميع  
 أنحاء أسبانيا ، وأنشأ دار الطراز ، ونظم أعماله وأنشأ دار السكة  
 بقرطبة . وعلى الجملة رفع من شأن مملكته وجعل من قرطبة عاصمة  
 جديرة بالخلافة .

وفي عهده تكاثرت الناس بقرطبة وانتابوها من كل أوب حتى ضاق عنهم بيت صلاتها وكانت بلاطات المسجد الأقدم تسعاً فأنشأ عبد الرحمن الأوسط حفافيهما من ابتدائها شرقاً وغرباً بلاطين زائدين عليها ممتدين معها سنة ٨٣٤ فأكمل عدد بلاطات المسجد أحد عشر بلاطاً استوسع به المسجد ورفعه عن حاضريه ، ووصل هذين البلاطين في سقيفتين ووصلتهما بالسقائف التي كانت معدة بجوف المسجد الأقدم لصلاة النساء عقد كل سقيفة منها على ١٩ سارية (١) ، وأبتنى الأمير عبد الرحمن في مؤخر الصحن سقيفة جوفية نظمها بالسقيفتين اللتين ابتناهما حفافيهما بشارقيه وغربييه .

وفي سنة ٨٤٨ زاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم في بيت الصلاة  
أول زيادة أجريت فيه وهي الزيادة الأولى البارزة من بين البنية الأولى  
التي ابتدأها أبو جده عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس  
ورسم أن يكون ذلك من قبل قبلته في الفضاء ما بينها وبين باب المدينة  
الراكب للقنطرة بحيث تكون محدودة من الأرجل الحجرية الضخام

Very truly and respectfully,  
Your obedient servant,  
John A. B. [Signature]

(١) السارية هي عمود من الرخام وجمعها سوارى ومنها عمود السوارى  
تالانكدرية.

المائلة اليوم في وسط أبهاء المسجد والمتخلفة من جدار محراب جامع عبد الرحمن الأول إلى آخر المسجد في منتهى المحراب الثانى ، وجمع فاخر الآلات لبنائه واستكثر من عدد حذاق الفعلة لاحكامه ووكل ببنائه أكبر فتيانه الخصبين الأثريين لديه نصراً وصاحبه مسروراً رغبة في ايشاك التمام مع احكام الصنعة ، وأشرف له على ذلك أيضاً محمد بن زياد قاضى قرطبة وصاحب الصلاة بها . ويبلغ طول زيادة عبد الرحمن ٥٠ ذراعاً وعرضها مائة وخمسين وعدد سوارىها ثمانين ساريه . اذ مد عبد الرحمن المصفوف العشرة للعقود التى تؤلف احدى عشر بلاطاً على ثمانى مجموعات من العقود بحيث بلغ عمق هذه الزيادة جوفاً ٢٦ متراً .

ولا تختلف هذه الزيادة في نظامها وعناصرها المعمارية عن بيت الصلاة الأقدم الا في المساند الملفوفة التى تثبت منها العقود بالطابق الأدنى اذ تقتصر على بروز محدب . والعمد في هذه الزيادة تعوزها قواعد وكلها منقولة من أبنية قديمة وكذلك شأن تيجانها فيما عدا بعض التيجان الإسلامية نخص بالذكر منها الأعمدة الأربعة التى كانت تلتصق بعضادتى المحراب الثانى ، الذى هدم عند زيادة الحكم للجامع . وقد احتفظ الحكم المستنصر بهذه الأعمدة في محرابه القائم في وقتنا هذا .

وفتح في بيت الصلاة بابان في جانبى المسجد الشرقى والغربى تبقى منها البابان الغربيان : باب سان استيان ( باب الوزراء ) وباب دى لوس ديانييس ( باب الأمير ) في حين هدم البابان الآخران عند زيادة المنصور لبيت الصلاة من جهته الشرقية على النحو الذى سنشرحه فيما بعد .

وأخص ما يميز زيادة عبد الرحمن الأوسط هي أن مساند العقود السفلى تتخذ حلية محدبة الشكل تعتبر أول صورة للمساند الملفوفة التى أخذت منذ ذلك الوقت في التطور والتعقيد الى أن أصبحت مؤلفة من ثلاثة فصوص زمن الأمير محمد الذى رمم عقود بيت الصلاة



بمسجد عبد الرحمن الأول ، فأزاح عللها وبالع في اتقانها وأعادها الى أول نشأتها . وتطورت هذه اللقائف في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم بلغت أقصى مراحل تطورها زمن الحكم المستنصر ، فازدوجت وأصبحت زخرفية بحتة .

مات الأمير عبد الرحمن الأوسط وقد بقى عليه في هذه الزيادة بقايا يسيرة من تنجيد وزخرفة أتمها ابنة الأمير محمد سنة ٢٤١ هـ فاستوفيت الكمال في أيامه اذ استوعب طروز المسجد وأوثق أبوابه وأقام المقصورة فيه عام ٢٥٠ هـ وكان أول من اتخذها هنالك من خلفاء بني أمية . ويعتقد باب سان استيبان نقش كوفى يشهد بهذا الاصلاح نصه « يسملة . . . أمر الأمير أكرمه الله محمد بن عبد الرحمن ببنيان ما حكم به من هذا المسجد واتقانه رجاء ثواب الله عليه وقهره به » فتم ذلك . . . في سنة احدى وأربعين ومائتين على بركة الله وعونه . مسرور و [ نصر فتيان ] .

ثم زاد الأمير المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في الجامع ووضع فيه الأموال الموقفة لغياب المسلمين ، وأمر بتجديد السقاية واصلاح السقائف . ويعلب على الظن أن بيت المال هذا كان يشبه بيت المال بجامع دمشق الذي ما يزال قائماً حتى اليوم وكذلك « قبلة الخزانة » بجامع حماة وحمص ومنبج المقامة في وسط الصحن . ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد ساباطاً معقوداً على حنايا ، أوصل به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب ثم أمر بستارة من آخر هذا الساباط الى أن أوصلها بالمحراب ، وفتح الى المقصورة باباً كان يخرج منه الى الصلاة فلا يراه أحد في تحيئه ولا انصرافه ولا يتكلف له مؤونة قيام ولا ارضاد خروج . فكان أول من اتخذ من خلفاء بني أمية بالأندلس ، فاتبع سبيله فيه كل من جاء بعده منهم .

المرحلة الرابعة :  
كانت الصومعة القديمة التي بناها هشام قد تصدعت ، وكان بيت

الصلاة بعد زيادة عبد الرحمن الأوسط قد ازداد عمقا ، وأصبح الضحن ضيقا ، يتناسق واتساع الجامع . وكان في مقدور الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يرمم المئذنة لولا أنه رأى صغرها بالنسبة للمسجد الجامع بعد إضافته واتساعه ، فأمر سنة ٣٤٠ ( ٩٥٠ م ) ببناء صومعة أخرى عظيمة تتفق وجلال الخلافة ، فجمع لها عرقاء المهندسين وأحضر لها الحجارة الضخمة على عجل ، وشرع الخليفة في بنائها بعد أن هدم الميوسب الشمالي للمسجد في نفس الوقت الذي هدم فيه صومعة هشام ، ومد السقيفتين الجانبيتين شرقي وغربي الضحن وأوصل طرفيهما الشماليين بسقيفة شمالية ، بحيث أحدث ما يشبه فناء الكتابس تحيط به البروائك من جهاته الأربع . وقد حفر أساسها حتى بلغ الماء ، وأتم بناء الصومعة الجديدة في ثلاثة عشر شهرا ، وكانت الصومعة الاولى ذات مطلع واحد فصير الناصر الصومعته مطلعين ، وفصل بينهما بالبناء فلا يلتقي الراقون فيها الا بأعلاها . وكان لكل مطلع منها مائة وسبع أذراج ، ونصب في أعلى الصومعة سفودا ركت فيه ثلاث تقافيح تغطي النواظر بشعاعها وتخطف الأبصار ببريقها : السفلى والعليا مفروغتان من الذهب والوسطى من الفضة ، وفوق كل تقاحة منها سوسانة مسدسة من الذهب المحض ، وكان ارتفاع كل تقاحة ثلاثة أذرع ونصف . وكان طول كل جانب من قاعدتها المربعة ٨٤٨ م وكان نظام بنائها على أساس كتلتين من الحجارة موضوعتين بعرضهما بين كتلة طويلة طولها ١٥٠ × ٧٠ م . والواقع أن الجزء الداخلي من المئذنة لا يعدو أن يكون ازدواجا لمئذنة هشام . وقد أثار هذا الابتكار إعجاب مؤرخي العرب فعبروا عن هذا الإعجاب في مدوناتهم التاريخية ، وسبب ذلك انقسام المئذنة الى قسمين مستقلين يفضلهما جدار مشترك ويوحدهما



سطح علوى ، وتدور المراقى فى كل جزء منهما حول دعامة مركزية ، ولكل منها باب ، واحد يطل على الصحن والآخر يقضى الى الطريق الخارجى .

ولقد أصيبت هذه المئذنة عام ١٥٨٩ بأضرار فادحة على أثر زلزال عنيف أحدث شقاً فى بيت المؤذن وجزءاً من الصومعة نفسها ، وأذنت الصومعة بالانهيار فعمد المهندس القرطبى هرنان رويث بين عامى ١٥٩٣ - ١٦٥٣ الى ملأ الفراغ الداخلى بالبناء وأحاط الجدران الخارجية بغلاف من الحجارة لتقوية القاعدة حتى يتيسر لها حمل الجسم العلوى الذى توجه به وهو جسم من نفس أسلوب الجزء العلوى الذى يتوج الخيراندا باشبيليه . وقد استطاع مهندس جامع قرطبة دون فيليث هرنانديث أن يكشف عن جدران الصومعة الإسلامية كما كانت فى العهد الإسلامى ، وهو التصميم الفريد الذى نشهد فيه نظام الدرج المزدوج الذى حدثنا عنه الأدريسى وابن عذارى وابن بشكوال . ولم يتبق من المئذنة سوى جزء ارتفاعه ٢٢ متراً بينما حفظ من الدعيمتين المركزيتين ما يبلغ ٢٦ متراً . وكانت أسقف الادراج تتألف من قبوات صغيرة مربعة متعارضة متصلة فيما بينها ولكنها تتدرج فى الارتفاع كلما ارتفعنا ، وكان يفصل بين كل مجموعة والأخرى عقود متجاوزة بارزة ، وكانت القبوات مخصصة مدهونة باللونين الأبيض والأحمر تزينها زخارف هندسية .

وكان الجدار المطل على بيت الصلاة يزدان بثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة فى حين كانت تزدان الجدران الأخرى بصفين من نوافذ ثلاثية الفتحات تحيطها عقود متجاوزة . وكان يغلو جدران الصومعة أفريز من عقود صماء قائمة على عمد صغيرة ، ويكلل الصومعة شرفات مسننة . وقد استطاع العالم الأثرى دون فيليث هرنانديث بفضل أبحاثه فى المئذنة أن يهتدى الى نوافذ ، عقودها متجاوزة للغاية،

يزنيها في محيطاتها شريط بارز • وتسنيج (١) هذه العقود كامل يشمع  
من مركز يقع على خط مناكبها ويحيط بسنجاتها التي يتعاقب فيها اللون  
الأحمر والأبيض فصوص •

وقد اتخذت مئذنة الناصر فيما بعد أنموذجاً للمآذن الأندلسية  
المغربية ، وكانت على حد قول ابن بشكوال : « لا تعدلها صومعة  
أخرى » ، وكانت ترفع في أعلاها الشموع عند الاحتفال بليلة القدر ،  
وفي ذلك يقول أبو محمد إبراهيم ابن صاحب الصلاة الولبني :  
« والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود ، وعرضت عليها عرض  
الجنود ليجتلى ظلاقة روائها القريب والبعيد ويستوى في هداية  
ضياؤها الشقى والسعيد ، وقد قويل منها مبيض بمحمر وعورض  
مخضر بمصفر ، تضحك ببكائها ، وتبكي بضحكها ، وتهلك بحياتها  
وتحيى بهلكها » •

ولم تقتصر أعمال عبد الرحمن الناصر على هذا الحد بل تجاوزته  
الى أعمال الإصلاح والترميم • فقد كان جدار واجهة بيت الصلاة قد  
تصدع بسبب الدفع المستمر الذي تقوم به العقود ، فقام بترميمه ،  
وبنى واجهة أخرى ملتصقة بالجدار القديم ، وأصلح باب سان استيان  
وأقام عليه ظلة تتكىء على مساند ملفوفة من نفس مساند واجهة بيت  
الصلاة • وعلى هذه الواجهة بجوار المدخل الى البلاط الأوسط نقش  
تاريخي فيه « بسملة ... أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين  
الناصر لدين الله أطل الله بقاء بنيان هذا الوجه واحكام اتقانه تعظيماً  
لشعائر الله ومحافظة على حرم بيوته التي أذن أن ترفع ويذكر فيها  
اسمه ، ولما دعا على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر مع بقاء

---

(١) تسنيج من سنجة وجمعها سنجات • والسنجات هي الكتل الحجرية  
التي يتألف منها العقد المقوس في البناء •



شرف الأثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلثمائة على يدى مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن أيوب .

### المرحلة الخامسة :

اهتم الخليفة الحكم المستنصر منذ خلافته بتوسيع بيت الصلاة بعد أن ضاق بمصلية ، إذ اتسع نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها ، فعهد إلى حاجبه جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي بالنظر في سوق الضخور ، ورسم على أن تكون الزيادة بمد جميع البلاطات جنوباً على اثني عشر عقداً ، وأقام على مدخل البلاط الأوسط من هذه الزيادة قبة كبرى مخرمة يبدو أن الغرض منها كان لادخال الضوء كما أقام قبة أخرى عليه في أسطوان المحراب الجديد عام ٣٥٤ هـ وأحاط هذه القبة الأخيرة بقبتين جانبيتين تؤلّفان معها ما يشبه المجاز في الكنائس . وقد قلّد مهندس الحكم في نظام هذه الزيادة نظام المسجد الجامع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس ، ففيهما نلحظ نظام البلاط الأوسط الذي تعلو مدخله قبة البهو ( ويعادلها درجاته تسع مركباً من ست وثلاثين ألف وصلة مصنوعة من أكارم الخشب . وجملة القول أن زيادة الحكم زودت الجامع بتناسقه وإيقاع أجزائه وعظمته وذلك بإقامته المقصورة وتبويبها بثلاث قباب وتوسط المحراب واجهة المقصورة بحيث يكتنفه عقدان متمثلان الأيمن به مشرع يؤدي إلى الساباط والأيسر يفضى إلى مخزن الجامع .

القباب : قباب جامع قرطبة قوامها هيكل من الضلوع المتقاطعة فيما بينها بحيث تؤلف أشكالاً نجمية تقوم في وسطها قبيبة مفصصة ، وقد كسيت هذه الضلوع من أعلاها بالبناء وطبقت فيما بين الضلوع زخارف جميلة ، وسقفت من أعلى بالقراميد . وقد بحث كثير من مؤرخي الفنون الإسلامية في أصل القباب ذات الضلوع المتقاطعة والنظرية السائدة هي

القائلة بأنه مشرقى ، وليس هناك مجال للشك في أن قباب جامع قرطبة  
 هو يقصد بها القباب الأولى ذات الضلوع التي ظهرت في المغرب الإسلامي  
 كانت ابتكاراً ابتدعه مهندس الخليفة الحكم المستنصر ، فكان قباب أثيبط  
 أو أخبط التي يعتقد أنها الأصل الذي احتذته قباب قرطبة ترجع إلى  
 عصر متأخر كثيراً عن قباب قرطبة إذ أنها ترجع إلى سنة ١١٩٣ م في  
 حين لا تتجاوز قباب قرطبة القرن العاشر . وكذلك ترجع قبوات الضلوع  
 بجامع أصفهان الكبير إلى القرن الحادي عشر وتعرض نظاماً أولياً  
 للضلوع المتقاطعة تشبه إلى حد ما القباب القرطبية ، ولا يمكن مع ذلك  
 أن تكون قد اتخذت أنموذجاً لقباب قرطبة ، ويعتقد الأستاذ لامير بحق  
 أن أصول قباب قرطبة وقبوات أرمينية لا بد أن تكون واحدة ، وأنها قد  
 تكون في إحدى المقاطعات البيزنطية أو الساسانية بآسيا ، واستطاع  
 أن يلاحظ التشبه القوي بين قباب جامع قرطبة وقبة الحراب بجامع  
 الزيتونة بتونس على الرغم من أن ضلوعها المشعة من مركز القبة لم  
 تصل بعد إلى المرحلة التي تتفصل فيها عن غطاء القبة ، وإن كانت في  
 الوقت نفسه أكثر بروزاً من ضلوع قبة الحراب بجامع القيروان .

وتتمتاز قبة الضوء ، أو القبة المخرومة الكبرى على حد تسميته ابن  
 النظام لها ، بتعدد نوافذها ، إذ يبلغ عددها ست عشرة نافذة ، أربع  
 في كل جانب من جوانب قاعدتها ، عقودها يتجاوب فيها المتجاوز وذو  
 القصوص الثلاثة ، ووظيفة هذه القبة اتقاد الضوء إلى بيت للصلاة  
 فسبح .

وقد انتقل نظام التقبيب القائم على تقاطع الضلوع من قرطبة  
 إلى طليطلة وفقراته ومثالي في صور مختلفة بمسجد جامع بمرافوم ، ومن  
 نقيبه ما يمثل شيكلاً رباعياً مشرفاً ذاتاً بقطار بحيث يبدو كأنه قبوتان من  
 الطراز القوطي أحدهما داخل الأخرى ومنها ما يبدو على شكل مثنى ،  
 ومنها ما يقلد تقاطع القبة المخرومة الكبرى بجامع قرطبة . ثم انتشر  
 استعمال القباب ذات الضلوع منذ ذلك الحين انتشاراً كبيراً يشهد به



ذلك العدد الهائل الذي غراه في الكنائس المسيحية بطليطلة ، مثل قبة مصلى بيلين في دير سانتافي وقبة مسجد الدباغين « لاس تورنيرياس » وكانت قبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسطة قائمة على الضلوع ، وظل استخدامها كذلك حتى ظهرت القباب المقرنصة في عهد دولتي المرابطين والموحدين . ومن قباب قرطبة وطليطلة انطلقت التأثيرات وتغلغلت في العمارة الرومانية الأسبانية والفرنسية ، فطغت على نظام التقريب المصلب في المزان بقشتالة وقبوة مصلى توريس دل ريو بنافاره وبرج دير مونساك وقبوة أولورون وأوسبيتال سان بليز بفرنسا .

بالعقود المفصصة والمتشابكة في شراع استخدام العقد الثلاثي الفصوص « تسمى صناعة القوط » في زيادة الحكم المستنصر ، وركبت عليها « نحور مستديرة ناتئة بينها ضروب صناعات الفص بالمعرة » ، بحيث تألفت شبكة من العقود وقد أدت هذه الفكرة إلى ابتداء نظام معماري معقد ، فان تشابك العقود كان من شأنه أن يضيف على البناء روحاً من الجمال والوثاقة في آن واحد ، فأقيمت قباب الجامع على شبكات من هذه العقود المفصصة والمتداخلة ، وبذلك ضمن توزيع الضغط على سائر الأركان بعد أن ارتبطت أجزاء العقود فيما بينها .

المحراب : يعد محراب جامع قرطبة أجمل ما فيه ، فقد اهتم به مهندس الحكم باعتباره أنبل مكان بالجامع وهو الذي يحدد اتجاه القبلة ، والذي أقيمت القباب على اسكوبه وبلاطه ، « فقوسه أحكم تقويس ووشمه بمثل الطواويس حتى كأنه بالجرة مقرطق وبقوس قرح ممنطق ، وكان اللازورد حول وشومه وبين رسومه تنقف من قوادم الحمام أو كسفت من ظلك العمام » .

ويعلو على واجهته سبع عقود ثلاثية الفصوص مزججة دقيقة التكوين والمزخرفة يعلوها إفريزان بين بحرئين من الفسيفساء المذهب على أرض الزجاج الملازوردي ، وتحت هذه العقود إفريزان آخران على

رأس المحراب خصة من الرخام مشبوكة محفورة منمقة تشبه القوقعة المقلوبة . ويؤزر المحراب من واجهته لوحتان جانبيتان من الرخام ، خفرت فيهما توريقات وتشجيرات غاية في الروعة والجمال .

**السياباط :** وأقام الحكم المستنصر مشرعاً الى مصلاه بالمسجد أوصله بسياباط يربط بين المسجد والقصر المجاور . ويبلغ عرض السياباط أربعة أمتار ونصف ، ويمتد بطول جدار القبلة ويتألف من طابقين الأدنى تقطعه جوفه المحراب والأعلى يمتد من أول الجدار الى آخره ، وينقسم الى خمس غرف متصلة على جانبي المحراب بحيث تتفق وعدد بلاطات الجامع ، ويفصل بين هذه الغرف ثمانية أبواب . وتعلو هذه الغرف المتصلة في الطابق الأدنى قبوات نصف أسطوانية .

وعلى عقد المشرع الى السياباط نقش كوفي نصه : « الملك لله على الهدى وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أمر الامام المستنصر بالله عبد الله أمير المؤمنين وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذا المشرع الى مصلاه فتم بعون الله بنظر محمد بن تميم وأحمد بن نصر وخالد بن هاشم ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب الحمد لله » .

### المرحلة السادسة والأخيرة :

وفي سنة ٣٧٧ هـ شرع المنصور في زيادته بالجامع وذلك بإضافة ثمانى بلاطات على طوله كله من جهته الشرقية عندما زاد عدد السكان بقرطبة على أثر وفود قبائل البربر من العدوة وإفريقية ، وحين ضاق المسجد الجامع عن حمل مصليه . وكان السبب في اختياره للجهة الشرقية ، اتصال الجانب الغربى بقصر الخلافة واقتراب الجهة الجنوبية التى اعتاد خلفاء بنى أمية الزيادة منها من نهر الوادى الكبير . وقصد ابن أبى عامر في هذه الزيادة المجالعة فى الاتقان والثاقة دون الزخرفة ،



ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم • ولتحقيق هذه الزيادة نزع ملكية الدور المجاورة للجامع من جهته الشرقية وعوض أصحابها منها بالمال والعقار • ودام العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفاً وخدم فيه بنفسه • وذكر ابن يشكوال أنه أحضر أعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها للمساهمة في البناء ، وذكر الشقندى في رسالته أن زيادة ابن أبى عامر من تراب نقله النصارى على رؤوسهم مما هدم من كنائس بلادهم • كما ذكر أيضاً أن ثريات الجامع من نواقيس النصارى • ويغلب على أن المنصور أحضرها من كنيسة شنت ياقب بكومبوستيلا في غزوته الثانية والأربعين لجليقية عام ٣٨٧ هـ ، إذ هدم جيشه مصانع المدينة وأسوارها وكنيستها وعفى آثارها ، « ووكّل المنصور بقبر ياقب متن يحفظه ويدفع الأذى عنه ، وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تكن بالأمس » •

ولم ينس المسيحيون عمله هذا فظلت ذكراه عالقة بأذهانهم حتى إذا ما فتح فرنادو الثالث قرطبة ، أمر المسلمين بدوره بحمل نواقيس شنت ياقب الى كومبوستيلا على ظهورهم •

أصبح للمسجد بعد زيادة المنصور تسعة عشر بلاطاً ، ولذلك فقد المسجد تناسقه وتعادل أجزائه ، إذ أصبح بلاط المحراب الذى كان يؤلف مجور بيت الصلاة لتوسطه له متطرفاً • وفتح المنصور في الجدار الشرقى لبيت صلاة المسجد ثغرات واسعة تصل بين الزيادة الجديدة وبيت الصلاة القديم وتخلف عن ذلك صف كبير من الدعائم المطولة وبقايا الأبواب الشرقية لزيادة الحكم • وفتح المنصور ثمانية أبواب في الجدار الشرقى للمسجد بصورته النهائية وهو نفس عدد الأبواب النافذة الى بيت الصلاة في الجدار الغربى فأصبح لبيت الصلاة ستة عشر باباً ، يضاف إليها بابان جانبيان ينفذان الى المصحن ، وثلاثية أبواب في الجدار الشمالى • وجميع هذه الأبواب ملبسة بالنحاس

الأصفر مخزومة تخرجها عجيباً بديعاً يعجز البشر ويظهرهم ، توفي كل  
باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة .  
تحويل المسجد إلى كاتدرائية

ظل المسجد بعد زيادة النصور على صورته تلك بقية عهد الحكم  
الإسلامي فلم يضاف إليه أي إضافة إذا استثنينا أعمال التجديد التي  
قام بها المرابطون والموحدون . ولما سقطت قرطبة على يدي فرناندو  
الثالث عام ١٢٣٦ نصر الأسقف دي أوسما المسجد تحت اسم العذراء ،  
فسمى بكنيسة سانتاماريا الكبرى . ومنذ ذلك الجين أخذ مظهر الجامع  
يتحول شيئاً فشيئاً إلى صورته الحاضرة . وفي سنة ١٣٧١ أقام ملك  
قشتالة دون إنريكي الثاني المصلي الملكي المعروف بمصلي سان فرناندو  
بجوار قبة الضوء في إضافة الحكم . وقد غطيت جدران هذا المصلي  
بزخارف مدججة محفورة في الجص لا تختلف في شيء عن زخارف قصر  
الحمراء والقصر باشبيلية ، ثم أقيمت عليه قبوة مقرنصة تتقاطع فيها  
الضلوع البارزة على مثال ضلوع قباب المسجد ، ويعتقد العالم الأثري  
دون ليوبولدو توريس بلباس أن هذه القبوة تشبه إحدى قباب جامع  
القصبة باشبيلية الذي اندثر منذ أمد بعيد . وينسب إلى هذا الملك  
الزخارف المدججة في الباب الرئيسي للمسجد ، المعروف بباب العفران .

ولملاحظ أن الأندلسيين أظهروا حتى هذا العهد احتراماً كبيراً للجامع  
رغم تحويله إلى كنيسة وقنعوا بتغيير ما يكفي لإقامة شعائر دينهم ،  
ولكن منذ القرن الخامس عشر أخذت بعض التغييرات الأساسية تشيخه  
سبباً المسجد ، ففي سنة ١٤٨٩ هدم الأسقف مانريكو عشبود  
وأعمدة البلاطات الخمسة الممتدة طويلاً من ماضي فيلا فيسبوسنا حتى  
تجدار الجامع الغربي . وأبسن جدارين بطولين رغبة في عمل مجاز  
يغطيه سقف خشبي قائم على عقود قوطية . وفي سنة ١٥٢٣ شرع  
الأسقف دون ألونسو مانريكو في هدم جزء كبير من زيادة عبد الرحمن



الأوتيسط والمنصور لإقامة كاتدرائية قوطية الطراز في قلب الجامع . وعارض المجلس البندى بقرطبة وبعض أعيانها في هذا المشروع الذي كان من شأنه هدم الوحدة المعمارية لأثر من أجمل آثار العالم ، وعرض الأمر على شارل كان فوافق على هدم ما يلزم لبناء الكنيسة دون معاقبة الجامع . ولما مر بقرطبة عام ١٥٢٤ بمناسبة زواجه في اشبيلية بدنيا أيزابيلا البرتغالية ورأى الجامع أخذ يمتع بصره بجماله وشاهد بيت الصلاة معروضا بغابة من النخيل النباتي قوامها أعمدة لا يدركها البصر ، تقوم عليها عقود تعلوها عقود أخرى مما يولد احساسا بالطبيعة الحية ، ورأى أعمال التخریب تألم وقال موجها كلامه إلى فراى خزان أسقف طليطلة والتي أعضاء المجلس الكنسي عبارته المشهورة : « لو كنت قد علمت ما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يمس البناء القديم لان ما بنيتوه موجود في كل مكان وما هدمتموه فريد في العالم » .

## ثانياً — أهم المساجد الأندلسية الأخرى

المسجد الأموي الجامع بـ **اشبيلية** :  
 بناه القاضى عمر بن عبد بن سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩/٨٣٠ م) بأمر الأمين عبد الرحمن الأوتيسط . وفي المتحف الاهلى الآثار بمدينة اشبيلية بدهج عمود من الارحام الرمادى ارتفاعه ٣١٧ م وقطره ٤٢ م فيه نقش كوفى قديم حفروا حفراً أشبه شئ يحز السكين نصه : « يرحم الله عيه الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهتدى الأمر بينيان هذا المسجد على يدى عمر بن عبد بن قاضى اشبيلية في سنة أربع عشرة ومئتين وكتب عبد البر بن هرون » وقد قرأ نفس هذا النقش ابن صاحب الصلاة مؤرخ دولة الموحدين ، مع تحريف بسيط في مدونته عن اشبيلية في عهد الموحدين ، وذكر أنه « وجد في السارية التى في البلاط الثانى

من جهة الشرق المقابل لمحراب جامع العدبس « ويعتبر هذا النص على حد قول توريس بلباس أقدم نقش عربى معروف فى اسبانيا •

ويذكر الحميرى صاحب الروض المعطار أن بيت الصلاة يشتمل على احدى عشرة بلاطة تتجه عمودياً على جدار القبلة ، وفى هذا يشبه جامع قرطبة بعد الزيادة الأولى لعبد الرحمن الأوسط ، ويغلب على الظن أن البلاط الأوسط كان أكثر ارتفاعاً من بقية البلاطات ، وقد ذكر ذلك المؤرخ الاشبيلى تيرادو دى ألدانا عند وصفه الجامع قبل هدمه • وكانت مؤذنة الجامع تستند على الجدار الشمالى للجامع بحيث تبرز عنه • ويذكر توريس بلباس أن طول جدار القبلة كان يروح ما بين ٤٨ ، ٥٠ م ولم يكن المسجد مربعاً بل مستطيلاً يزيد طوله قليلاً عن عرضه • وكان صحنه المعروف اليوم « بصحن البرتقال » مفروشاً زمن المؤرخ الاشبيلى مورجادو فى نهاية القرن السادس عشر بأشجار النازنج ، وكانت تتوسطه خصة (١) من الرخام تتبثق منها نافورة •

وظل المسجد منذ بنائه على حالته دون أى زيادة ، ثم أصيب عام ٤٧٢ هـ ( ١٠٧٩ ) بزلزال هدم الجزء الأعلى من الصومعة فرمما المعتمد بن عباد فى شهر واحد كما تشهد على ذلك اللوحة التاريخية التى اكتشفت فى الجزء الأدنى من الجدار الجنوبى للمؤذنة • ويغلب على الظن أن بناء المسجد قد تأثر بهذا الزلزال ، وكان قد ضاق عن حمل المصلين الذين كثر عددهم باشبيلية فى عهد المرابطين والموحدين • ولعل ذلك كان السبب فى حمل الخليفة أبى يوسف يعقوب الى بناء مسجد جامع كبير يتسع لحشود المصلين • ومنذ شيد جامع الموحدين ارتفعت الخطبة من جامع عمر بن عدبس سنة ٥٧٠ هـ ( ١١٧٤ ) وأزيل منبره من موضعة ثم اندرج ذكره على مر الايام • الا أنه أعيد الى القيام

---

(١) حوض قاعدته منصبة على شكل نصف برتقالة •

بوظيفته في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور اذ رفع اليه المريد أبو العباس المري تقريراً على ما وصلت اليه حالة جامع ابن عديس من تصدع ذكره فيه : « أن جامع اشبيلية القديم قد اختل واعتل من داخله وخارجه ، وأن جوائز المسقف منه قد عفت أطرافها الثابتة على بلاطاته في الحيطان ، وأن حيطانه من جهته الغربية قد مالت ويخاف على الجامع الهدم » .

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة تأثر بذلك وأنه « أشفق لذلك وأمر البنائين والفعلة من أهل الصنائع بتلافيه ، فحضر العرفاء له ، وأدخلوا تحت أطراف الجوائز ركائن وكعوباً من الخشب وطبقوا عليها بألواح الخشب حتى قويت أصول الجوائز المذكورة وبنوا له أبراجاً من الحجر العادي من جهة حائطه الغربي وقاية له من الميل المري فيه من الاندفاع وتكون له أنفع انتفاع وسطحوا صحنه بالآجر المحكوك الحسن الصنعة ، وتابعوا أقواسه بالحبس والجيار ، وكشفوا عن سقفه وبنوا ما وهى منها حتى ظهر للعيان الصلاح في أحواله وجميع أعماله ، وكان هذا النظر الفاضل من أمير المؤمنين رضي الله عنه في شهر جمادى الأولى من عام اثنين وتسعين وخمسمائة » ( ٣ مايو سنة ١١٩٥ ) ومنذ اصلاحه أعيدت اليه الصلاة . ولما سقطت اشبيلية على يد فرناندو القديس تحول المسجد الى كنيسة تحت اسم سان سلفادور . ثم أصيبت المتذنة في ٢٤ أغسطس ١٣٥٦ على أثر زلزال عنيف هدم جزءها العلوى . ثم أقيم طابق النواقيس بعد هذا بقليل . ثم هدم المسجد بأكمله في ١٦٧١ فيما عدا المتذنة ، ووضع حجر الأساس في الكنيسة الجديدة ودام بناؤها حتى ١٧١٢ . وقد تغير مظهر الصحن في القرن السابع عشر عنه في العهد الاسلامي ، وكل ما تبقى من المسجد لا يعدو الجزء الأدنى من البرج حتى ارتفاع ٩٥٠ م . وطريقة بناء هذا الجزء تشبه نظام بناء قصبة ماردة التي شيدها الأمير عبد الرحمن الأوسط . وقد عثر بين أحجار هذا الجزء على لوحة رخامية كبيرة عليها



نقوش كتابية لاتينية تشهد بأن أحجار المئذنة الإسلامية من أبنية رومانية سابقة يجلب على الظن أنها من أحجار السور الروماني بالمدينة. وفي داخل الصومعة يدور درج حلزوني عرضه ٨٠ سم حول جسم أسطواناني ضخم. ويمثل هذا النظام برج سلان حيوان وسنقياجو بقرطبة، ونهما يرجعان إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط كما يشبه الجزء الأدنى من مئذنة ابن طولون الحجرية التي يعتقد أنها من بناء السلطان لاجين في مطلع القرن الرابع عشر. ويعتقد العالم الاثري السنيور توريسين يلباين أن أصل الأبراج الاندلسية مأخوذ من معمودية جابيا بغرناطة.

### المسجد الجامع بتطيلة:

أقام هذا المسجد الأمير موسى بن موسى عامل تطيلة وزعيم بني قسي في الثغر الأعلى وكان قد استقل استقلالاً جزئياً بهذه المنطقة، وهو الذي زاد في المسجد الأبيض بقرطبة عام ٨٥٦، وقد فتح روترون كونت مدينة البرش مدينة تطيلة فجاء عام ١١١٤ بعد أن شرع في ذلك ألفونسو المحارب، وبقي روترون سيداً على المدينة بعد أن عقد عهداً مع سكانها المسلمين في أن يقيمهم حولاً كاملاً أحراراً في شؤونهم وفي دورهم وفي استخدامهم للمسجد الجامع، ثم حول المسجد بعد ذلك إلى كنيسة، فأقيمت بها الشعائر المسيحية باسم ماريّة العظمى، وفي احتفال خاص حضره عدد من الأساقفة. ثم أقيمت به في النصف الثاني من القرن الثاني عشر كاتدرائية. وقد عثر في أثناء أعمال الإصلاح التي أجريت بها أخيراً على بقايا عناصر معمارية تتعلق بالمسجد الجامع، ومع أن هذه البقايا قليلة للغاية إلا أن قيمتها كثيرة لأنها تضيء بعض المشكلات التي أحاطت بالفن الإسلامي في المنطقة المعروفة بالثغر الأعلى، وكنا لانعرف منه حتى وقتنا هذا شيئاً إلا عن طريق بقايا قصر الجعفرية بقرطبة. ولكن بقايا جامع تطيلة بعيدة عنه كل البعد إذ تعبر عن فن يمتاز بروعته ويفوق بعظمته الفن القرطبي المعاصر له.

وكل ما عثر عليه منه عدة مساند ذات لفائف وعقود مزدوجة على شكل خدوة الفرس ، وتيجان مزودة بتوريقات تعد غاية في الروعة والجمال ، ولوحة من الحجر أثبه ما تكون بعضادة الباب بها زخارف هندسية قائمة على خطوط معقوفة تتفق والأسلوب الكلاسيكي ، وشرفات مبنية من المرمر • وتزدان المساند المشار إليها ، وتتبع النظام القرطبي على نحو أكثر تطوراً ، بأربع أو خمس لفائف مصفوفة في قوس مقعر تكسوها توريقات نباتية محفورة حفراً مائلاً يتوسط سيقانها شдох وتتألف من أوراق ووريدات وفق الأسلوب البيزنطي •

جامع باب مردوم بطليظة ( كنيسة الكريستودي لالوث ) أطلق هذا الاسم على المسجد الذي أقيمت عليه كنيسة الكريستودي لالوث نسبة إلى باب مجاوز له مازال قائماً كان يعرف بالباب المردوم • وكل ما تعرفه عن هذا المسجد نقش تاريخي يعلو الواجهة ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديد من ماله ابتغاء ثواب الله ، فتم بعون الله على يدى موسى بن على البناء وسعادة • فتم في المحرم سنة تسعين وثلاثمائة » ( ديسمبر ٩٩٩ — يناير ١٠٠٠ م ) • ويؤلف هذه الكتابة قطع من الآجر بارزة على سطح البناء في أفريز يقع بين صفين من الأسنة البارزة • والمسجد صغير لا يتجاوز طول الجانب منه ثمانية أمتار مشيد من حجر الجرانيت والآجر • وكان مسجداً ثانوياً بالمدينة حول إلى كنيسة بعد استرداد طليظة بقليل ، ثم أطلق عليه اسم سانتا كروث ووهبه ألفونسو الثامن لأحدى الجمعيات الدينية ثم أضيف إليه بعد ذلك من جانبه الشمالى الشرقى رأس على هيئة حنية على الطراز المدجن •

ونظام البناء يشبه نظام الكنائس البيزنطية إذ أن تصميمه يتخذ شكل الصليب الاغريقى المدرج في مربع يتوسطه أسطوان تعلوه قبة من حولها ثمانية أساطين مقببة • ويعتقد الأستاذ لامبير أن البناء في

مجموعة يشبه الكنيسة الكارولنجية بجرميتى دى برى على أننا نرى أنه إذا كان المسجد يقترب فى تخطيطه من النظام المصلب فليس هذا ناشئاً عن تقليد للكنائس البيزنطية أو كما يزعمون من أن هذا المسجد كان كنيسة قوطية ، وإنما هو ناشئ من الفكرة التطورية أد الاهتمام القوى بالتناسق والاحترام الشديد للمحراب ، فإن جدران المسجد أقيمت خصيصاً لبناء مسجد يتجه نحو الجنوب الشرقى •

ويتألف المسجد من تسع أساطين تقسمها أربعة أعمدة تيجانها قوطية قديمة ، وتقوم عليها اثنا عشر عقداً متجاوزة • وتتفتح فى الشمال الشرقى للمسجد ثلاثة عقود متجاوزة تفضى الى البهو تعلوها ستة عقود متجاوزة يتناوب فى سنجاتها اللونان الأبيض والأحمر نتيجة لتعاقب قوالب الحجر والآجر على نفس نظام عقود المسجد الجامع بقرطبة • ويحيط بكل عقد منها عقد زخرفى مثلث الفصوص • وقد تعرضت هذه الواجهة لاصلاحات كثيرة ، أما الواجهة الجنوبية الغربية وهى الرئيسية فتطل على الطريق المؤدى الى الباب المردوم بثلاثة عقود أخرى فى أعلاها النقش الذى أشرنا اليه ويتفق أسلوبه والتقاليد العراقية الفارسية • والعقد الأوسط مجدد أما العقدان الجانبيان له فأحدهما وهو الأيمن متجاوز على نظام عقود المسجد الجامع بقرطبة والأيسر مفصص • ويعلو العقود الثلاثة عقود متجاوزة وتتقاطع هذه العقود فيما بينها مرتكزة على سبعة مساند بارزة • ويعلو هذا الصف من العقود افريز تشغله شبكة مخرمة من المعينات تتألف من قطع الآجر الموضوعة جانبياً • ونظام التقبيب به قائم على تقاطع الضلوع المتجاوزة فى صور مختلفة ، منها ما يمثل شكلاً رباعياً منحرفاً ذا أقطار بحيث يبدو كأنه قبوتان من الطراز القوطى ، أحدهما داخل الأخرى ، ومنها ما يبدو على شكل مثنى ، ومنها ما يقلد تقاطع القبة المخرمة الكبرى بجامع قرطبة •



وعقد القبوة التي تتقدم المحراب ثلاثية الفصوص • وكلما تعرض  
تطوراً رائعاً لقباب جامع قرطبة ، والفارق بينهما أن قباب بطليطة تصور  
اتجاهاً أكثر نحو الزخرفة وفن الهندسة وهما ما أولع بهما أهل  
الأندلس • فلم يفكروا فيما يمكن أن تؤدي إليه هذه الابتكارات من  
ثورة هائلة في فن العمارة كما فكر فيها فنانون العمارة القوطية الذين  
أفادوا من هذه الفكرة • وزخارف المسجد الخارجية تذكرنا بزخارف  
المسجد الجامع بقرطبة في زيادة الحكم المستنصر سواء في تناوب  
الألوان أو في شكل العقود •

### المسجد الجامع بالمرية :

لم تتبع آثار كثيرة للمساجد في عهد ملوك الطوائف فقد اختفى  
العدد الأعظم منها مثل المسجد الجامع بغرناطة الذي بنى ما بين  
١٠١٦ - ١٠٣٧ • وكل ما تبقى من مساجد هذا العصر لا يعدو بقاياها  
قليلة ، منها مئذنة جامع المرابطين المعروفة اليوم باسم برج سبان  
خوسى بغرناطة وبقايا مصلى قصر الجعفرية بمرقسطة وبقايا مسجد  
القناطير بقادس •

ويعتقد العالم الأثرى توريس بلباس أن هذا الجامع قد شيد بعد  
زيادة الحكم المستنصر لجامع قرطبة بسنوات قليلة ، وأنه كان يتألف  
من خمس بلاطات ومحراب تخطيطه مربع ( طول ضلعه ١٩٠ متراً ) ،  
تعلوه قبة مربعة ما زالت قائمة حتى يومنا هذا • وكان نظام البناء  
في جدار المحراب الذي تبقى من المسجد يخضع للنظام القرطبي  
المعروف ، وقوامه تناوب حجرين موضوعين عرضاً مع حجر موضوع  
طولاً ، وتبنى هذا النظام في أعمال عبد الرحمن الناصر بجامع قرطبة  
٩١٢ - ٩٦١ وزيادة الحكم المستنصر ( ٩٦١ - ٩٧٦ ) • ونظام المحراب  
المربع ظهر في جامع الباب المردوم بطليطة ومسجد القناطير في بورتو  
دي سانتا مرية • وأغلب الظن أن هذا الجامع قد بنى في السنوات

الأخيرة من القرن العاشر • أما القبوة المفصصة فنراها فيما يزين الفراغ الواقع بين ضلوع قباب المسجد الجامع بقرطبة •

ثم أضاف خيران العامري ( ٤٠٣ — ٤١٩ / ١٠١٢ — ١٠٢٠ ) الذي ولاه المنصور بن أبي عامر المريّة ، البلاطين الجانبيين وكانا أكثر من البلاطات الأخرى اتساعاً كما كان الحال في جامع قرطبة • ويمكن بسبب الزخرفة الأولى بالمحراب الى هذا العصر • وتتميز هذه الزخرفة بالعقود المدببة الصماء بالأقسام الوسطى • ونرى مثل هذا التخطيط في زيادتي الحكم المستنصر والمنصور بجامع قرطبة • أما المحارات التي تعلو جوفات الأركان المكشوفة فيمكن مقارنتها بتلك المحارات التي نشاهدها في جامع قرطبة •

وينسب الى هذا الجامع الأول بضعة مساند ذات لفائف أو فصوص تشبه مساند واجهة الصحن بجامع قرطبة التي بناها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٦ هـ • ويشف أسلوب القطع المزينة بالزخارف النباتية عن تطور الأسلوب التوريقات الذي نراه بزيادة المنصور ، ويمكن تأريخها في القرن الحادي عشر ، وتبدو فيها أوراق مبسطة مقسمة الى أصابع وغالباً ما تكثر التموجات بالساق وتخلو عادة من الشدوخ والتختيمات المتصلة وإنما تقتصر على تختيمات منفصلة • وزخارف التوريقات والتشجيرات تكسو الشريط الأوسط من المساند ذات الفصوص تشبه زخارف المساند في زيادتي الحكم والمنصور بجامع قرطبة وإن كنا لا نرى نظيراً للزخارف النباتية التي تكسو جوانب هذه المساند بجامع المريّة • ومساند جامع قرطبة تخلو جوانبها من هذا النوع في حين تشابه زخارف مساند المريّة بزخارف مثيلاتها بالجعفرية بسرقسطة وقصبة مالقة مما يقطع بأنها ترجع الى عهد المعتصم بن حماد ( ٤٤٣ — ٤٤٤ هـ ) •

أما العقود الصغيرة الصماء القائمة على عمد بزخارفها القائمة على المراوح النخيلية والفصوص المتصلة بحلقات معقوفة فترجع الى عصر الموحدين ونراها في المساجد الموحدية مثل جامع الكتبية والقصبة بمراكش .

وقد وصفه منتزر الرحالة الألماني عام ١٤٩٤ بأنه كان من أجمل وأروع مساجد مملكة غرناطة وكان يتألق بمئات الثريات وكان يضم كنوزاً لا حصر لها ويعمل به من القومة نحو خمسين قياً وكان عرضه ٤٥ متراً وطوله نحو ٧٠ متراً .

وكانت بلاطاته تتجه عمودياً على جدار القبلة في انحراف ظاهر . وكان البلاط الأوسط أكثر البلاطات اتساعاً ، وقد أسفر البحث الأثرى عن عدة سنجات عقود من الحجر مطلية باللون الأحمر . وكان عقد المجراب متجاوز بينما تتعاقب في سنجاته كتلة ملساء وكتلة مكسوة بالزخرفة .

أما الصحن فكان مزروعاً وفقاً لوصف منتزر بأشجار الليمون والبرتقال ، ومفروشاً بالرخام وتتوسطه نافورة للوضوء .

### المسجد الجامع بقصبة اشبيلية :

لم يتبق من عمائر الموحدين الدينية في الأندلس سوى آثار المسجد الجامع بقصبة اشبيلية الذي بناه الخليفة أبو يعقوب يوسف . وكان المسجد الجامع باشبيلية كما سنراه بعد قليل اجابة لجامع قرطبة الذي يعتبر مثالا احتذاه مهندسو جامع اشبيلية . وقد شرع أبو يعقوب يوسف عام ١١٧٢ في بناء جامع اشبيلية الأعظم وكان محباً للفنون ومولعاً بالعمارة والتشييد . وكانت اشبيلية مدينته الأثيرة الى نفسه ، وحاضرة دولته في الأندلس أقرب الى قلبه من مراكش عاصمة



أمير أطوريته ، اذ ولد في قرطبة وقضى في اشبيلية جزءاً كبيراً من طفولته وتأثر بفرقة الأندلس وقتن بسحرها وراقت له مظاهر الثراء التي كان يستقيم لها الأندلسيون ، فتخطى منذ طفولته عن خشونة الموحدين وتكشفهم وأقبل على الترف وانغمس فيه فشيّد القصور والمساجد وحرص على تجميل حاضرة ملكه في الأندلس بكل ما من شأنه التعمير والتحصير . وكان من نتائج ذلك أن انطلقت حركة البناء في تلك المدينة واتسمت الأبنية الجديدة بطابع الأصالة والجمال اجتمعت فيها البساطة التي تميزت بها عمائر الموحدين مع التعقيد والعلو في الحشد الزخرفي ، وتلك إحدى خصائص عمارة الأندلس منذ خلافة الأمويين في قرطبة حتى عهد ملوك الطوائف .

أمر أبو يعقوب في ١١٧٢ باختطاط موضع الجامع العتيق فهدمت له الديار داخل القضية وحضر على ذلك شيخ العرفاء أحمد بن بامسة وأصحابه العرفاء البنّاءون من أهل اشبيلية وجميع عرفاء أهل الأندلس ومعهم عرفاء البنّائين من أهل حضرة مراكش ومدينة فاس وأهل العدوّة . وكان جامع اشبيلية المعروف بجامع العديس قد ضاق بأهله فكانوا يصلون في رحابه وأقبية وفي حوانيت الأسواق المتصلة به فيبعد عنهم التكبير بالفريضة الأمر الذي دعا أبا يعقوب الى بناء هذا الجامع الجديد توسعة للناس . فأسسه من الماء بالآجر والجيار والجص والأحجار وأسس أرجله المعقودة بطاقات بلاطاته تحت مستوى سطح الأرض وجمع له الفعلة وأحضر الآلات من الخشب المجلوب من سواحل العدوّة وظل البناء مستمراً حتى كمل بالتسقيف وقارب جامع قرطبة في الاتساع وكان الناظر على البنّائين والعرفاء العريف أحمد بن بامسة وصاحب تقييد الانفاق أبو داود يلول بن جلداسن وكان جامع اشبيلية يضم ١٧ بلاطاً تتجه من الشمال الى الجنوب ونعني بذلك في اتجاه القبلة كما هو الحال في بلاطات جامع قرطبة ، وتتسع هذه البلاطات الأربعة عشر أسكوباً ويمكن تقدير اتساعه على وجه التقريب فيما يلي :

١٥٠ متراً في الطول ، ١١٠ متراً في العرض • وكان البلاط الأوسط أكثر البلاطات اتساعاً فكان يبلغ ٧٧٠ متراً وكذلك كان اتساع البلاطين المتطرفين ، أما سعة البلاطات الأخرى فلا تعدو ٦٤٠ أمتر ويغلب على الظن أن أسكوب المحراب كان أكثر اتساعاً كذلك من الأساكيب الأخرى ومن المرجح أن عقود جامع اشبيلية كانت تستند على دعائم أو أرجل من الآجر على نفس صورة دعائم الصحن • أما العقود فكانت متجاوزة منكسرة بعض الشيء وكانت مخارجها تنطلق من مناكب الدعائم كما يتجلى ذلك في عقود الصحن • وكانت أسقف بلاطات بيت الصلاة هياكل هرمية تقوم على سماوات مسطحة بين جوائز السقف • ويغلب على الظن أن قباباً ثلاثة كانت تقوم فوق الأساطين الثلاثة الناشئة من تقاطع البلاطات الكبرى بأسكوب المحراب ، وأن هذه القباب كانت من المقرنصات كما في جامع الكتبية أو على النحو الذي نشاهده في مقصورة سان فرناندو بجامع قرطبة كما يرجح الأستاذ توريس بلباس • وقد أشار ابن صاحب الصلاة إليها عند قوله : « واهتبل العرفاء واستعرفوا وتحذقوا في بناء القبة التي على محرابه أعظم الاهتبال في العمل بصنعة الحبس والأقباء بالبناء ونجارة الخشب بغاية الاحتفال » • وأقرب العرفاء عن يسار المحراب « ساباطاً في الحائط يمشى في سعة نيه الماشى ، معداً لخروج الخليفة عليه من القصر الى هذا الجامع لشهود صلاة الجمعة ... وعلى يمين المحراب أقباء في حائط الجامع معقود بالبناء لكون المنبر فيه عند اخراجه للخطبة وادخاله فيه » •

وكان يدعم الجدران الخارجية دعائم كبيرة ضخمة للدفع مماثل ما نراه منها خارج الصحن • وظل صحن الجامع الذي سمي ببهو البرتقال في عصر مسيحي ، محتفظاً بسلامته الى حد كبير حين هدمت مجنباته الغربية عام ١٦١٨ عند بناء الجوسق المقدس • وكانت تنفتح في جدرانها الخارجية بالصحن ثلاثة أبواب : واحد في امتداد محور بيت الصلاة يعرف اليوم باسم باب الغفران ويابان آخرا في المجنبتين

تبقى منهما باب المجنبة الشرقية وخلفه أسطوان تغطيه قبوة من المقرنصات من نفس طراز قباب جامع مراكش . وتطل على الصحن بوائك من عقود من الآجر متجاوزة منكسرة ويحيط بهذه العقود عقود أخرى بارزة من أرجل العقود الى رؤوسها الأمر الذي يكسب دعائمها الشكل الصليبي .

وما حفظ من الزخارف قليل ومع ذلك فهو بالغ الأهمية اذ يكشف عن ميول الزخرفة الأندلسية المغربية في عهد الموحدين ، ويقتصر على بعض الزخارف المحفورة في الجص بالعقد الداخلى لباب الغفران وكذلك على العقد المثل على الصحن في امتداد هذا الباب ، يضاف إليه قبوة المقرنصات بالباب الشرقى ، وزخارف عقد المدخل المؤدى الى الصحن قوامها أشربة بارزة ترتسم فيها مستطيلات ومربعات قائمة على رؤوسها ، وهى طريقة بيزنطية الأصل لها نظائرها بجامع قرطبة ومدينة الزهراء ، أما الشريط الأوسط من زخارف هذا العقد فيتألف من سعف النخيل الملساء التى تملأ من السيقان ، يطوقها خطوط محززة وأطرافها تنحني فى تجعدات وتلاحم فى تناسق وإيقاع . وترسم فى بعضها خطوط لولبية محززة وقد حفرت الزخرفة النخيلية على طبقتين مما يضيف عليها نوعاً من التباين القوى بين الظلمة والنور ، وقد سمي بإرسيه هذه الزخرفة باسم « الزخرفة الكثيفة »

وتشبه الى حد كبير زخرفة محراب جامع توزر بتونس وهو مسجد ينخرط فى سلك الفن الأندلسى ويعاصر المسجد الجامع باشبيلية اذ بنى عام ١١٩٤ م .

والعقود المتبقية التى تصل بين الصحن ومجنباته متجاوزة منكسرة تزاوجها أخرى تتخذ نفس صورتها طفيفة فى بروزها ، ولعل التطاق الأدنى للعقد الخارجى كان يتخذ صورته الحالية فى حين كان الداخلى منه مغطى بزخرفة تتألف من حثيات صغيرة مقعرة ومحدبة تكاد تربطها



تجميعيات تتخذ شكل حرف S في التوائها . وهي إحدى خواص زخرفة الموحدين وهي ما أطلق عليه ياسيه وتراس اسم الشكل الثمباني .

كان جامع اشبيلية يجمع بين صور انشائية وفنية ظهرت في مساجد الموحدين بمراكش وصور أخرى مستوحاة من المسجد الجامع بقرطبة : فقد أخذ من هذا المسجد الأخير مظهره الخارجى كما ورث من جامع قرطبة أيضاً عظمة صحنه بعقوده السبعة في أروقة مجنباته التى تحدد عظم اتساعه بدلاً من أربعة عقود في جامع الكتبية بمراكش وجامع تنمال ، واقتبس من جامع قرطبة أيضاً نظام عقوده وأسلوب زخارفه ومظهر الثراء الزخرفى الغالب على جامع اشبيلية يجعل المفارقة بينه وبين مساجد مراكش أشد وأعظم فقد كانت هذه المساجد بسيطة في زخارفها بتأثير مباشر من مذهب الموحدين في التقشف .

وكان أبو يعقوب قد عهد قبيل حملته الى شنترين بالبرتغال عام ١١٨٤ الى واليه باشبيلية واسمه أبو داود يلول بن جلداسن ببناء المسجد الجامع وصومعته ( منارته ) . ولكنه توفى أثناء عودته من غزواته ، ولحقه أبو داود فمات بعد ذلك بشهور ، وتعطل بهوتهما بناء الصومعة ، وما كاد خليفته أبو يوسف يعقوب يظفر بالبيعة حتى أمر الى اشبيلية الجديد بالاشراف على اتمام مشروع أبيه واكمال بناء صومعة تجاوز في ارتفاعها صومعة جامع قرطبة التى كانت تعد وقتئذ أعظم مئذنة في المغرب والأندلس . وقام أحمد بن باسة عريف العرفاء ببناء الصومعة ولكن المئذنة عاجلته ، فخلفه على العمارى سنة ١١٨٨ . ثابر العريف الجديد على بناء الصومعة فتم بعد انتصار أبى يوسف يعقوب على جيوش قشتالة في موقعة الأرك في ١٠ يوليو سنة ١١٩٥ ، وارتفعت الصومعة في رشاقة مشرفة على فحش اشبيلية وما يحيط بها من المنطقة المعروفة بالشرف ، وتضم القرى والضياغ والمجاشر . وعاد الخليفة . وقد استحق لقب المنصور وأمر بصنع التفاحات الأربعة المذهبة

لتكامل الصومعة ، ورفعت في حضرتها وركبت بالسفود البارز في أعلى قبة الصومعة ثم أزيحت عنها الأغشية التي كانت تغطيها فبهرت ببريقها ولألائها عيون الحاضرين .

وظلت الصومعة بجمالها وسموها ودقة زخارفها وتناسق بنيانها تثير إعجاب المسلمين والمسيحيين على السواء فقد كانت تمثل للمسلمين تفوق دينهم وديوام حكمهم في هذه البلاد حتى دالت دولة الموحدين وتقلصت دولة الاسلام في الأندلس بتقدم حركة الاسترداد المسيحية . فقد سقطت قرطبة عام ١٢٣٦ وحوصرت اشبيلية عام ١٢٤٦ ، وظلت جيوش قشتالة تحاصرها خلال عام ونصف حتى وهنت مقاومتها ونفذ زادها فاضطر أولو الأمر فيها الى اجراء مفاوضات مع الأعداء للتسليم مدينتهم ثم طلبوا منهم أن يترك للمسلمين الحق في هدم مسجدهم الجامع وتفويض مئذنته ، فأجابهم دون ألفونسو بجملة التي أضحت في عداد الأمثال : « سأقطع رقابكم جميعاً لو مستم حجراً واحداً منها » .

وهكذا رضخ المسلمون لحكمة وامتلأوا صاغرين لأمره وسلموا مدينتهم الحبيبة بمسجدها الجامع وصومعتها . وسقطت اشبيلية في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة الذي أطلق عليه القديس لهذا السبب ، وسرعان ما تحول المسجد الجامع الى كنيسة سانثا ماريا ، وحول اتجاهه حتى يكون صالحاً للقيام بشعائر المسيحية . وظل المسجد الأعظم على تلك الحال دون أن تلحق به تغييرات هامة في البناء ، ومع ذلك فقد أضيفت اليه عدة مصليات أهمها المصلى الملكى ، وتلاحقت عليه بعد ذلك أضرار جسيمة على أثر الزلازل فاضطر المجلس الكنسى باشبيلية الى اتخاذ قرار بهدمه لعدم صلاحيته وبناء كاتدرائية أسلوبها قوطى يتمشى وفق الأسلوب السائد في ذلك العصر . ووضع حجر الأساس في ١٤٠٢ وبدأت أعمال البناء من الجانب الغربى ولم يبق من مسجد

الموحدين الأعظم إلا عدة عقود تطل على صحته من جهة الشمال والشرق  
كما أوضحنا ذلك من قبل •

أما الصومعة فقد ظلت في نفس حالتها التي تركها عليها المسلمون  
ولم تصب بأي تغيير في نظام بنائها سوى أنها لم تعد بعد تلك الصومعة  
التي ينطلق من أعلاها صوت المؤذن في الفضاء داعياً إلى الصلاة ، بل  
تحولت إلى برج للنواقيس ملحق بالكنيسة ، ثم فقدت إلى الأبد  
تفافيحها الأربعة على أثر زلزال حدث عام ١٣٥٥ • وفي سنة ١٤٩٤ زال  
الجزء الأعلى من الصومعة على أثر صاعقة وسقط جزء كبير منه في  
زلزال سنة ١٥٠٤ ، وعندئذ قام المهندس هرتان رويث بتنفيذ مشروعه  
ببناء برج علوى عام ١٥٥٨ فتم سنة ١٥٦٨ ونصب في أعلى البناء  
الجديد تمثال من البرنز يرمز للمسيحية صنعه برتولومى موزيل عام  
١٥٦٧ بحيث يدور مع الرياح يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار • ومن هنا أطلق  
عليه جيرالديو giraldillo أو دوارة الهواء وهو اسم مشتق من  
المصدر Girar أى يدور • ثم ما لبث أن حور هذا الاسم إلى  
جيرالدا Giralda وأصبح يطلق منذ أوائل القرن الثامن عشر على  
البرج بأكمله ، وبه بلغ الارتفاع الكلى للبرج ٩٣ر٢٥ م منها ٦٩ر٦٥  
متراً ارتفاع الجزء الاسلامى منه •

ويكفى لظاهر روعة هذا الجزء الاسلامى أن يلمس الزائر  
للجيرالدا بنفسه عمارته الصاعدة في ايقاع ، وزخارفه المحفورة في  
الآجر كالمخرمات والموزعة في تعادل واتزان مع رقة وبساطة تنطقان  
بهذا التفضيل • وإذا كنا نأسف اليوم لضياح الجسم العلوى من  
الصومعة فاننا نحمد الظروف التي أتاحت بقاء الجزء الأدنى منها ،  
ولو لا بناء هرتان رويث لطابق النواقيس لكانت قد هدمت حتى أساسها  
كما حدث لكثير من الصوامع الاسلامية التي غنمها المسيحيون فأزالوها  
من الوجود •



لم يطرأ على الجيرالدا بعد اتخاذها هذا الاسم أى تغيير ولكنها أصيبت بأضرار فادحة سببتها الزلازل والصواعق كزلازل عام ١٨١٩ أو صاعقة عام ١٨٨٤ مما مست الحاجة معه الى اصلاحها وتولى ذلك المهندس أدولفو فرناندو كازانوفا . وهكذا وصلت اليها الجيرالدا وقد حفظت لنا ما تخلف من صومعة جامع الموحدين باشبيلية .

كانت الجيرالدا تتألف من طابقين : الاول وهو الجزء الاعظم منها ينتهى بالافريز الأفقى الذى تعلوه فتحات النواقيس ، والثانى برج صغير الحجم يعطو البرج الأدنى فى امتداد نوايته الداخلية . وكانت تعلو هذا الطابق بدوره قبيبة مكرمة يتوجها سفود ركبت عليه لفتافيح الأربعة التى تتضاءل فى الحجم كلما ارتفعت فتتناسق تماماً مع القبيبة وتفصح عن ايقاع وتناسق تؤكد رشاقة المئذنة وسموها وتدعمه اتجاهها التصاعدي الذى يزداد قوة بالتقسيمات الثلاثية الرأسية لزخرفة المعينات . وتتألف هذه المعينات من ثلاثة شبكات تقوم كل منها على ثلاثة عقود . وليست هذه المعينات فى الواقع الا امتداداً لهذه العقود فتتقاطع فيما بينها لتحدث فى تقاطعها هذه الشبكات . ويتفق مظهر البرج الخارجى مع نظامه الداخلى كما لو كان مرآة تعكس صورته .

وقاعدة الصومعة مربع طوله ١٣ر٦٥ متراً بداخله نواة مربعة الشكل طولها ٦ر٢٥ م . يدور حولها طريق منحدر صاعد مؤلف من ٣٥ مقطع . وتعلوه قبوات متعارضة صغيرة متصلة ، خمسة منها فى كل مقطع . وتشغل النواة الداخلية للبرج سبعة غرف مربعة الشكل الواحدة فوق الأخرى ، الخمسة السفلى منها مسقوفة بقبوات نصف كروية أما القبوتان العلويتان فمتعارضتان ، ويتراوح ارتفاع كل غرفة ما بين ٦ر٣٠ متر ، ٤ر٩٠ م .

ويفصح البناء الداخلى للصومعة عن احكام الفن البناء ومعرفته الحقيقية بأصول العمارة . وقد لعبت الصومعة دوراً هاماً في فنون المغرب والأندلس فهنما ولد ذلك النوع من الزخرفة المحتشدة التي عرفت في قصور الموحدين كما عرفت فيما بعد في قصور بني نصر بغرناطة وبني مرين في مراكش وفي بعض كنائس المدجنين . وهكذا كانت الجيرالدا مصدراً خصباً أثر في كافة أنواع العمارة الاشعيلية في العصر الاسلامي والمسيحي على السواء ، بحيث يصعب علينا أحياناً التفرقة بين بعض الآثار الاسلامية البحتة وغيرها من آثار المدجنين .

وزخارف الجيرالدا تعبر عن فن يختلف اختلافاً بيناً عن فنون مراكش المعاصرة له ، فقد أثرت فيها عناصر أندلسية توافدت عليها من قرطبة حاضرة الخلافة الأموية وسرقسطة ومالقة والمرية وغيرها من حواضر ملوك الطوائف فهي تصور الغلو في الزخرفة والافراط في تغطية مسطحاتها بضروب الصناعات مع المبالغة في الرقة ، وفيها نطالع روح الاعتدال والتناسق بخلاف ما يتصف به الفن المغربي من تقشف وبساطة .





## الفصل الثاني

### القصور

١ — القصور الأندلسية في عصر الدولة الأموية وعصر ملوك الطوائف

٢ — قصور الحمراء بقرطبة



(١)

## القصور الأندلسية في عصر الدولة الأموية

### وعصر ملوك الطوائف

ما كاد المسلمون يوطدون أقدامهم في الأندلس بعد الفتح ، ويخضعون هذه البلاد لسلطان الخلافة الأموية بدمشق — حتى انبعث بينهم الصراع القبلي الذي كان كامنا في نفوسهم وأصبحت الأندلس في عهد الولاة التابعين لخلافة دمشق مسرحا للفتنة والفوضى ومرتعنا خصبا للاضراب مدة ثلاث وأربعين سنة . وقد افتتح هذا العهد البغيض بمقتل الأمير عبد العزيز ابن موسى ، وكان أبوه موسى بن نصير ففتح الأندلس قد استخلفه عليها بعد أن قفل إلى المشرق سنة ٩٥ للهجرة (٧١٣ م) ، وانتهى بتغلب الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني المعروف بعبد الرحمن الداخل على سير الملك بقرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) .

ثم بدأ عصر بني أمية في الأندلس ويعتبر امتدادا لعصرهم في المشرق . ومؤسس هذه الأسرة في الأندلس هو عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام الذي استطاع أن يفر إلى المغرب الأقصى ، ويعبر الزقاق (١) إلى الأندلس ، واستطاع بفضل ما أوتي من المعية أن يؤسس ملكا بعد فناءه ، وقد قال عنه أبو جعفر المنصور عدوه اللدود : « لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه ، فالشأن في أمر فتى قرئش الأحوذى الفذ في جميع شئونه ، وعدمه لأهله ونشبهه ، وتسليه عن جميع ذلك ببعد مراقى همته ومضاء عزيمة ، حتى قذف نفسه في لجج المهالك

(١) هكذا يسمى العرب مضيق جبل طارق .



لابتغاء مجده ، فاقتحم جزيرة شاذليّة المحل ، نائية المظمّع ، عصبية الجند ، ضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته ، واستمال قلوب رعيّتها بقضية سياسته ، حتى انتقاد له عصيهم وذل له أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ، ملكا على قطيعته ، قاهرا لأعدائه ، حاميا لذماره ، مانعا لحوزته ، خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ، ان ذلك الفتى كل الفتى لا يكذب مادحه (١) !! »

وما كاد عبد الرحمن الداخل يستقر بقرطبة ، ويستقيم أمره بها حتى بنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار . ومنذ ذلك العهد بدأ فن العمارة يتلمس طريقة في الأبنية الدينية والمدنية ، وجامع قرطبة شاهد صدق على هذه الحركة الكبرى في البناء والتشييد ، اذ يشف عن مثل من أروع أمثلة العمارة الإسلامية بل العالمية في العصر الوسيط : ذلك أن عناصره المعمارية والزخرفية تؤلف البذور الأولى للفن الأندلسي المغربي ، وقد أخذت زخارفه تشع في المشرق والمغرب ، فأثرت في الزخرفة المسيحية والإسلامية على حد سواء وأوحت قبابه القائمة على هياكل بنائية من الضلوع المتقاطعة ابتكار القبوات القوطية ، التي انتشرت في العصر الأوروبي الوسيط .

هذا هو العصر الأموي الذي نبت فيه الفن الإسلامي بالأندلس ، وما لبث أن ترعرع في العصور التالية حتى وصل الى ذروة نضارته في عصر بني نصر ثم هاجر هذا الفن الى المغرب بعد أن طرد من بلاده التي ولد فيها على أثر الاسترداد المسيحي ، وقدر له أن يقضى فيه البقية الباقية من حياته حتى نصب معينه ، وذبل عوده ، وقضى عليه بالفناء ! •

---

(١) المقرئ : « نفح الطيب من عصف الأندلس الرطيب » تحقيق محيى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٣١٠ .

ولا نود أن نطيل الحديث عن هذا الفن ، وإنما قصدنا أن ندرس منه ناحية جديدة بالبحث هي القصور التي بناها الخلفاء والملوك المسلمون في أسبانيا في عهد بني أمية ، وفي عهد ملوك الطوائف الذين ورثوا ملك الأمويين ، ثم في عهد دولتي البربر المرابطين والموحدين ، وفي عهد بني نصر الذين اختتم بهم الاسلام حكمه في الأندلس .

وكان الأمراء والخلفاء يشيدون قصور الحكم بجوار المساجد الجامعة ، وكانوا يطلقون عليها اسم « دور الامارة » . على أنهم كانوا يلتزمون الراحة في بعض الأحيان ، فكانوا يعمدون الى بناء قصور للراحة واللهو بعيدا عن الحاضرة ، ليتمكنوا من الاستغراق في الترف ، والاستقامة الى حياة اللهو والنعيم التي لا تتاح لهم في مقر الحكم بالحاضرة . وكانت هذه القصور تتخذ مظهرا عمرانيا شديدا يشبه بالمدن الصغيرة ، فقد كانت تتألف من قصور الأمير وأفراد حاشيته وخاصة ، ومن منتزهات ومحال للوحش فسيحة ومسارج للطيور مظلة بالشباك وأسواق وحمامات وفنادق ودور للصناعة ومساجد وغير ذلك .

غير أن حياة هذه المدن الملكية كانت موقوتة ، فما أسرع ما كانت تنتهب وتسلم على أثر سقوط الأسرة الحاكمة ، كما حدث في قرطبة عندما تداعى سلطان الخلافة القرطبية ، فعم النهب والسلب ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « ... .. » وأنكدر بأثر وفاته ابن باشة هدام القصور ومبوز المعمور ، وكان من التبحر في اللؤم ، والالتحاق للشؤم مع دناءة الأصل والفرع وتنكب السداد ، وتقليل الفساد — على ثبح عظيم ، بيده بادت قصور بني أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت أعلامهم المنيعه ، قدمه ابن السقاء مدبر قرطبة لجمع آلات ما تهدم من القصور المعطلة ، فاغتنى عليها أعظم آفة ، وباع آلاتها من المرمر ومثلن العمد ونضار الخشب وخالص النحاس وصافي الحديد .

والرضاص بيع الادبار (١) .» .

وكذلك كان أمر قصور الزهراء التي شرع الخليفة عبد الرحمن الناصر في بنائها عام ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) ، اذ هدمها البربر في ٢٣ من ربيع الأول سنة ٤٠١ هجرية (٤ نوفمبر سنة ١٠١٠ م) ، وذبحوا حاميتها ، ويروى ابن أبي زرع كيف تهدمت قصور الموحدين بمراكش بعد انقضاء سلطانهم (٢) .

ويغلب على الظن في أسباب تخريب هذه القصور أن الاسلام يستهجن اصفاء معنى الأزلية على البناء ، فالدوام لله فقط ، وبناء قصور لها صفة الخلود أمر خارج عن الدين الاسلامي ، ويشف عن تحد للألوهية . وكان رجال الدين يترصدون الملوك ، وينتقدون كل أعمالهم ، وكان عبد الرحمن الناصر كلما بعمارة القصور عملا بقوله :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها

من بعدهم فبالسن البنيان

أو ما ترى الهرمين كم بقياوكم

ملك محاه حوادث الأزمان ؟

ان البناء اذا تعاضم قدره

أضحى يدل على عظيم الشأن (٣)

وكان يلقي من زجر القاضي منذر بن سعيد البلوطي وتأنيبه ، ما

(١) ابن يسام الشنتريني « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » القسم

الأول ، المجلد الثاني ، القاهرة عام ١٩٤٢ ص ١١١ — ١١٢ .

(٢) ابن أبي زرع ، « روض القرطاس » ج ٢ ص ١١٠ .

(٣) نفح الطيب جزء ٢ ص ١١٠ .



يجعله يبكى ، وقد قال له يوما : « همتاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، وهى دار القرار ومكان الجزاء » . ومضى فى ذم تشييد البنيان والاستغراق فى زخرفته والاسراع فى الانفاق عليه بكل كلام جزل وقول فصل •

وكان يحذره فجأة الموت ، ويدعوه الى الزهد فى هذه الدار الفانية ، ويخصه على اعتزالها والرفض لها ، والندب الى الاعراض ، عنها والاقصار عن طلب اللذات ونهى النفس عن اتباع هواها • وكان الخليفة فى كل مرة يضج بالبكاء ، ويندم على ما سلف له من فرطه (١) •

#### قصور بنى أمية بقرطبة :

ما كاد الأمير عبد الرحمن بن معاوية يستقر بقرطبة ، ويثبت قدمه فى الملك ، حتى عمد الى تجديد ما طمس لبنى أمية بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها ، فبنى الجامع بقرطبة ، وبنى مساجد أخرى ، كما أدار السور بقرطبة بعد أن هدمه السمع بن مالك الخولاني صاحب الأندلس ، واستعمل حجره فى ترميم قنطرة قرطبة بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ١٠١ هـ (٧١٩) •

وقد شيد بنو أمية قصر الدمشق بقرطبة ، وهو قصر شيدوه بالصفاح والعمد ، وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه ، وحكوا به قصرهم بالمشرق ، كما بنى الأمير عبد الرحمن الداخل منية الرصافة شمالى قرطبة لنزله وسكنه أكثر أوقاته ، فاتخذ بها قصرا حسنا ودجا جنانا واسعة ، ونقل اليه غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وسماه باسم رصافة جده هشام بأرض الشام الأثيرة لديه • ومازال البعض آثار هذا القصر قائمة حتى وقتنا هذا •

(١) المرجع نفسه ص ١٠٦ — ١٠٧ •

وعندما ولي الأمير عبد الرحمن بن محمد محمد الإمارة عام ٩١٢م تلقب بألقاب الخلافة عام ٩٣٢م لما التفت أمر الخلافة بالشرق ، واستبد موالى الترك على بنى العباس ، وبلغه أن المقتدر قتلته مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة ( ٩٢٩م ) فتلقب بألقاب الخلافة ليحيى للخلافة ما كان لها من هبة . فلما استفحل أمره ، ونالت الأندلس على يديه من المجد الرفيع والازدهار ما نالت حتى بلغت مستوى من الرخاء والثراء لم تبلغه الأمم الأخرى ، رأى أن يبنى له قصرا يليق بجلال الخلافة وبهائها ، فبنى مدينة الزهراء على بعد خمسة أميال تقريبا غرب قرطبة على سفح جبل العروس .

ولقد أمدتنا المدونات التاريخية العربية بمعلومات قيمة عن بناء هذه المدينة الخلافية وعن الفترة القصيرة التي ازدهرت فيها ، وعم بها الرخاء ، ثم عن الأسباب التي أدت بها إلى الزوال ، فأنحدرت سريعا إلى القبر ، وكانت ماتزال في مستقبل عمرها ، ويروى المؤرخون قصة بناء هذه المدينة فيما يشبه الأساطير ، ويعزون تسميتها هكذا إلى جارية أغرم بها عبد الرحمن الناصر واسمها زهراء ، ويعطون ذلك بوجود تمثالها على أحد أبواب المدينة ، وللقارىء أن يطالع تلك القصة في كتب التاريخ (١) .

وحسبنا أن نذكر هنا أنه شيد بها قصورا كثيرة : منها ، قصر المؤنس ، وقصر الخلافة ، وقصر الزهراء ، وكانت أسقف هذه القصور من القراميد المذهبة ، وعمدها من الرخام والمرمر ، وجدرانها مكسوة بلوحات الرخام المذهبة والفسيفساء .

(١) انظر على الاخص كتاب « نفح الطيب » ج ٢ صفحات ٦٥ — ٦٨ ، ١٠٣ — ١٠٥ ، وابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » ج ٢ ص ٢٩ — ٣٠ .

وقد بالغ مؤرخو العرب في وصف روائع تلك القصور وما احتوته من مظاهر الترف والثراء ، مما لا يمكن أن يصدقه العقل ولا المنطق ، غير أن ما أسفرت عنه الحفريات أثبت بصورة قاطعة صدق هذا الوصف ، فكشفت عن قطع من أجمل ما أبدعه فن النحت في الرخام والجص والحجر في الأندلس في العصر الوسيط .

ولم يتم بناء مدينة الزهراء في عهد عبد الرحمن الناصر فأتى ابنه الحكم المستنصر من بعده عام ٩٧٦ م ، وظلت الزهراء في ازدهارها حتى ظهرت مدينة الزاهرة في الوجود ، وهي مدينة بناها المنصور بن أبي عامر سنة ٣٦٨ هـ ( ٩٧٨ م ) (١) غير بعيد من قرطبة ، فأصبحت متنافسة للزهراء . . . . . وأقبل عام ٤٠١ هـ ( ١٠١٠ م ) فكان مؤذنا بالانهيار ، إذ هاجمتها حشود البربر في ٤ من نوفمبر سنة ٤٠١ هـ واقتحموها عنوة ، وتبع ذلك مذبحة دامية قضيوا فيها على جامية المدينة ، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال ونهبوا الدور والقصور ، وأوعز إليهم سليمان المستعين باضرام النيران في المدينة ، حتى أصبحت أثرا بعد عين !!

صارت الزهراء أكوام خرائب ، وتلال أطلال ، وكانت جدرانها

(١) بناها محمد بن أبي عامر على نهر قرطبة ، وتوسع في تخطيطها ، وبالغ في رفع أسوارها ، فاتسعت المدينة وصارت كاملة بعد عامين . وفي سنة ٣٧٠ هـ ( ٩٨٠ م ) انتقل إليها المنصور واتخذ فيها الدواوين وبنى كبار قواده ورجال حاشيته بها عظيم الدور وشاهق القصور . وقامت بها الاسواق وكثرت الارفاق . وعطل ابن أبي عامر قصر الخليفة بالزهراء ، وصيره بمعزل من سامعه من سامعه وسد باب قصره عليه وكان لابن أبي عامر بالزاهرة قصر رائع يعرف بالعامرية يفوق قصور الزهراء في عظمتة وجماله ، وخربت الزاهرة بعد وفاة المنصور ومضت كأسس الدابر وخلت منها الدسوت المكتبة والمنابر وتلاشي أمرها وأصبحت قاعا صاففا .



الخربة ما تزال قائمة في عهد الشريف الإدريسي ، ولم يخطئه أحد الكتاب في تسميتها « بومبي العربية » .

وقد تنوقت عن روائع هذه المدينة روايات ساقها المؤرخون والجغرافيون العرب والاسبان الذين بهرتهم روائعها الفنية . واجتذبت أكوام الخرائب والارتفاعات التي كانت تضم في أحشائها بقايا قصور الزهراء اهتمام رجال الآثار في العصر الحديث بعد أن ظلت حتى مطلع القرن الماضي محاجر غنية تستخرج منها الأحجار وتيجان الأعمدة لتزين دور قرطبة وأشبيلية ، ثم عمد المهندس الأثري فيلاسكيث بوسكو إلى إجراء أول حفائر علمية بها . وكان أول ما أسفر عنه البحث هو الكشف عن الفاصل بين المدرج العلوي والأوسط ، كما أسفرت عن كشف كميات هائلة من الخزف ذي البريق المعدني وقطع كثيرة من الزجاج ، ثم كشف عن آثار أحد تلك القصور ، وظن فيلاسكيث بوسكو أنه قصر الخلافة (١) على حين ثبت فيما بعد أن ما اكتشفه لا يعدو أن يكون جزءا من قصر الحكم المستنصر بدليل ما نقرؤه على بعض تيجان الأعمدة .

ثم تتابعت الحفائر العلمية على أيدي كبار رجال الآثار مثل دون فيليث هرنانديث ودون رافاييل كاستخون ، فأسفرت عن اكتشاف آثار قصر من قصور الناصر سنة ١٩٤٣ (١) ، وهي آثار غنية بالزخارف في

Velazquez Bosco (R.), Excavaciones en Medina Azhara Madrid 1923.

(١) انظر كاستخون

Rafael Castejon : Excavaciones del plan nacional en Medina Azhara (cordoba). Campana de 1943, Madrid 1945.

Nuevas excavaciones en Medina al - Zahara; El salon de 'Abd er-Rahman III, Al-Andlus, 1945, pp. 147 - 159.

الحجر والرخام • وقد نسبت هذه الآثار إلى عبد الرحمن الناصر لوجود اسمه منقوشا على تاجين صغيرين فيه • وما زالت الحفائر الأثرية جارية حتى وقتنا هذا • وما يزال دون فيليث هرناندث يتابع بحوثه الأثرية وترميماته لقصر الناصر ، فاستطاع أن يعيده إلى صورته الأولى كما استطاع أن يكسو جدرانه بالقطع الحجرية التي كانت مدفونة في الأطلال بعد أن لصقها فيما بينها مراعى في ذلك تناسب الزخارف وتناسقها •

ويمكننا أن نستنتج مما أسفر عنه البحث الأثرى أن قصور هذه المدينة نوعان :

الأول : الدار التي تقوم على فراغ مركزي هو الصحن التي تتوزع حوله كل الغرف •

الآخر : هو القصر الذي يتألف من بلاطات متوازية تفصلها فيما بينها أعمدة تقوم عليها عقود كما هو الحال في المساجد الأندلسية (١) • وقد اتبع هذا النوع نظام القصور الفارسية •

كما أسفر البحث الأثرى عن كشف الموقع الذي كان يشغله جامع الزهراء ، وأغلب أرضيات المجالس والقاعات التي تتألف منها القصور مكسو بقراميد الآجر المرصعة بالأحجار وقطع الآجر الحمراء في أشكال هندسية غاية في الروعة والجمال ، وتكشف تيجان الأعمدة وطنوفها وقواعدها وبعض اللوحات الحجرية عن فن رفيع في الحفر الغائر في

الحجر والرخام ، وينحو هذا الفن في أسلوبه نحو التقاليد البيزنطية حين ينساب الحفر الى عمق كبير مما يؤدي الى اكساب الزخرفة نوعا من التباين الحاد بين الظل والضوء ، ومعظم التيجان من الطراز الكورنثي والطرارز المركب ، وكانت قواعد الأعمدة من الرخام الناصع البياض .



### القصور في عصر ملوك الطوائف

انتشر سلك الخلافة الأموية في ١٠١٠ م ، وتبع ذلك قيام عدد من الدويلات المستقلة في جميع أنحاء الأندلس ، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالبلاد ، واقتسموا خطتها ، وتغلب بعضهم على بعض ، ثم استقل بأمر هذه البلاد ملوك استفحل أمرهم ، وعظم شأنهم ، أمثال بنى عباد باشبيلية ، وبنى الأفطس ببطليوس ، وبنى ذي النون بطليطلة ، وبنى جمهور بقرطبة ، وبنى حبوس بغرناطة .

وكان طبيعيا ، وقد انهار سلطان الخلافة بقرطبة ، أن تلتبس العناصر الثقافية والفنية ، التي كانت تترعرع بها ، مجالا أنسب لها في ظل هؤلاء الملوك ، وكان نتيجة لذلك أن تألفت في عاصمة كل مملكة من هذه الممالك الصغيرة جماعات فنية حتى لقد اعتبر هذا العصر بحق أزهى عصور الفن الأندلسي بالرغم من التدهور السياسي الذي أخذ يدب في جسم دولة الاسلام بالأندلس ، ويصيب سلطان المسلمين في هذه البلاد وزحف الاسترداد الأسباني زحفا حثيثا على حين استغرق ملوك الطوائف في الملاذ ، وعكفوا على اللهو ، واستنموا لحياة الترف ومظاهر الرقة التي كانت تنعم بهما الأندلس في ذلك العهد ، ولاذوا بالجزيات الألفونسو السادس انتقاء لشبه ورغبة في خطب سلمه ومرضاته ، حتى ظهر يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في المغرب ، وتعلقت آمال الأندلس بنجدته بعد أن ضايقهم ألفونسو في طلب الجزية . فعبر ابن تاشفين الزقاق الى الأندلس والتقت جيوشه وجيوش قشتالة في واقعة الزلاقة ، فكانت هزيمة النصاري وبداية عصر المرابطين في الأندلس .

وقد بلغ ملوك الطوائف في الترف والرقعة الغاية ، وأقاموا القصور السامقة والآثار الجليلة الرائعة وقد بالغ المؤرخون العرب في وصفها ، ومن أهمها قصر ابن ذي النون في طليطلة ، وقصر الجعفرية بسرقسطة وقصر القصبة بمالقة .

## قصر المأمون بن ذى النون بطليطلة :

شيدته ملك طليطلة المأمون بن ذى النون ( فى ٤٤٥ هجرية ١٠٦٣ م ) ، وأتقنه الى الغاية ، وأنفق عليه أموالا طائلة ، وصنع وسطه بحيرة ، وصنع فى وسط البحيرة قبة من زجاج ملون مخقوش بالذهب ، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ، ويتصل بعضها ببعض ، فكانت قبة الزجاج فى غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجرى ، والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولا يصل اليه ، وتوقد فيها الشموع ، فيرى لذلك منظر بديع عجيب .

وقال ابن حيان عن ابن جابر فى وصف أحد مجالس هذا القصر وهو مجلس المكرم : « وكنت ممن أذهلته فتنة ذلك المجلس ، وأغرب ما قيد لحظى من بهى زخرفة الذى كاد يحبس عينى عن الترقى عته الى ما فوقه ، أزاره الرائع الدائر بأسه حيث دار (١) ، وهو متخذ من رفيع المرمر الأبيض المسنون الزارية صفحاته بالعاج فى صدق الملاسة ونصاعة التلوين ، قد خرمت (٢) فى جثمانه صور الجهائم ، وأطياف ذات ثمار ، وقد تعلق كثير من تلك التماثيل المصورة بما يليها من أفنان أشجار وأشكال الثمر ما بين جاد وعابث ، كما تعلق بعضها بين ملاعب ومثاقف ، ترنو الى من تأملها بألحاظ عاطف كأنها مقبلة عليه أو مشيرة اليه !! وكل صورة منها منفردة عن صاحبها متميزة من شكلها ، تكاد تقيد البصر

(١) يقصد بذلك الكسوة الرخامية التى تغطى الجزء الأدنى فى الجدار .

(٢) يعنى الزخارف الحيوانية التى حفرمت فى هذه الكسوة الرخامية حفرا غائرا عميقا من شأنه إبراز هذه الاشكال حتى تبدو كالتماثيل

عن التعلنى الى ما فوقها ، قد فصل هذا الازار (١) عما فوقه كتاب (٢) نقش عريض ، التقدير ، مخرم محفور ، دائر بالمجلس الجليل من داخله ، قد خطه المنقار (٣) أمين من خط التزوير ، قائم الحروف بديع الشكل ، مستعين على البعد ، مرقوم كله بأشعار حسان ، قد تخيرت من أماديح مخترعه المأمون .

وفوق هذا الكتب الفاصل فى هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الابريز ، وقد أجريت فيه أشكال حيوان وأطياف وصور أنعام وأشجار تذهل الأبصار وتقيد الأبصار .

وأرض هذه البحار (٤) مدحوة من أوراق الذهب الابريز ، مصورة بأمثال تلك التصاوير من الحيوان والأشجار بأتقن تصوير وأبداع تقدير (٥) . وأضاف قائلا :

« ولهذه الدار بحيرتان قد نصبت على أركانها صور أسود مصوغة من الذهب الابريز أحكم صياغة ، تتخيل لتأملها ، كالحة الوجوه فاغرة الشدوق ، ينساب من أفواها نحو البحيرتين الماء هونا كشيش القطر أو سحالة اللجين ، وقد وضع فى قعر كل بحيرة منها حوض بديع يسمى المذبح ، محفور من بديع المرمر ، كبير الجرم ، غريب الشكل ،

(١) اشتقت هذه الكلمة من الازار وهو رداء يغطى الجزء الاسفل من الجسم من الوسط حتى تضى الساقين ومنه فعل تازر ال أحاط بحزام أو نحوه ومازالت هذه اللفظة تستعمل فى اللفظة الاسبانية بالمعنى الذى أشرنا اليه فهى بكسوة من الرخام أو الزليج تغطى الاجزاء الدنيا من الجدران (Alizar)

(٢) افريز أو طراز من الكتابة يحيط بأعلى الجدار .

(٣) الآلة التى ينقش بها النقاش .

(٤) افريز أو طراز أرضيتها مزججة وأنزلت بالذهب .

(٥) انظر ابن بسام : « الفخيرة » قسم رابع مجلد اول ص ١٠٢ - ١٠٣



بديع النقش ، قد أبرزت من جنباته صور حيوان وأطياف وأشجار (١) ،  
وينحصر منها في شجرتي فضة عاليتي الأصلين غريبتى الشكل ، محكمتي  
الصنعة ، قد غرزت كل شجرة منهما وسط كل مذهب بأدق صناعة ، يبرق  
فيهما الماء من المذهبين ، فينصب من أعالي أفنانهما انصباب رذاذ المطر  
أو رشاش التنديّة ، فتحدث لمخرجه نغمات تصبى النفوس ، ويرتفع  
بذروتها عمود من الماء ضخّم منضغط الاندفاع ، ينساب من أفواهها ،  
ويتلأشخاض أطيافها وثمارها بالسنّة كالمبارد الصلّية ، يقيد حسنها  
الألحاف الثاقبة ، ويدع الأذهان الحادة كليله » .

هذا الوصف المعبر الذى ينطق بما كان عليه هذا القصر يجلو لنا  
ما كان يقوم به المأمون لتجميل قصره ، كما يشير الى الدور الذى لعبته  
البحيرات في تجميل القصر ومجالسه ، وقد اندثر هذا القصر ، ولانعرف  
عن أمره شيئاً يذكر . على أن بطليطة لا يوم آثار قصر يعرف بقصر  
جاليانا في فحس نهر تاجة ، ويغلب على الظن أنه هو المنية أو القصر  
الشهير الذى شيده أبو الحسن يحيى المأمون بن ذى النون .

وقد نسج المؤرخون الاسبان حول هذا القصر قصصاً من الفروسية  
والأساطير ، وتروى هذه القصص أن أميرة مسلمة تدعى جاليانا كانت  
تعيش فيه ، وبعد مغامرات عجيبة الشأن انتهى بها الأمر الى أن تتزوج  
الامبراطور شارلمان . وقد بقى من هذا القصر جزء مستطيل أقيم في  
طرفيه طبقتان تؤلفان برجين كبيرين ، وتتكون الطبقة الدنيا من قاعة  
متوسطة ، وتتخلل جدرانها فتحات .

والبناء على الطراز الطليطلى تتناوب فيه صفوف الحجارة و صفوف

---

(١) يشبه هذا الحوض حوض مدينة الزاهرة الذى عثر عليه في اشبيلية ،  
وفيه هذه الزخرفة الحيوانية النباتية نفسها .

الآجر ، أما القبوات فمتعارضة ، وقد بقيت بعض عقود نصف دائرية قليلة التجاوز ، وأخرى مفصصة في مداخل الغرب • أما الخزارف فمن نوع المدجن ، وتحمل رنوك أسرة قزمان مما يفسر الى حد كبير صحة هذه الرواية (١) •

### قصر الجعفرية بسرقسطة :

ومن ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود ملوك سرقسطة ، وما اليها ، ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وولى بعده ابنه المستعين أحمد سنة سقوط طليطلة عام ١٠٨٥ م واستشهد عام ١١٠٩ م بظاهر سرقسطة • وكانت سرقسطة في عهده « جنة الدنيا ، وفتنة الحيا ، الوصف ، وموقف السرور والقصص (٢) » •

وقصر الجعفرية من بناء أبي جعفر أحمد المقتدر بالله عام (١٠٤٧ — ١٠٨١ م) كما يثبت ذلك نقش بأحد تيجان أعمدته وقد سمي بالجعفرية نسبة الى كنيته « أبي جعفر » ، وقد كان المقتدر يسميه « مجلس الذهب » وفيه يقول :

قصر السرور ومجلس الذهب

بكمما بلغت نهاية الارب

لو لم يحز ملكي خلاfkما

كانت لدى كفاية الطلب

---

Marqués de Lozoya : Historia del arte Hispanico t. I, p. 237.

(١) « نفع الحبيب » ج ٢ ص ١٧٠ •

(٢) المرجع نفسه ١ ص ٤١٧ •

وما كادت سرقسطة تقع في أيدي 'النصارى' حتى تحول القصر إلى دير ، ثم إلى حصن استقر فيه ملوك أرغون ، ثم ألحقت به عدة مقصورات دينية. نذرت لسان جورج ، ثم أضيف إليه في عهد الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا قاعة العرش الرائعة عام ١٤٩٢ م . غير أنه ما لبث أن أقيمت فيه محكمة التفتيش بسجونها الرهيبة ، ثم دعمه فينيب الثاني بمعقل وحفر من حوله خندقا .

وفي عهد إيزابيلا الثانية تحول إلى معسكر سنة ١٨٦٦ م ، فهدمت المقصورة الكبرى التي شيدها بدرو الرابع ، وجردت منها زخارفها الإسلامية الرائعة .

ويقول جوميث مورينو في ذلك : « أنه عمل بربرى يندى له الجبين من أشد النقطة سوادا في تاريخ اسبانيا (٢) » . ولم يستثن من هذا العمل الهمجي سوى المصلى الذي يؤلف بزخارفه — مع ما يحتويه متحفا سرقسطة ومدريد من تيجان أعمدة وعقود جصية رائعة كل ما بقي من بنى هود .

ومن العسير أن نتصور ما كان عليه هذا القصر قبل أن يعتريه هذا انتشويه ، ولكن لدينا تصميما حربيا يصور هذا القصر عام ١٧٥٧ م . وقد استطاع سافرون أن يقيم على هذا التصميم دراسة علمية هامة .

والقصر على مسافة قصيرة من ربض المدينة على نهر ابرة ، ويتألف من سور مستطيل ( ٨٠ × ٦٨ م ) يدعمه تسعة عشر برجا أسطوانيا



الشكل (١) عدا برج التكريم فقد كان مربع الشكل ، بداخله عقود متجاوزة • وفي وسط هذا البناء صحن مستطيل تدور به أروقة جانبية على حين كانت تطل على جانبيه القصيرين مجموعتان من الغرف كل منهما تتألف من قاعة في الوسط وغرفتين جانبيتين ، كما هو الحال في قصور بنى نصر بغرناطة وقصور المدجنين (٢) • وكان بناء هذا القصر من الملاط •

وكان الى جانب برج التكريم قاعة كبيرة لعلها مجلس الذهب الذى كان يعتز به المقتدر ، وتنفتح في جانبيها غرفتان احدهما يشغلها المسجد الذى مازال قائما حتى وقتنا هذا وكانت هذه القاعة الكبرى تتصل جنوبا بالصحن • وكان يقابله في الجهة الأخرى قاعة تسمى قاعة الرخام نسبة الى كثرة أعمدتها الرخامية • وقد كشفت بأكفة من العقود الاسلامية كانت تتصل بأسطوان المدخل الرئيسى على أثر هدم جزء من مقصورة سان جورج التى في جنوب قاعة الرخام • وتتألف هذه البائكة من ثلاث عقود كلها غلو في التعقيد الزخرفى وعقودها طبقتان ، احدهما فوق الأخرى ، والدنيا منهما من عقود مفصصة متقاطعة ، فوقها عقود أخرى تتداخل فيها الخطوط المستقيمة بالمنحنيات • وفيها نشهد اتجاه الفن الأندلسى اذ ذاك الى الاسراف في التعقيد والغلو في حشد الزخرفة والتوسل بالعقود المتقاطعة التى تظهر فيها التوريقات المتشابكة والتشجيرات المتداخلة •

أما المصلى فبابه مدجن ، أما داخله فمثنى الشكل ، وأصله مربع

---

(١) يتشابه هذا القصر في احاطة الابراج المستديرة والقصور الاسلامية المنبثة بالصحراء ما بين سوريا والعراق كقصر المشتى والاخضر ، فى حين تتشابه تفاصيله المعمارية الداخية وزخارفه والعناصر المعمارية والزخرفية للفن الخلافى القرطبى •

(٢) هم اهل الدجن أى المسلمون الخاضعون للنصارى •

طول ضلعه ٤٦ م من المتر تحول الى مئمن بأن أقيمت في أركانه أنصاف  
حوائط • ويشغل المحراب الركن الجنوبي الشرقي ، وتعلوه قبيبة  
مفصصة قوقعية الشكل ، ومدخله على شكل عقد متجاوز يشبه عقد جامع  
قرطبة ، يحيط به افريز مستطيل وفي بنية قوقعتان ، أما سنجاته  
فمحشوة بالزخرفة وملساء بالتناوب ، ويزين الجدران السبعة الأخرى  
عقد أصم شديد التعقيد من النوع الذى تختلط فيه الخطوط  
والمنحنيات (١) • ويحيط به افريز بارز يتخذ الشكل نفسه ، وتحمل  
هذه العقود أعمدة ملتصقة بالجدران ، ويجرى بالأجزاء العليا من  
جدران المصلى طراز زخرفى تعلوه بائكة زخرفية ، تتألف من عقود  
مزدوجة مفصصة تقوم على أعمدة صغيرة • ويرجع الأستاذ تورى  
ألبا أستاذ الفنون بجامعة سرقسطة أن هذا المسجد كانت تعلوه قبة قائمة  
على ضلوع متقاطعة على النحو الذى نراه في قبة المسجد الجامع  
بتلمسان •

وليس هذا المسجد — على حد قول أحد مؤرخى الفن الاسبان —  
بيننا لصلاة ، « وانما هو بيت للفن يضم أروع ما أبدعه الفن  
الأندلسى (٢) » • أما العقدان المحفوظان اليوم في متحفى مدريد  
وسرقسطة فكانا يزينان القاعة الرئيسية • وكانت هذه العقود فيما  
يظهر أربعة موزعة على الجدران الأربعة للقاعة ، وفيها يستحيل على  
المرء أن يتقصى امتداد خطوطها ، اذ هى تشابك وتتداخل فيما بينها  
بطريقة ساحرة فريدة •

ويحتفظ متحف سرقسطة بمجموعة رائعة من تيجان الأعمدة

Gomez Moreno, Op. Cit. p. 226

(١) انظر :

J. Galiay, El Castillo de la Aljoferia, 1906, p. 20.

(٢)

المرمرية التي تمثل لنا مقدار التطور الذي بلغه الفن الأندلسي بعد أن تحرر مما كان يغلب عليه من تأثيرات سابقة على الإسلام ، ونلمس في هذه التيجان حرية الأداء التي طبعت هذه التيجان بطابع من الرشاقة وأضفت عليها قواما أسطوانيا يحمل في أعلاه رأسا مكعبا • وتكسو هذه التيجان زخارف قوامها ورقة الأكش • والتوريقات الدقيقة التي حُفرت على طبقتين حفرًا غائرًا يبرز هذه الزخارف •

ولا تزال في متحف سرقسطة أشلاء كثيرة من هذا القصر نجهل مكانها منه ، وتتألف من ألواح رخامية وشمسيات جصية ان دلت على شيء فعلى ما وصل إليه الفن الإسلامي في الأندلس من تعقيد رائع يعجز عنه الوصف ، ويعتقد لامبيريث أن قصر الجعفرية هو الأصل الذي حاكاه عرفاء الموحدين في اشبيلية وبنو نصر في غرناطة : ففي هذه الأبنية يغلب طابع الضعف ، ويشبع استعمال الزخارف الحصية لقلعة الأحجار كذلك أثر قصر الجعفرية في عمائر الموحدين وعمائر بني نصر ، من حيث تصميم الصحن المستطيل والمجانبات المحيطة به (١) •

#### قصر بني حمود بقصبة مالقة :

كان علي بن حمود الحسني وأخوه قاسم من سلالة ادريس ابن الحسن مؤسس دولة الأدارسة بقاس قد أجازا مع البربر من العدو إلى الأندلس ، وأزرهما البربر ، فملكا قرطبة سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) ، وقتلا سليمان المستعين ، وقام بالأمر من بعده علي بن حمود الذي تلقب بالناصر • ودام له الملك عامين إلى أن قتله صقاليتة سنة ١٠١٨ م ، فولية كانته أخوه القاسم وتلقب بالمأمون • وتنازعه الأمر يحيى بن علي

(١) Ricardo del Arco : La Aljaferia de Zaragoza, Revista «Arte Español», No. 5, 1926, p. 166.



بن حمود ، وكان قائما على سبتة ، فأجاز الى الأندلس سنة ١٠١٩ م واحتل مالقة ، وكان أخوه ادريس واليا عليها منذ عهد أبيه ، فبعث أخاه الى سبتة ، وزحف يحيى الى قرطبة ، فاستولى عليها سنة ١٠٢١ م وتلقب بالمعتلى ، وأخذ يوسع رقعة مملكته ، فاستولى على الجزيرة الخضراء ثم خضع له أهل شريش سنة ١٠٢٥ م وظل قائما بالحكم حتى هلك عام ١٠٣٧ م ، وخلفه أخوه ادريس بن علي وضم اليه رندة والمرية ، ولكنه هلك عام ١٠٣٩ م وبويع ابنه يحيى ، ولكنه فر الى قمارش .

ثم توالى الأحداث على هذا النحو بين أبناء العم ، وأخذ المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ، وقد انتهز الفرصة ، وانتزع من بنى حمود المدنية اثر المدينة ، فسقطت أركش ومورور ورندة سنة ١٠٥٣ م ، ثم سقطت في يده الجزيرة الخضراء سنة ١٠٥٥ م واستولى ابنه المعتمد على جيان سنة ١٠٧٤ م ، وما لبثت دولة بنى حمود أن انقرضت على أيدي المرابطين .

وقد شغلت الحروب والمنافسات والفتن الداخلية أفراد هذه الأسرة عن العمارة والتشييد . ويبدو أن يحيى بن علي هو الذي قام ببناء هذا القصر بقصبة مالقة ، ولم يبق من هذا القصر الذي أضيف اليه في عصر بنى نصر سوى قاعة يبلغ طولها ٧٥٠ من المتر ، وعرضها ٣ أمتار ، وتنتهى جنوبا بشرفة رائعة تطل على البحر ، وتبدو جدرانها من الخارج فقيرة البناء ، ولكن الزخارف التى تكسو أجزاءها الداخلية وثيقة الصلة بزخارف قصر الجعفرية .

وعندما بدئت الحفائر فى قصبة مالقة سنة ١٩٣٦ م لم يكن فى الحسبان اكتشاف مثل هذا الأثر الجليل الذى يرجع الى القرن الحادى عشر . ومدخل القاعة تزينه بائكة من ثلاثة عقود شديدة التجاوز ،

مكسوة سنجاتها بزخارف رائعة • ويسبق هذه البائكة رواق أعيد بناؤه في عهد بنى نصر كما يبدو من أسلوب التيجان ونوع العقود • وتطل هذه القاعة على صحن شأنها في ذلك شأن الجعفرية بسرقسطة ، وإلى وإلى غربها بناء مربع طول ضلعه ٥٠م ٢٠م المتر ويقوم في كل واجهة من واجهاته الأربع عقدان متقاطعان ، وينشأ من تقاطعهما عقد جديد يعلوها على النحو الذى نراه في عقود زيادة الحكم بجامع قرطبة • وهذه العقود جصية ملساء ، أما القاعة نفسها فكان يدور بجدرانها طراز بارز به زخرفة جصية لم يبق منه إلا أجزاء ملتصقة بالجدران •

وعقود المدخل تتألف من سنجات مزخرفة وأخرى عارية من الزخارف بالتناوب ، كما هو الحال في عقود جامع قرطبة بزيادة الحكم • أما زخارف عقود المدخل وعقود الشرفة فجصية متعددة الألوان ، تنتشر فيها التوريقات ، وتظهر بينها مراوح نخيلية طويلة ما تلبث أن تلتف حول نفسها ، وكيـزان الصنوبر ، وفي باطن هذه العقود لوحات موزعة في امتداد السنجات تحتشد فيها الزخارف الجصية التى تذكر بفن قرطبة وتمهد لزخارف قصر الجعفرية •

قصور اشبيلية في العصر الاسلامي

أصبحت اسباليين Hispalis (أو اشبيلية) منذ أن مصرها يوليوس قيصر وأعاد بنيان أسوارها ووسع عمرانها تجاه نهر بيطي الذي عرف في العصر الاسلامي بالوادي الكبير أو النهر الأعظم ، أعظم مدن اسبانيا الجنوبية ، وكان قيصر سورها وأمرها بقصبتين متقنيتين ترتفعان في وسطها ، وجعلها أم قواعد الاندلس (١) . ونعمت اشبيلية بهذا التفوق طوال العصر الروماني وحقبة طويلة من عصر القوط الغربيين ، فقد كانت حاضرة القوط ومقر ملوكهم الى أن نقل ليوفيلدو الحاضرة القوطية الى طليطلة في سنة ٥٦٧ م ، وتعرضت أسوارها المنيعة لهجماته في سنة ٥٨٣ (٢) . ومع ذلك فإن اشبيلية لم تتخل عن مكانتها السامية التي كانت تتبوأها ، وبقي فيها « شرف الرومانين وفقههم ودينهم ورياستهم في دنياهم » (٣) .

ووضع انتصار طارق بن زياد على جيوش القوط في وادي لكة في ٦ شوال سنة ٩٢ هـ (٢٥ يوليو ٧١١ م) نهاية لحكم القوط ، ثم زحف الى شذونة فافتتحها عنوة ومضى بعدها الى مدور وعطف على قرمونة ، ثم انحرف الى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ، وكان هدفه التالي مدينة استجة التي أطبق عليها من كل جانب حتى دخلها صلحا ، ومن هناك سير عسكر لافتتاح قرطبة في حين واصل زحفه نحو طليطلة العاصمة .

(١) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، منتحبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق من ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ١٩ .

(٢) Juan Mata de carriazo, Las Murallas de sevilla, en «Archivo Hispaliense» No 48 - 49, p. 21, 22.

(٣) اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، تحقيق لافونتي القنطرة ، مدريد ، ١٨٦٧ ص ١٦ .

وفي العام التالي جاز موسى بن نصير الى الاندلس في ١٨ ألف من العرب ، وتمكن من افتتاح اشبيلية بعد أن حاصرها أشهراً (١) ، وكانت آنذاك « أعظم مداين الاندلس ، شأنا وخطبا ، وأعجبها بديانا وآثارا » (٢) ، ولعل ذلك كان من جملة الاسباب التي دفعت به الى اختيارها قاعدة للاندلس ، بالإضافة الى مزايا موقعها الاستراتيجي على البحر المحيط عند مصب الوادي الكبير ، وارتباطها في يسر عن طريق البر والنهر بسائر مدن الاندلس الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ، وسهولة اتصالها بسواحل العدو من بلاد المغرب . غير أن اشبيلية لم تهنأ طويلاً بهذا التفوق ، اذا انتقلت الحاضرة منها الى أرطبة بعد أربع سنوات فقط من رحيل موسى بن نصير الى الشرق ، وتم ذلك على يد ي ابن حبيب اللخمي في نفس العام الذي لقي فيه عبد العزيز بن موسى مصرعه ( سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م ) .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد ازدهرت اشبيلية في عصر الولاة واستقرت بها أسرatus عربية مصرية وعلى الاخص يمنية ، فمن المصرية بنو الجد من أعقاب عبد الملك بن قطن الفهري (٣) وبنو الطفيل بن العباس من غطفان وكانت منازلهم بقرية قرشانة من الشرف (٤) ، وبنو عوف بن قررة بن ديسم من ذبيان (٥) ، وبنو عبد الرحمن بن عبد الله

- 
- (١) نفس المصدر .  
 (٢) نفسه ، ويذكر ابن الاثير أنها « من أعظم مدائن الاندلس بديانا وأعزها آثارا » ، الكامل في التاريخ ، طبعة صادر ، بيروت ١٩٦٥ ، ج ٤ ص ١٤ .  
 (٣) المقرئ ، فتح الطيبين غصن اندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ٤ ص ١٣ .  
 (٤) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٤٩ .  
 (٥) نفس المصدر ، ص ٢٥٤ .



الغافقى بمرينائه الغافقيين قرب لشبيلية على الوادى الكبير (١) .  
ونزلتها من اليمانية أسرات أكثر عددا تركت بصماتها واضحة في عدد  
من المواضع والقرى المحيطة بأشبيلية مثل قرية مقرانة (٢) التى يذكرنا  
اسمها بموضع من اليمن اتخذته الدولة الطاهرية حاضرة لها ، وليس  
من المستبعد ان يكون هذا الاسم قد أطلق على موضع نزلته إحدى  
قبائل اليمن التى استقرت في نواحي أشبيلية على غرار بعض المواضع  
التي نزلتها قبائل يمنية مثل قلعة خولان (Ios Gazules Alcala de)  
وقلعة يحصب المعروفة أيضا بقلعة بنى سعيد (وتعرف اليوم باسم  
Alecale la Real) ، وان كان الباحث الاثرى الاستاذ  
كوبافنتيس دى تيران Collantes de Teran يعتقد أن المقطع الاخير  
من مقارنة Macarena وهو يضاف عادة الى اسم علم للدلالة  
على صفة مثل Juliana التى تعنى عقارا يملكه شخص يدعى Julins  
وعلى مثالها Macarena التى تعنى قرية تنتسب الى شخص يدعى  
، ويعتقد كوياننتيس أن Macarena كانت موضعا أو  
قرية تقع على المحجة العظمى يقوم فيها برج للحراسة على نمط القرى  
التي كانت تتبع اقليم أشبيلية (٣) . ومن بين أسماء القبائل اليمانية  
التي استقرت بأشبيلية نذكر بنو الخيار بن مالك بن زيد من كهلان  
بن سبأ (٤) ، وبنو الضبيب من جذام (٥) ، وبنو ثوابة بن عدى وبنو

(١) نفسه ، ص ٣٢٩ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ تحقيق د . حسين مؤنس ، القاهرة  
١٩٦٣ ، ص ١٤٠ ويذكر ياقوت أنها حصن باليمن ( ياقوت ، معجم  
البلدان ، مادة مقراية ) .

Collantes de Teran, La Torre y la puerta de Macarena, en  
«Archivo Hispalense, No 43 - 44, Seirlla, 1950, p. 202.

(٣) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة  
١٩٤٨ ، وطبعة ١٩٦٢ ص ٢٤٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٢١

عباد من لخم (١) ، وبنو خادون الخصارمة (٢) ، كذلك استقرت باشبيلية طائفة كبيرة من المولدين نخص بالذكر منهم بنو انجلين Angelino وبنو شرقة Sabarico وبنو الجريح • Morce (٣) •

ولم يلبث الصراع بين العصبيتين اليمينية والقيسية أن وجد صداه في الاندلس في عصر الولاة وأصبحت البلاد مسرحا للفتن والاضطرابات فقدت اشبيلية خلالها كثيرا من تألقها ، وأثر ذلك بوضوح في عمرانها ، ولكن قيام الدولة الاموية في الاندلس في سنة ١٣٨ هـ وضع حدا لاقوامها ، ولم يززع استقرار الامارة الاموية في قرطبة المكانة السامية التي ظلت تنعم بها اشبيلية في ظل بنى أمية ، فقد ازدهرت هذه المدينة اقتصاديا وعمرانيا ، وعلى الاخص في عهد الامير الاموي عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) أول أمراء بنى أمية الذي عمل على تفخيم السلطنة بالاندلس بما شيده من قصور ومساجد وحصون وأسوار وما أسسه من مدن وما أحدثه من نظم ادارية ومؤسسات للحكم ، وأبرز اعماله الانشائية المسجد الجامع باشبيلية الذي تولى انشاءه قاضي اشبيلية عمر بن عديس في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ / ٣٨٠ م) (٤) • والى عبد الرحمن الاوسط يرجع الفضل كذلك في اعادة

(١) نفس المصدر ص ٤٢٣ •

(٢) نفسه ص ٤٦٠ •

(٣) ابن حيان ، قطعة من المقتبس في تاريخ رجال الاندلس ، نشرها الاب ملشور انطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ص ٧٤ ، وراجع كذلك

Levi - Provencal,

*L'Espagne musulmane au Xe siècle*, Paris 1932, p. 19, *Histoire de l'Espagne musulmane*, t. III, Paris, 1953, p. 18.

(٤) طالع النقش التذكاري لانشاء هذا الجامع في : Ocanan Jeimenez (M.) وقارت

*inscripcion fundacional de la mezquita de Ibn Adabbas de Sevilla*, al-Andalus, vol. XII, 1947, fasc. I, pp; 145 - 151, Levi - provencal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, 2 Vols, Paris 1931.

إنشاء دار الصناعة القوطية بأشبيلية بعد غارة النورمان على أشبيلية في سنة ٢٢٩ هـ (١) (٣٨٤٤) ، وفي إنشاء سور مدينة أشبيلية كذلك (٢) .

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد رفعت أشبيلية راية الاستقلال،

ولقد توصل الاستاذ أوكانيا خيمينث الى قراءة النقش قراءة صحيحة على النحو التالي : « يرحم الله عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل (الهندي) الأمر ببنيان هذا المسجد على يدى (مر) بن عديس قاضى أشبيلية في سنة أربع عشرة ومئتين وكتب عبد البر بن هرون » ، وهذه القراءة أصح من قراءة كل من أما دور دى لوسى ريوس في ١٨٧٥ ، ١٩١١ ، وليفى بروفنسال في سنة ١٩٣١ ، ولكنى أرجح أن اسم القاضى هو عمر بن عديس بدلا من عمر بن عديس الشائع ذكره في الروايات العربية ، وأسم عديس أكثر شيوعا بين الأسماء العربية من عديس ، ومن الجدير بالملاحظة أن النقش التذكارى يخلو من النقط وحروفه من الطابع الكلاسيكى البدائى الذى يذكرنا بالكتابات الكوفية القديمة ، الأمر الذى يدعونا الى قراءة الاسم هكذا حدد ابن حيان مدة حكم ابراهيم بن حجاج (المقتبس) ، تحقيق منشور ، ص ٨٥ ) في حين يخطئ ابن عذارى في تحديدها فيجعلها قبل ٢٨٨ هـ ويجعل ولاية ابيه عبد الرحمن من ٢٨٨ الى ٣٠١ هـ ( ٢ ص ١٢٩ ) بينما يذكر في ص ١٤٨ اسم ابراهيم بن حجاج بين وفيات عام ٢٩٨ .

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت .

(٢) ابن القوطية القرطبى ، تاريخ افتتاح الاندلس ، مدريد ١٨٦٨ ص ٦٥ ، وذكر ابن القوطية أن الوزراء اشاروا عليه ببنيان سور اشبيلية فوجه لذلك عبد الله بن سنان رجل من الموالى الشاميين ، وكان قريب الخاصة بعبد الرحمن بن الحكم وهو ولد ثم استقدمه وهو خليفة ، ثم حج البيت فقدم من الحج ووافق هذه الحركة فأخرج لبنيان السور بأشبيلية واسميه على أبوابها . « ويذكر الحميرى أن سور اشبيلية من بناء الامام عبد الرحمن بن الحكم ، بناء بعد غلبة المحبوس عليها بالحجر واحكم بناءها » ( الحميرى ، ص ٢٠ ) كذلك اشار معاوية بن هشام القرشى الشبنيى الى هذا السور الذى أمر عبد الرحمن الاوسط ببنائه بناء على توجيه من عبد الملك بن جيب « ( أرجع الى الملحق في كتاب المقتبس في أخبار بلد الاندلس لابن حيان ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٤٤ ) .

وخرجت عن فلك الإمارة الأموية بقرطبة وذلك بعد أن تغلب عليها أبو اسحق إبراهيم بن حجاج اللخمي (٢٨٦ — ٢٩٨) \* أحد رؤساء اشبيلية وزعمائها من بيت بني حجاج وكان من أشهر البيوتات العربية في هذه المدينة ، فجبى الأموال واصطنع الرجال وارتقى في درج الجلال (١) ، وكان زعيماً قوياً بعيد المهمة جميل الذكر ، امتثل أمراء قرطبة في اتخاذ بلاط تسوده الأبهة والقحامة ، وكان يلقد أمراء قرطبة (٢) قاتخذ لنفسه جنداً كما يفعل الأمراء رتب لهم الارزاق فكمل في مصافه ٥٠٠ فارس (٣) ، وكان له باشبيلية قاض فضل في الخصومات ويقوم بالاحكام ، وصاحب مدينة يقيم الحدود ، كما كانت له باشبيلية طرز يطرز فيها على اسمه كما يفعل الأمير الأموي (٤) وبالإضافة إلى هذا كله استقدم الشعراء والعلماء من الاندلس وخارجها ، فقد انتجعه شاعر قرطبة الأكبر أبو عمر أحمد بن عبد ربه (٥) كما قصده الشاعر القرطبي محمد بن يحيى القلفاط (٦) ، ووفد اليه أبو محمد العذري من الحجار فأكرم مثواه ورقع منزلته (٧) . وذكروا أنه تسمع بجارية بغدادية تدعى قمر ، قبذل في ابتياعها من بغداد أموالاً طائلة إلى أن استقرت بدار مملكته اشبيلية ، وكانت بارعة الجمال ،

- 
- (١) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٢٤ .
- (٢) يذكر ابن الخطيب انه كان يضاهاى الملوك ، وأن حاله حال الملوك مصافاً وانعاماً ( المصدر السابق ص ٣٥ ) .
- (٣) ابن الأبار ، الحلة السراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج ٢ ص ٣٧٦ — ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٦ .
- (٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ب ج ٢ طبعة ليفي بروفنسال وكولان ، ص ١٢٧ .
- (٥) ابن الأبار ، المصدر السابق ص ٣٧٦ — ابن عذاري ، المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٧ .
- (٦) نفس المصدر ، ص ٣٧٧ — ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
- (٧) ابن حيان ، المقتبس ، نشر انطونية ص ١٣١ ، ابن عذاري ، نفس المصدر ، ص ١٢٨ .



قصيدة اللسان ، عارفة بالغناء وصوغ الالحان (١) ويذكر المقرئ أنها « جمعت أدبا وظرفا ، ورواية وحفظا ، مع فهم بارع ، وجمال رائع ، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها » (٢) .

واستمر بنو حجاج يحكمون اشبيلية بعد وفاة ابراهيم بن حجاج في ٢٩٨ هـ في شخص ولده عبد الرحمن ( ٢٩٨ — ٣٠١ هـ ) ثم أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج ( ٣٠١ هـ ) الى أن اعتلى الأمير عبد الرحمن بن محمد دست الامارة بقرطبة ، ونجح في لم شتات الاندلس وجمع ما انفط من عقدها في عهود أسلافه ، فاستسلم له أحمد بن مسلمة بن حجاج بعد أن حاصرت قواته بقيادة قاسم بن وليد الكلبى صاحب الشرطة وحمد بن ابراهيم بن حجاج شهورا من سنة ٣٠١ هـ ( ٩١٣ م ) واستعمل عليها الأمير عبد الرحمن عامله سعيد بن المنذر القرشي المعروف بابن السليم ( ت ٣٢٦ هـ ويذكر الحميري انه ) هدم سورها وألحق أعاليه بأسافله ، وبني القصر القديم المعروف بدار الامارة وحصنه بسور رفيع وأبراج منيعة (٣) وظل ابن السليم يتولاها الى أن استقدمه الأمير الى قرطبة ووليها من بعده فطيس بن أصبغ (٤) .

ثم انتشر سلك الخلافة الاموية بقرطبة في عام ٤٢٢ هـ ( ١٠٣٠ م ) وتبع ذلك قيام عدد من الدويلات المستقلة في جميع أنحاء الاندلس

---

(١) ابن عذاري ، نفس المصدر ، ص ١٢٨ ، المقرئ ، نفح الطيب ج ٤ ص ١٣٧ .

(٢) المقرئ ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) الحميري ، صفة جزيرة الابدلس ، ص ٢٠ ، ٢١ وقارن ذلك بابن حيان ، المقتبس الجزء الخامس ، نشره شالميتا ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٨٠ ، وابن عذاري ، المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٦٤ .

عرفت بدويلات الطوائف ، فتغلب الامراء والرؤساء من البربر والعرب الصقالبة بالبلاد ، وتغلب بعضهم على بعض ، استقل بأمر هذه البلاد ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ، فقامت باشبيلية دولة بنى عباد أكبر دويلات الطوائف ، وهم الذين عملوا على جمع شتات آل الاندلس ولم شعبهم وتنظيم عصبية أندلسية قوامها العناصر العربية والمولدة والصقلية ، عرف أصحابها بالجماعة ، كان من أهم أهدافها مناهضة الطائفة البربرية (١) . ولم يمض عهد طويل حتى كانت مملكة بنى عباد قد اتسعت اتساعا كبيرا على حساب أمراء البربر والقرب المنتزين في الجنوب والجنوب الغربي من شبه جزيرة الاندلس ، وهم بنو برزال بقرمونة ، وبنو افرن برنده ، وبنو دمر بمرور ، وبنو خزون بأركس ، وبنو يحيى بلبله ، وبنو الكرى بولبة ، وبنو جهور بقرطبة ، وبنو طينور بمرتله ، وبنو طاهر مرسية .

وشهدت اشبيلية في عصر بنى عباد ازدهار لم تشهده من قبل ، لا في عصر الرومان ولا في عهود القوط ، وفاقت سائرا أمصار الأندلس حتى عدت أعظم مدن الاندلس بعد أن تخلت لها قرطبة عن الرئاسة ، ويعبر ياقوت عن ذلك بقوله : « وبها كان بنو عباد ، ولقائهم بها خربت قرطبة » (٢) . وكان المعتمد بن عباد أندى ملوك الاندلس راحة ، ولقائهم بها خربت قرطبة » (٣) . وكان المعتمد بن عباد أندى ملوك الاندلس راحة ، وأرحبهم ساحة واعظمهم ثمادا ، وأرفعهم عمادا ، ولذلك كانت اشبيلية في زمنه بؤرة الرحال ، وقبلة الامال ، ومركز الشعراء ، ومجتمع الادباء ، وبينما كان شعراؤه يعبرون بقصائدهم

---

(١) ابن الجطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١١٦ ، وراجع السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ص ١٥١ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة اشبيلية .

(٣) الحلل الموشية ، تحقيق د . سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ص ٩١ — ٩٧ . وراجع ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ص ٣١٩ .

الرقيقة عن حياة الترف والرخاء التي نعت بهما اشبيلية في عهده ، كان بناؤه يعبرون بمنشآتهم الفخمة موزونة الابعاد ومنسقة الجدران عن الازدهار العمراني الذي واكب النهضة الحضارية في مملكته ، ولكن لم يتح لاشبيلية أن تتعم طويلا في ظل بني عباد ، إذ سرعان ما أسقط المرابطون عروش الطوائف ، وضموا الاندلس الى دولتهم في المغرب . ولم ينس المرابطون رغم جفدتهم وخشونتهم العسكرية ، وفي زحمة مشاغلهم الحربية واستغراقهم في الجهاد أن يمهروا اشبيلية بسور من الملاط اتسع ناطقه فشمّل أرباطها الغربية كربض مقرانة يمنع عنها مطامع الارغونيين والقشتاليين ، خاصة يعد الغزوة الجريئة التي قام بها الفونسو الاول المحارب ملك أرغون في سنة ٥١٩ هـ ( ١١٢٥ م ) واكتسح فيها أراضى الاندلس حتى غرناطة (١) .

الا أن العصر الذهبي في تاريخ اشبيلية لم يبدأ بحق الا بدخول الموحدين في الاندلس ، فقد اتخذها خلفاء الموحدين حاضرة لهم في

(١) عن النشاط العمراني لموحدين في اشبيلية راجع : عبد الملك بن صاحب الصلاند ، تاريخ المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ١٩٦٤ — ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، تحقيق امبروسيد اويثي ميراندا ومحمد بن تاويت ، تطوان ١٩٦٣ — ابن أبي زرع ، كتاب الانيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الجزء الثاني طبعة تورنبرج أو بمسالة ١٨٤٣ .

Henri Terrasse, L'art Hispano maures eue, Paris, Paris 1932.

Henri Terrase, Sanctuaires et Forteresses alu ohades, Paris 1932.

L. Torres «Balbas, Ars Hispaniae, Vol. IV, Madrid

السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور في الاندلس .  
مجموعة أقرأ ١٩٥٨ — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ : المغرب الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٦ .

بالاندلس ، فاستردت عظمتها وبلغت في عهودهم ذروة توسعها العمراني ، وعمرت بالأسواق والمتاجر والقصور والعمائر (٢) . فأبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان حريصا على تجميل حاضرة دولته في الاندلس ، فانطلقت في عهده باشبيلية حركة التعمير والترتب على ذلك ازدياد نشاط الموحدين المعماري ، وازدانت اشبيلية على عهده بالمنشآت المتنوعة والمتنزهات والمنيات ، وأبو يوسف يعقوب المنصور كان مسرفا في تزيين حاضرتة وتنظيم تخطيطها سيما بعد انتصاره على جيوش قشتالة في موقعة الارك ( ١٠ يوليو ١١٩٥ م ) . وظلت اشبيلية تحظى برعاية الموحدين خليفة بعد خليفة الى أن ضعفت دولة الموحدين في أعقاب هزيمة العقاب وتساقط قواعد الاندلس التي كانت تؤلف خط الدفاع الأمامي لاشبيلية ، ثم دخلتها جيوش قشتالة في ٢٣ ديسمبر ١٢٤٨ بعد حصار دام ما يقرب من ١٧ شهرا .

كانت اشبيلية منذ منتصف القرن الحادي عشر وحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي من أعظم مدن العالم ، وقد أقر الاخباريون المسلمون والمسيحيون على السواء بتفوقها وبالمكانة السامية التي كانت تتبوأها في هذه الفترة ، لقد بالغ مؤرخو العرب في وصف روائع اشبيلية وما كانت تنفرد به دون غيرها من حواضر الاندلس ، وكانت على حد قول بعضهم عروس بلاد الاندلس وقاعدتها « مدينة الادب ، واللو والطرب ، وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشأن ، طيبة المكان ، لها البر المديد والبحر الساكن والوادي العظيم (١) » ، وكانت اشبيلية وفقا لما أورده الادريسي « مدينة كبيرة عامرة ، ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة وبيع وشراء ، وأهلها مياسير ، وجل تجارتهم بالنزيت يتجهز به الى أقصى المشرق والمغرب برا وبحرا » (٢) .

(١) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٩٣ .

(٢) الادريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق اخترق الافاق ، ليدن ١٩٦٨ ، ص ١٧٨ .



ويمتدحها ياقوت الحموى فيقول « مدينة كبيرة عظيمة ، وليس بالاندلس اليوم ( أى فى عصره ) أعظم منها ، تسمى حمص أيضا ، وبها قاعدة ملك الاندلس وسريره » (١) • واعتبرها ابن سعيد المغربى فى عصر الموحدين احدى القواعد الكبرى الباقية فى أيدي المسلمين (٢) ويبالغ الشقندى فى وصف عظمتها وتسجيل محاسنها فيقول : « اما اشبيلية فمن محاسنها : اعتدال الهواء وحسن المبانى ، وتزين الخارج والداخل ، وتمكن التمر • وأما مبانيتها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام أصحابها بها ، وكون ديارها لا يخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة ، كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك • • » وعن علمائها يضيف قائلا : « وأما علماءها فى كل صنف رفيع أو وضعى جدا أو هزلا فأكثر من أن يعدوا ، وأشهر من يذكروا ، واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فما لو قسموا على بر العدو ضاق بهم ، والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم » • ويختتم وصفه لمزايا اشبيلية ومحاسنها معبرا عن عظمتها وسمو مكانتها بقوله : « وما من جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس ، فما تخلو بلادها من ذلك ، ولكن جعلت اشبيلية ، بل الله جعلها أم قراها ، ومركز فخرها وعلاها اذ هى أكبر مدنها ، وأعظم أمصارها » (٣) • ويذكر ابن بسام أنها « على قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربى من الجزيرة وقراره الرياسة ومركز الدول المتداولة • • • » (٤) •

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة اشبيلية .

(٢) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ص ١٢١ •

(٣) نفس المصدر ، ج ٤ ص ٢٠٠ •

(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس قسم ٢ مجلد ١ ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١١ •

وكما امتدحها المسلمون في مصنفاتهم وبالغوا في ذكر فضائلها وتسجيل محاسنها ، حظيت بأعجاب المسيحيين ، فأسرفوا في إبراز روائعها ، وأغرقوا في امتداح معالمها ، واعتبروها في مصياف المدن العظمى في العالم ، فهذا ريكاردودي سان جرمان يقرنها برومة والقسطنطينية ويعدّها أكثر مدن العالم عمراناً (١) ، وهذا بابلودي لسبينوزا دي لوس مونتيروس يؤكد أنه لم تكن تضاهيها - لعظمة عمائرها وفخامتها - أي مدينة في العالم باستثناء رومة العظمى (٢) . وعندما يشير ديجو أورتيث دي ثونييجا إلى سقوط قرطبة في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة يعتبره أعظم مدن العالم بعد رومة والقسطنطينية واشبيلية (٣) .

وهكذا كانت اشبيلية في نظر المسلمين والمسيحيين على السواء من أجل مدن العالم الوسيط ، وقد امتدحها الكثيرون ممن أرخوا لاسبانيا الاسلامية أمثال العذري (٤) وابن غالب (٥) ، وصاحب منهاج الفكر (٦) وابن مفلح (٧) والشقندي وغيرهم كما مدحها أيضا خستوشو (٨) ورود

(١) Italia Sacra, to III, A pud. Repartimiento de Seirlla, estudios y edicion preparada por Julis gonzalez, t. I, Madrid 1951, p. 10.

(٢) Pablo de Espinosa de los Monteros, Antigüedades y grandeza de Sevilla, p. 22.

(٣) Zuniga (Diego Ortiz de) : Anales Ecclesiasticas y seculares, t. I, Madrid 1796, p. 131.

(٤) العذري ، ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٥٠ .

(٥) ابن غالب الاندلس ، قطعة من كتاب فرحة الانفس نشرها الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٣ .

(٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥١ وفي هذا النص يذكر أنها « من أحسن مدن الدنيا » .

(٧) يسمي ابن مفلح اشبيلية « عرويس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفي عنقها سمط النهر الاعظم » . المقرئ ، ج ١ ص ١٩٣ .

(٨) Gestoso, Sevilla mounimentaly artistica, t.I, pp. 15, 16.

يجو كارو (١) ولكنها لم تبق من التمجيد والتفخيم مثل ما مدحها به الملك الفونسو العاشر في تاريخه العام لاسبانيا حيث يصفها دائما بالمدينة النبيلة (٢) .

هذه المدينة العظيمة التي أجمع المؤرخون على تفوقها على مدن الاندلس بل العالم ، وأسرفوا في ذكر فضائلها وإبراز مفااتها تجاوزت شهرتها الافاق لكثرة منازرها ومغانيها ، وروعة قصورها وتأنق مبانيها ، فما أكثر أسماء القصور التي سجلها المعتمد بن عباد في شعره الذي ضمنه ذكرياته وأجزائه ، وما أبدع ما رده منها ابن زيدون الوزير في بعض قصائده . وقد رأيت أن أقدم في الصفحات التالية دراسة شاملة تاريخية وأثرية لقصور أشبيلية في العصر الاسلامي ، راعيت فيها الترتيب الزمني مع الالتزام بنوعيتها الاداري والترفيهي .

## أولا - قصر الامارة

### أ - قصر الامارة الاول :

قبل أن يرحل موسى بن نصير الى المشرق اختار مدينة اشبيلية مقرا للامارة ، وعهد الى ابنه عبد العزيز بولاية الاندلس ، فأتخذ عبد العزيز مسكنه في قسم من كنيسة ربينة Santa Rufina حيث أقام ثجاهاها مسجدا عرف بمسجد ربينة (٣) كان يشرف على مرج اشبيلية ، وفيه قتل عبد العزيز في سنة ٩٧ هـ ، ويذكر ابن القوطية أن آثار دمائه كانت ماثرا واضحة داخل هذا المسجد حتى عهد قريب من عصر ابن القوطية

2) Caro (Todrigo) : Antigüedades y principado de la ilustrísima ciudad de seirlla, Seirlla, 1934.

3) Cronica General de Espana, Alfonso X, ed. Menendez Pidal, pp. 768 - 769.

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الايدلس ، ص ١١ .





المطراكية (١) ، وأنه كان قريبا من جامع ابن عديس ، وأنه كان مزودا بروضه دفن فيها هشام بن عبد الرحمن الاوسط أحد أولاده (٢) ، كذلك نستدل من حوادث التي اقترنت باسترجاع الخليفة عبد الرحمن الناصر لاشبيلية في سنة ٣٠١ هـ أن هذا القصر كان يضم مجلسا يعرف بالأخضر (٣) .

أما جامع ابن عديس المذكور فقد تجول بعد سقوط اشبيلية في يد فرناندو الثالث في سنة ١٢٤٨ الى كنيسة سان سلفادور ، ثم هدم المسجد بمرمته في سنة ١٦٧١ وأقيمت مكانه الكنيسة الحالية التي تم بناؤها في سنة ١٧١٢ م . أما المئذنة فقد تهدم جزؤها العلوى عقب زلزال سنة ١٣٥٩ ، فأقيم مكانه طابق للنواقيس ، ولم يتبق من المئذنة الاسلامية سوى القسم الأدنى حتى ارتفاع ٩٥ متر (٤) . وتقع اثار هذا الجامع حاليا في حومة قريبة من منتصف شارع سيربيس احد الشوارع المستقيمة في المدينة .

الجامع المذكور في المصادر التاريخية هو جامع ابن عديس المذكور في المصادر الحديثة .

(١) نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ، تحقيق بدرو شمليتا ، مدريد ١٩٧٩ ص ٧٩ واسم الأخضر يطلق أيضا على قصر أو حصن أقيم في العصر العباسي الاول ويرجع تاريخ بنيانه الى منتصف القرن الثاني للهجرة ( على محمد مهدش ، الأخضر ، بغداد ١٩٦٩ ص ٧١ ) . ومن المعروف أن أمراء بني أمية اطلقوا على مجالس قصورهم أسماء قصور عباسية اقيمت في العراق من ذلك قصر التاج الذي ورد ذكره في جملة مجالس قصر الامارة بقرطبة ويذكرنا بقصر التاج العباسي الذي اقامه الخليفة المعتضد في بغداد ، وكذلك قصر المعشوق بقرطبة يذكرنا بنظيره في سامراء وكذلك قصر البديع وقصر المختار بقرطبة وهما اسمان لقصرين من قصور العباسيين في سامراء ( راجع السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ص ١٩١ ) .

وواضح ان استخدام الامويين لاسماء قصور عباسية إنما يعكس التأثيرات العراقية في البناء الحضاري الاندلسي .

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٤٠٢ .

الرئيسية باشبيلية الحديثة ، وهو شارع مازال يحتفظ في تخطيطه بنفس  
تخطيط المحجة العظمى القديمة .

أما القصر فلم يتبق منه « أي أثر » ، فقد ضاعت معالمه بسبب  
التطور العمراني الحديث الذي قضى على معظم الأبنية الإسلامية في  
اشبيلية ، ولكن من السهل تحديد موقعة بالقرب من كنيسة سان سلفادور  
الحالية .

### ب — قصر الامارة الثاني المعروف بالقصر القديم :

ذكر ابن عذاري المراكشي أن الجاج بدر بن أحمد تمكن من  
دخول اشبيلية بعسكر الامير عبد الرحمن بن محمد دون قتال (١) في  
١٩ جمادى الاولى سنة ٣٠١ هـ (٢) (٩١٣ م) ، في حين يؤكد ابن حيان  
أن ذلك تم يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الاولى من نفس  
السنة (٤) ، فأقام بها خمسة عشر يوما كاملا ثم خرج قافلا عنها إلى  
قرطبة يوم الاثنين لاحدى عشر ليلة بقيت من جمادى الاولى أي في يوم  
١٩ جمادى الاولى (٣) وهو التاريخ الذي يضعه ابن عذاري لدخوله  
اشبيلية .

وبينما يشير ابن عذاري إلى نكوث محمد بن ابراهيم بن حجاج  
لطاعة الامير بعد أن استسلم له ( أي للامير ) أحمد بن محمد بن مسلمة  
بن حجاج ، وتغيره له ، ثم امتناعه بقرطبة ، وقيامه بمهاجمة اشبيلية  
بعد ذلك منتهزا تهدم بعض سورها ، وتصدى عاملها له وارغامه له على

- 
- (١) ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٣٠ .  
(٢) نفس المصدر ، ص ١٦٣ .  
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ص ٧٩ ، ويؤيد الحميري في  
الروض المعطار هذا التاريخ وص ٢٠ .  
(٤) نفس المصدر ، ص ٨٠ ، ٨١ .

الانشحاب التي قرمونة (١) ، (بمعنى أن مشور اشبيلية كان مهذا في بعض اجزائه وانه طمع فيها لذلك لولا أن عامل اشبيلية تمكن من إيقاع الهزيمة به وارغمه على الرجوع ) يؤكد ابن حيان في المقتبس ان سعيد بن المنذر القرشي الذي ولاه عبد الرحمن الناصر عاملا على كورة اشبيلية وصل اليها بعد متبعة أيام من دخول الحاجب بدر بن أحمد واستقراره باشبيلية ، وان هذا العامل دعا الحاجب الى هدم سور مدينة اشبيلية ، فكرة بدر ذلك ، وشاور فيه وجوه من معه من رجال السلطان وأهل ولايته اشبيلية ، فاختلفوا عليه . وقال فريق منهم هي مدينة ساحلية لا يؤمن عليها من قبل البحر ، وبقاء سورها أحرم مع أنه من بنيان عبد الرحمن بن الحكم ، فخرج سعيد بن المنذر في هدمه ، وقطع على صواب إتاحة المدينة ، وأن ذلك أحوط على السلطان وأحسم لطمع من يبغي الفتنة فساعدته الحاجب بدلا على ذلك ، وجمعت الأيادي على هدم أسوارها فسويت بالأرض ، ونكس عوامها رقابهم ويثبوا من الفرقة (٢) . ثم يتابع ابن حيان عرضه لموقف محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب قرمونة بعد ان تنكب على الناصر ، فيذكر أنه تحرك في قواته الى اشبيلية منتهزا عورتها أي خلوها من الأسوار ، فهجم على مدينة اشبيلية صباح يوم ٣ من رجب سنة ٣٠١ هـ « وهي بهدم أسوارها عورة » فحاربه سعيد بن المنذر القرشي عامل الأمير عبد الرحمن الناصر داخل أرباضها قسما من النهار ، وأرغمه على العودة خائبا من حيث أتى (٣) .

في ذلك يقول ابن عذاري : « خرج محمد بن حجاج من قرمونة بجيشه ، فوصل اشبيلية عند الصباح ، فهجم عليها وكان بعض صورها مهدما ، فطمع فيها ، فخرج اليه العامل عليها من قبل السلطان فهزمه عنها ، فرجع الى قرمونة » ( ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ ) ومع ذلك ففي موضع آخر يذكر ابن عذاري ان الحاجب بدر هدم أسوارها

(١) في ذلك يقول ابن عذاري : « خرج محمد بن حجاج من قرمونة بجيشه ، فوصل اشبيلية عند الصباح ، فهجم عليها وكان بعض صورها مهدما ، فطمع فيها ، فخرج اليه العامل عليها من قبل السلطان فهزمه عنها ، فرجع الى قرمونة » ( ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ ) ومع ذلك ففي موضع آخر يذكر ابن عذاري ان الحاجب بدر هدم أسوارها (ص ١٦٤) .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ص ٨٠ .

(٣) نفسه ص ٨٢ .

(٤) نفسه ص ٨٢ .

ولاستبعد أن يكون سعيد بن المنذر ، عامل اشبيلية ، قد هدم في جملة ما هدمه من اسوار باشبيلية ، قصر الامارة المجاور لجامع عمر بن عبدس ، وهو نفس القصر الذي كان أمية بن عبد الغافر النوالي السابق ، قد حوله الى قصبة منيعة ليحتمي بداخلها من هجمات بنى خلدون وبنى حجاج ، اكتفاء بقصر الامارة الجديد الذي اعترم المشروع في بنائه في موقع استراتيجي هام من اشبيلية أكثر قربا من الوادي من الجانب الشرقي لاشبيلية . ونستدل على ذلك من قيامه ببناء دار الامارة الجديدة التي يسميها كل من البكري والحميري « القصر القديم » (١) قياسا الى قصر الامارة الاعظم الذي أسسه بعد ذلك المعتضد بن عباد وأضاف فيه ابنه المعتمد قصوره المشهورة : المبارك والثريا والزاهي . ومن المرجح أن اقدام سعيد بن المنذر على هدم القصبة القديمة إنما حدث بعد شروعه في بنيان القصر القديم ، وقد يكون هذا الهدم قد نفذ فيما بعد في عصر لاحق . ومن المعروف عبد الرحمن الناصر استقدم سعيد بن المنذر من اشبيلية وولى عليها فطيس بن أصبغ في شعبان من سنة ٥٣٠١ هـ (٢) ، أي بعد شهرين ونصف من ولايته عليها فلذا كانت المصادر العربية تنسب القصر القديم وتحصينه بسور صخري مربع وابراج منيعة لسعيد بن المنذر ، فإن هذه النسبة لا يمكن أن تلحق به دون مبررات ، ونعتقد لذلك أن سعيد بن المنذر شرع بالفعل في بناء القصر القديم وترويده بالسور الحجري والابراج المنيعة خلال هذه المدة القصيرة ، وأن عامل اشبيلية الجديد — فطيس بن أصبغ — هو الذي استكمل بنيان القصر المذكور مدة ولايته على اشبيلية التي استمرت فيما يظهر ١٤ سنة (من شعبان سنة ٣٠١ هـ الى شوال سنة ٣١٥ الذي يسجل تاريخ توليه الوزارة) (٣) .

- (١) البكري ، جغرافية الاندلس واوروبا ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١١٤ .
- (٢) ابن خيyan ، المقتبس ، الجزء الخامس نشر شمالييا ، ص ٩٨ .
- (٣) نفس المصدر ص ٢١٤ .



ويبدو ان الموقع الذى اختاره سعيد بن المنذر لانشاء القصر القديم أو دار الامارة المستحدثة كان فى الاصل حصنا لعله أقيم فى عهد عبد الرحمن الأوسط فى جملة الانشاءات التى أمر عبد الله بن سنان بتنفيذها بعد غزوه النورمان فى سنة ٢٢٩ هـ ، فقد كانت العادة ان تحمى مدن الاندلس قصاب تقع فى مواقع استراتيجية منها بهدف تمكن الدفاع عنها حتى بعد سقوط هذه المدن فى أيدي الغزاة ، والموقع الذى تخيره سعيد بن المنذر لمشروعه من المواقع الهامة التى يمكن ان تتحكم فى الدفاع عن المدينة فى أوقات الخطر أو الحصار ، واليه امتد العمران الاشبيلي فى عصر الطوائف والعصور التالية . ويؤيد اعتقادي فى أن الموقع الذى اختير لاقامة مشروع ابن المنذر كان فى الاصل حصنا أو قلعة ان المهندس الاثرى دون فيلت ارناديث تمكن من تمييز قطاع صغير من سور من الحجر يشبه فى بنائه الى حد كبير نظام البناء فى قصبة ماردة وذلك داخل مجموعة القصر الحالى شرقى القصر الذى تم انشاؤه زمن الملك الشقثالى دون بلدو الاول (١) ، وقد سماه المهندس المذكور انذاك السور الشامى (El Muro siriano) . اعتقادا منه بأنه البقية الباقية من السور الذى أنشأه عبد الله بن سنان الشامى زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط أو أنه له علاقة بقصر الامارة الاول الذى تحول فيما بعد الى قصبة والواقع كما سبق أن أوضحنا — ان القصبة المذكورة كانت تقع قريبا من مسجد عمر بن عبدس ، وعلى هذا الاساس لا يمكن ان يرجع هذا القطاع من السور الى القصبة المذكورة ، كما ان سور اشبيلية الاسلامى الاول لم يكن يطوق الا المركز العمرانى القديم ولم يكن يصل بأى حال من الاحوال الى منطقة القصر الحالى . ولهذا السبب نستبعد ان يكون هذا القطاع المذكور جزءا من سور عبد الله بن سنان ، ونعتقد بالتالى فى احد أمرين الاول اما أن يكون بقية من

3) Jose Guerrero Lovillo, al - Qasr al - Mubarak, Sevilla, 1974, p. 99.

قلعة كانت قد اقيمت في عصر عبد الرحمن الاوسط في هذا الموضع خارج اشبيلية للدفاع الخارجى عنها أو ان يكون لها علاقة بأحد قصور بنى عباد ، ومن المعروف أن بنى عباد اعادوا استخدام احجار السور المتخرب الذى يرجع الى عهد عبد الرحمن الاورط في بنیان قصورهم •

ويذهب صديقى الباحث الاثرى الاستاذ جبرير ولوبيو — ونحن نؤيده في ذلك — ان جزءا من القصر القديم الذى شرع سعيد بن المنذر في بنائه ، وتم بناؤه في عهد خلفه ، ما يزال قائما اليوم ، ويتمثل هذا الجزء في التحصينات المحيطة بهو البنود الحالى المطل على ميدان النصر (١) • ومما يؤكد هذا الرأى الباب الذى تم اكتشافه اخيرا ، (٢) وكان يفتح في الجدار الغربى من بهو البنود السابق ذكره ، ثم اغلقت فتحته في عصر لاحق ، وفتحة الباب المذكور تتخذ شكل عقد حدوة الفرس تجاوز كثيرا نصف الدائرة ، تسنيجه مركزى على نسق العقود التى

José Querrero Lovillo, op. cit, p. 90.

(١) كانت الحوائط السياحية تتوزع على جانبي الشارع الضيق المواجه للسور الغربى من بهو البنود ويسمى حاليا شارع دون خواكين روميرو ميريوي ، بحيث تحجب رؤية تفاصيل السور المذكور ، الى أن أمر العالم الاثرى الاشبيلي الصديق المرحوم دون خواكين روميرو ميريوي مدير قصر اشبيلية منذ ما يقرب من ٢٥ عاما بإزالة هذه الحوائط المساندة للسور ، فتكشف بذلك بنیان السور المذكور ، وامكن مشاهدة هذا الباب المسدود . وللأسف لم يقدم أى باحث اثرى منذ ذلك الحين على دراسة هذا الكشف الهام ولقد تنبعت منذ سنوات مضت وبالذات منذ سنة ٩٧٥ — عندما زرت اشبيلية لالتقاء سلسلة من المحاضرات في جامعتها بدعوة منها — الى أهمية هذا الكشف ، وعزمت آنذاك على الكتابة عنه ، وواتنتى الفرصة في سنة ١٩٧٨ وحى ١٩٨٠ لذلك عندما انتدبت مديرا للمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرى مستشارا ثقافيا للسفارة المصرية فعادت الزيارة عدة مرات ، وكتبت في ١٩٧٩ بحثا عن تحقيق اسماء قصور بنى عاد باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون ، بمجلة اوراق التى يصدرها المعهد الاسباني العربى للثقافة ، العدد الثانى ، سجلت فيه اشارة الى هذا الاكتشاف ( ص ٣٢ — ٣٤ )

التي نشهدها في الابواب الخارجية لجامع قرطبة ، ويرجع تاريخ بعضها الى عصر الامارة ، وتطوق العقد المذكور طرق مربعة الشكل ( أو تربيعية على حد التسمية الاسبانية farbea ) تبرز مع وجه البناء عن العقد وطبلته . وبينما يعلو هذا العقد عقد مخفف للضغط نصف دائري تتعاقب فيه سنجات ضخمة وأخرى رفيعة ، يقطع طيلة العقد المتجاور عتب أفقى مسنج ، ومنبتا العقد يرتكزان على حداريتيه قائمتين على عضادتين من نفس بناء أسور . ومن الجدير بالملاحظة ان مداмик البناء في السور الذي يفتح فيه الباب المعقود تنتظم على أساس آدية وسنادي وهو نظام بنائي أقدم عهدا من النظام الشائع في عصر الطوائف ، ويتفق مع طريقة البناء التي نطالعها في جامع قرطبة . وطبلة عقد الباب أكثر انخفاضا في مستواها من وجه العقد ، والعقد بوجه عام يتشابه كثيرا مع عقد باب سان ميغل المعروف بباب الامير ( ويرجع تاريخه الى عصر الامير محمد وكان يشرع الى المقصورة القديمة ) ، وعقد باب سان استييان المعروف بباب الوزراء . وينحصر الخلاف في ان العتب في بابي قرطبة المذكورين يمتد تحت طبلة العقد في حين يتوسط في اشبيلية الطبلة . واعتقد أن هذا الباب الاشبيلي بفتحته المغلقة ، والاسوار المتصلة به ، هو البقية الباقية من قصر الامارة القديم الذي أقيم في بداية عهد الامير عبد الرحمن بن محمد الملقب فيما بعد بعبد الرحمن الناصر لدين الله ، وواضح من فتحة العقد ، وطريقة تسنيجه المركزي ، وشكل طرته المحيطة بقوسه ، وطريقة توزيع مداмик البناء ، أن الاسلوب المتبع في البنية أقدم عهدا من أسلوب البناء في مدينة الزهراء ، بل وفي عقود صومعة جامع قرطبة ، وفي نفس الوقت أكثر تطورا من عقود عصر الامارة ، وأعتقد انها مرحلة انتقالية بين عصر الامارة وعصر الخلافة ، الامر الذي يتفق تاريخيا مع الفترة التي أقيم فيها القصر القديم باشبيلية في عصر عبد الرحمن الناصر .

ويمتد السور يمين هذا الباب ويساره ، وتكتنفه أبراج مربعة



الشكل ، تتميز اجزاؤها السفلى بنفس اسلوب البناء في جدران الشباب المذكور ( انظر الاشكال المرفقة ) كما تنقسم بقدمها وضخامة احجام احجارها وصلابتها ، فتصل كتلة الحجر أحيانا الى ٧٥ سم طولا و ٥٠ سم ارتفاعا ، وتتناوب هذه الكتل الضخمة في كثير من الاحيان مع كتل تتوزع عرضيا متبعة النظام المعروف بأدية وشناوى • ومظهر الضخامة والصلابة اللذين تتميز بهما هذه الابراج وما يتصل بها من بدئات السور تتفق تماما مع الوصف الذي سجله كل من البكري والحميري لبناء هذا ( السور ) إذ ورد في وصفهما ما يلي : « وحصنه ( أى حصن القصر ) يسور صخر رفيع وابراج منيعة » •

### ج - القصر المستحدث في عهد المعتضد بالله أبى عمر وعباد بن اسماعيل ( ٤٤٣ - ٤٦١ هـ ) :

يُغلب على الظن أن قصر الامارة القديم ( ونعنى به قصر سعيد بن المنذر ) ظل في عصر الفتنة التى أعقبت سقوط الخلافة بقرطبة مقرا للقاسم بن حمود وولده محمد (١) ، فلما تمكن أهل اشبيلية من اغتلاق ابواب مدينتهم في وجه حمود (٢) ، وحاصروا ابنه محمد بن القاسم القصر ، الى أن رضى منهم بتسليم ابنه مع من كان معه من الحراس ، ورحل بهم الى شريش (٣) ، اتفقوا على تقديم قاضيهم أبى القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمى (٤) يرجعون اليه أمرهم ، وتجتمع

- (١) العذرى ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
- (٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، عصر الطوائف ، تحقيق ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ ، ص ١٣٤ ، ١٩٦٠ .
- (٣) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، قسم ١ ، مجلد ٢ ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١٧ .
- (٤) وجده عطف نعيم دخل بالانديلس في طاعة بلج بن بشر القشيري ، واستقر مع بنية في قرية يومين من اقليم طشانة من ارض اشبيلية ( ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٣٥ ) .



به كلمتهم ، لكياسته وحكمته وبعد مرقى همته ، وسعه صدره وحسن تدبيره ، ولكنه تهيّب الاستبداد ، وخاف عاقبة الانفراد فأشرك معه في الامر اعوانا وشركاء كان لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث حدثا الا بمشورتهم ، هم : الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، ومحمد بن الالهاني ، وأبوا لأصبغ عيسى بن حجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن علي الهوزني (١) ، وقيل أن شركاءه ثلاثة هم : الزبيدي وابن عباد وعبد الله بن مريم وانهم كانوا يحكمون في القصر طوال اليوم ، وينفذون الكتب تحت ثلاثة خواتم وينصرفون في نهاية اليوم ، (٢) وواضح ان القاضي أبا القاسم محمد انما اشركهم معه في أمور اشبيلية ليروض بهم الامور ويستميل العامة الى أن يضرب ضربته وينفرد بالامارة ممثلا في ذلك رسم ابن يعيش صاحب طليطلة (٣) . وقد أثبت أبو القاسم محمد بن عباد براعة في ادارة شؤون اشبيلية ، ولم يلبث أن استقل بالامر دون شركائه وأسقط جماعتهم في سنة ٤١٤ هـ (١٢٠٣ م) ثم رأى ان يستند في امارته على سند يدعمه في نظر العامة ، ويمكن به نفوذه بين ملوك الطوائف ، فاستقدم رجلا يشبه الخليفة هشام المؤيد ، زعم انه اتخذ اشبيلية بدلا من قرطبة مقرا لخلافته ، واحتفل بقدمه ، وأنزله بقصر اشبيلية في سنة ٤٢٦ هـ (١٣٠٤ م) ، ومع ذلك فلم تسلم اشبيلية من اعتداء قام به كل من زهير العامري وجيوس بن ماكسن

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩ ص ٩٤ .

(٢) ابن عذاري ، ج ٣ ص ٣١٥ . وذكر ابن عذاري في موضع آخر انهم كانوا جماعة منهم بنو أبي بكر الزبيدي النحوي ، وبنو مريم ، وبنو العربي وغيرهم من نظرائهم .

(٣) نفسه ، ص ١٩٦ — ابن الأبار ، الحلة السراء ص ٣٧ .

(٤) استولى على أمور طليطلة عند قيام الفتنة فعمير من رؤسائها منهم ابن مسرة ومحمد بن يعيش المذكور وسعيد بن شنظير ويعيش بن محمد بن يعيش الذي انفرد في نهاية الامر بالسلطان (راجع الحلة السراء لابن الأبار ، ج ٢ ص ٣٧ هامش ٥ للدكتور حسين مؤنس) .

الصنهاجي اللذين هاجما اشبيلية في ذي القعدة سنة ٤٢٧ هـ وأحرقا طريانة (١) .

وهكذا ظل قصر الامارة الذي بناه سعيد بن المنذر مقرا للقاضي ابن عباد الذي استقدم شبيهه هشام المؤيد سواء من قلعة رباح في (٢) رواية او من قرية من قرى اشبيلية حيث كان يؤذن في مسجدنا ويعمره ويتعوف من العمل في الحلفاء ، في رواية أخرى (٣) ، وانزله ابن عباد معه في القصر (٤) ، اذ ليس لدينا من النصوص ما يؤكد قيام هذا القاضي ببناء قصر جديد للامارة قبل انفراده بالامارة ولكن من المعتقد ان ابنه ابا عمر وعباد المعتضد بالله ( ٤٣٣ — ٤٦١ هـ ) هو الذي انشأ قصرا جديدا للامارة لعله دار الامارة العبادية (٥) ليتخذ مقر له (٦) ، في حين ترك القصر القديم لشبيهه هشام الذي توفي ونستدل على انشاء هذا القصر العبادي المستحدث من وصف البكري ( ت ٤٨٧ ) للقصر الاموي بالقديم ومعنى ذلك وجود قصرين احدهما حرف بالقصر القديم

- 
- (١) ابن عذارى ، ج ٣ ص ١٩١ .  
 (٢) ابن عذارى ، ج ٣ ص ٣١٥ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق د. احسان عباس ج ٥ ص ٢٢ .  
 (٣) نفس المصدر ، ص ١٩٩ ، ابن الخطيب ، كتاب اعمال الاعلام ، طبعة بيروت ص ١٥٤ .  
 (٤) نفس المصدر ، ص ٣١٥ .  
 (٥) كان المعتضد بالله عباد رغم استبداده وسطوته وكثرة جرائمه السياسية التي سجلها عهده « لم يصر عن الهمم العالية والرتب الملوكية ، فابتنى القصور السامية ، واعتبر العمارات المغلة ، واقتنى الاعلام النفسية » ( ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٠٥ — ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .  
 (٦) وفي قصر المعتضد هذا دفنه ابنه المعتمد في نفس تربة جده القاضي محمد بن اسماعيل ( ابن الاثير ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ٥٣ ) ونستنتج من ذلك ان هذا القصر كان يضم روضة او مقبرة لاصحاب القصر والهم ، على نحو ما كان معروفا في قصر الخلافة بقرطبة ، وروضة الحمراء بغرناطة .

وهو القصر الذى ابتناه ابن المنذر والثانى القصر المستحدث الذى تظن انه من بناء المعتضد ولم يفصح عنه البكرى وان كان قوله يحمل ضميا انه كان قائما فى زمنه . واعتقد ان هذا القصر العبادى المستحدث هو نفس « دار الامارة » التى أشار اليها ابن عبد الواحد المراكشى فى معرض حديثه عن حيل المعتضد بالله فى التجسس على أعدائه (١) ، ولعله نفس القصر الذى سجن فيه ولده اسماعيل فى سنة ٤٤٩ هـ ثم قتله بيده (٢) ، وربما يكون هذا القصر العبادى هو نفس « القصر المكرم » الذى اجتمع ذو الوزارتين ابو بكر بن القصيرة فى احدى قاعاته مع المعتمد بن عباد فى اليوم الذى خرج فيه ابن عمار معه الى شلب لتفقد اعمالها (٣) وفى هذه الحالة تصبح لفظة « المكرم » صفة لقصر الامارة العبادى كالشأن فى تعظيمنا لجامع قرطبة اذ يطلق عليه الجامع المكرم أو الجامع الاعظم (٤) ، بدليل أن ابن صاحب الصلاة يصف قصور الموحديين بأنها القصور المكرمة (٥) . ولا نعتقد اطلاقا ان المكرم قصر

- (١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٩٩ .
- (٢) ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٤٤ .
- (٣) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ص ٥ .
- (٤) يعتقد الاستاذ دون خوسى جيريرو لوبيرو فى بحثه القيم عن القصر المبارك ان صفة المكرم وهى نفسه صفة جامع قرطبة الذى دسم بالمكرم اطلقت على قصر آخر غير قصر المبارك ولكنه أحدث منه عهدا . كما يعتقد ان هذا القصر كان يشغل الموقع الذى تشغله اليوم شوارع امبارو ، وفيريا وابو سنتادرويس ، وريخينا ، وخيروينمو أرناذت المسمى قديما بشارع العربى ، شارع سورا نخيلا دى لا كروش المسمى قديما بشارع القصور وتتوسطها جميعا الكنيسة المعروفة اليوم بسان خوان دى لا بالما . ويستند الاستاذ لوبيرو فى هذا الزاى على الاسماء القديمة لبعض هذه الشوارع ويشير بعضها الى وجود قصور ، كما يستند على أن هذا القصر من الابنية والشوارع كان يتلقى مياهه من الانبوب المكسور ، ومن البئر المقدمة ، وهما تبعا يقعان فى هذه الجهة ظل حتى بداية العهد المسيحى يقومان بوظيفتهما ، ومما يميز رؤية انه تم الكشف فى هذا القطاع نفسه عن عدد من الآثار أو شارع ليستار رقم ٩ عثر فى نهاية القرن الماضى على حوض للمياه رائع كان يتمصب فى احدى مجالس الزاهرة ثم اعيد استخدامه فى احدى قاعات =

آخر غير قصر الامارة ، لانه لم يرد له ذكر في جملة قصور بنى عباد  
الواردة في شعر المعتمد نفسه وهو في منفاة قد برح به الشرق وأمضه  
الالم :

= القصر العبادي الذي يفترض أن يكون موقعة في ذلك الموضع كما عثر  
بعد ذلك في النواحي القريبة على لوحة تذكارية مثبتة بأحد الجدران  
الخارجية لكنيسة سان خوان دي لا بالما محفوظة اليوم بالمتحف  
الاهلي للآثار في اشبيلية نقشت فيها بخط كوفي رائع كتابة تشير الى  
انشاء مسجد بأمر السيدة زوج المعتمد بن عباد . وكان يقع بالقرب  
من هذه الكنيسة في الشارع المعروف اليوم باسم ابو سنتا درويش ،  
حمام كبير مزود بعدة قاعات فسيحة كان ما يزال يقوم بوظيفته حتى  
القرن السادس عشر . ويرى الاستاذ لوبيو ان العثور على هذه الآثار  
في منطقة ممددة تحديدا دقيقا مع نقش يتضمن اسم أحد افراد أسرة  
المعتمد ، يحملنا على الظن بأن هذه الآثار الى علاقة وثيقة بقصر  
عبادي كبير ( انظر :

Nerrero Lovillo, al - Qasr (al - Mubarak, p. 96

غير أن الأدلر التي يستند عليها الصديق العالم الاثرى دون خوسى  
جيريرو لوبيو ليست من القوة بحيث يمكن الاعتماد عليها لتأكيد وشوع  
قصر عبادي بهذه المنطقة ، فالنقش الذى يشير الى بناء المسجد في  
هذه المنطقة لايعنى بأى حال ان بمسجد السيد كان قائما داخل اشبيلية  
زمن الموحدين ( ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصارى  
كتات الذيل والتكملة ، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، سفر ١ ، قسم  
١ ، بيروت ص ٢٨ ) . وقد ثبت أن هذه السيدة هى أم المعتضد عباد  
( ابو عبد الله بن محمد بن عبد الملك الانصارى ، نفس المصدر السفر  
قسم ٢ تحقيق الدكتور احسان عباس ص ٥٣٩ ) وانها اكملت مسجدتها  
المنسب اليها في امارة ابنها المعتضد ، وان أحد العلماء واش فرج  
بن حديدة البطلبيوس تولى الاقراء في هذا المسجد الى أن توفى في ١٣  
المحرم سنة ٤٨٠ . فانه لا يتعلق اذن بموقع قصر وانما بموقع مسجد  
ينسب الى شخصية ما شأنه شأن مئات المساجد الى كانت تزخر بها  
اشبيلية في عصر ولا يعرف أن مؤسس المعتمد قصرا في هذه المنطقة المكتظة  
بالسكان ، وكل ما في الامر ان عمل السيدة زوج المعتمد لايعدو عملا  
من اعمال البر في منطقة شعبية من مناطق اشبيلية ، وكثيرا ما قامت  
ماقامت نساء امراء بنى أمية وجارياتهم بأعمال مماثلة في قرطبة مثل  
مسجد شفاء ومسجد مدثر ومسجد طروب ومسجد أم سلمة ومسجد  
متعة ومسجد عجب ، دون ان يكون لمواقع هذه المساجد أى علاقة بقيام  
قصور او منشآت اميرية . أما اكتشاف خوض المياه من المدينة الزاهرة  
فلا يشكل شذوذ أو يعبر عن غرابة ، فقد كان شائعا في عصر بنى =



بكي المبارك في اثر ابن عباد . . . بكي على اثر غزلان وآساد

= عباد . بل وفي عهد الموحيدين اعادة استخدام مواد بنائية وتماثيل من ابنية قديمة ، بدليل ان صومعة جامع اشبيلية تضم عددا كبيرا من تيجان اعمدة قرطبية ، وكذلك يضم بهو الجص بل قاعة السفراء نفسها التي يرجع تاريخ بنائها الى عهد الملك القشتالي دون بيدرو الاول ، والقاعة التي تعلوها في قصر اشبيلية عددا منها ، فالمعروف ان ابن باشه والوزير ابن السقاء اسفلا اطلال الزهراء استغللا فاحشا ومنظما ، فاستأصلاها بالهدم والتخريب لبيع انقاضها من رخام وحجر وقراميد ومرمر وبلور وخشب وورصاص القنوات ونحاس الابواب ( ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ٢ ص ٨٢ ) وبدا الهدم الفعلي لقصور الزهراء والزاهرة في أيام ابي الوليد محمد بن جهور ، « وكان رسل الاملاك ( يقصد رسل ملوك الطوائف ) تأتي لشراء تلك الالات بأعلى الاثمان ( ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ١١١ ) وقد زار ابو يوسف يعقوب المنصور اطلال الزهراء في سنة ٥٨٦ للتأمل في اثار العهود الاموية البائدة ، ومر بنزع تماثيل الزهراء فأزيل واقتلع من اثارها ما بقي من اعمدة اعيد استخدامها في مؤذنة جامع اشبيلية بل نقل بعضها الى غرناطة ومراكش .

وهكذا لا ينهض الحوض الاموي في هذه المنطقة دليلا على وجود قصر عبادي كبير فيها ، كما ان وجود حمام كبير في المنطقة لا يعني وجود قصر ، فما اكثر الحمامات التي اقيمت في اشبيلية في العصر الاسلامي ، وقد اكتشفت حماما يرجع تاريخه الى عصر المرابطين داخل حانوت لشراب الفقاع والنبيذ يسمى « بار الخير الدا » وسجلت عنه دراسة علمية صدرت في مجلة Archivo Hispalense بعنوان Al Sayyid Salem, Restos de un bano musulman en sevilla, en Archivo Hispalense, ano 1916, No 80, Sevilla, pp. 173 - 177.

كما اكتشفت اخيرا حماما اسلاميا داخل مطعم في نفس الشارع المتعامد على صومعة جامع اشبيلية يعرف بالميسون El Meson بقيت منه بعض قبوات وعقود .

ومع ذلك فاني مقتنع تماما بأن وجود هذه الاثار جميعا في منطقة واحدة انما يشير الى اهمية المنطقة عمرانيا ، ولكن الاهمية العمرانية يمكن ان تقلل على اساس عمراي بحت ، باعتبار انها تمثل القلب من اشبيلية الاسلامية بعد ان تناهت في الاتساع زمن المرابطين والموحيدين ، وليس دروريا على الاطلاق ان يكون لهذه الاهمية ثمة علاقة بوجود قصر للمعتمد ، فيكفي ان تشيد زوجه مسجدا حتى يجتذب هذا المجد افواجا من السكان ويكون هذا المسجد مقدمه لعديد من الابنية والدور .

(١) ابن صاحب الصلاة ، كتاب المن بالامانة ، ص ٣٥ ، ٤٦٤ .

بكت ثرية لا غمت كواكبها . . . بمثل نوء الثريا الرائح الغادى  
بكى الوحيد ، بكى الزاهى بقبته . . . والنهر والتاج كل ذله باد (١)

كذلك لانجد له ذكرا فى شعر ابن زيدون الذى ضمنه اسماء  
انقصور العبادية ومنها قصر المبارك الذى عرف بالقصر رده عدة  
مرات فى قوله :

وعدنا الى القصر الذى هو كعبة . . . يغاديه منا ناظر أو مطرف (٢)  
وفى قوله :

ورحت الى القصر الذى غص طرفه  
بعيد التسامى أن غدا غيره القصر (٣)

وفى قوله يصف القصر المبارك الذى يتوسطه قصر الثريا ، فيشبهه  
بوجنة يتوسطها خال ، ويقول :

أما الثريا فالثريا نسبة . . . وافادة وانافة وجمالا  
قد شاقها الاغاب حتى انها . . . لو تستطيع سرت اليك خيالا  
رفعة ورود كها لتغنم راحة . . . واطل مزاركها لتغنم بالا  
وتمثل القصر المبارك وجنة . . . قد وسطت فيها الثريا جالا  
وادر هناك من المدام أتمها . . . أرجا ذكا وأشفها جريالا

(١) الفتح بن خفان ، قلائد العقيان ، طبعة مصر ١٣٢٠ هـ ص ٢٤ —  
المقرى ج ٦ ص ١٠ ومن المعروف ان المبارك والثريا والوحيد والزاهى  
اسماء قصورينى عباد ، اما النهر فالمقصود به نهر الوادى الكبير الذى  
تظل عليه هذه القصور واما التاج فيقصد به مرتفعات الشرف المطة  
على النهر ، وقد جرت العادة فى العصر الاسلامى ان يطلق عليه اسم  
التاج ، فيقال تاج الشرف ( ابن عذارى ، ج ٤ ص ١٥٣ ) وقد يكون  
التاج اسما لقبه المعديس وهو الأرجح ، فقد ورد ذكره فى شعر  
ديوان ابن زيدون ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١١٥  
(٢) نفس المرجع ص ١٥٦ .  
(٣)

قصر يقر العين منه مصنع •• بهج الجوانب لومشى لا ختالا  
لازلت تفترش السرور حدائقا •• فيه وتلتحف النعيم ظلالا (١)

كذلك لم يرد ذكر القصر المكرم في أشعار المعتمد بن عباد التي  
نظمها في منفاه وسجل فيها حنينه المتواصل الى قصره الزاهر بمنطقة  
الشرف منبته الزيتون ، وقصوره الاخرى باشبيلية الاثيره لديه ، والتي  
يفصلها الوادى الكبير عن القصر الزاهر ، ييئها لوعته وأساها ، ويودعها  
أسمى عواطفه وأرق مشاعره من شوق وحنين وألم دفين ، يقول  
المعتمد :

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة  
أمامى وخلفى روضة وغدير  
بمنبته الزيتون مورثة العلا  
يغنى حمام اوتدن طيور  
بزاهرها السامى الذرى جادة الحيا  
تشير الثريا نحونا ونشير  
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده  
غيورين والصب المحب غيور (٢)

وكانت تتقدم هذا القصر أو دار الامارة العبادية ساحة أو رحبة  
كانت تعرف في عصر الموحدين لعلها تطل على الوادى خارج باب  
شريش أو بالقرب من باب الفرج وهو المنفذ الذى تسلك منه المرابطون  
عند هجومهم على اشبيلية من جهة الوادى ، ومن هناك انتشر المهاجمون  
داخل المدينة ودخلو رحبة القصر القريبة من النهر (٣) •

(١) نفس المرجع ، ص ١٥٨  
(٢) الفتح بن خاقان ، قلائد العقبان ، ص ٢٥ ، نفح الطيب ج ٦ ص ١١  
(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ص ١٨٥ •

## ثانيا : قصور المعتمد بن عباد الملاصقة لقصر الامارة العبادي

وردت في المصادر العربية اسماء قصور أنشأها المعتمد بن عباد وتغنى بها الشعراء اهمها مجموعة القصر el alcazar وتضم قصر المبارك وقصر الثريا والقصر الزاهي والقصر الوحيد ونضيف اليها قصر الزاهر وبعض قصور ريفية أخرى •

**قصر المبارك :** اما قصر المبارك الذي ذاعت شهرته بين قصور بنى عباد جميعا لعظمته وبهائه وجمال زخرفته فقد اقامه المعتمد لصق قصر الامارة العبادي ، والظاهر أنه أراد بهذا القصر محاكاة خلفاء بنى أمية العظام بقرطبة ، الذين أسسوا بقصر الخلافة القرطبي قصورا ومجالس ، نذكر منها الكامل والزامل والمبارك فقد قلدا في اشبيلية واما السور ففي سرقسطة واما البديع ففي بطليوس • ولعل المعتمد بن عباد أراد أن يتظاهر بما كان يتظاهر به خلفاء بنى أمية من سلطان وعظمه عن طريق البناء ، ولهذا قلد بنى أمية حتى في أسماء قصورهم ، ونافسهم في قدرته على البنين • ويذكر الفتح بن خاقان ، « أن قرطبة كانت منتهى أمله وكان روم أمرها اشهى عمله ، وما زال يخطبها بمدخله أهلها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منزله قائد ، ولم يكن لها الا حصل ومكائد لاستمساكهم بدعوة خلفائها ، وأنفقتهم من طموس رسم الخلافة وعفائها » (١) • فلما استولى عليها قال :

من للملوك بشأن الاصيد البطل  
هيهات جاءتكم مهدية الدول  
خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت  
من جاء يخطبها بالبيض والاسل

(١) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢٢ •

(٢) نفس المصدر ، ص ١ •



وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها  
فأصبحت في سري الحلى والحلل  
عرس الملوك لنا في قصرها عرس  
كل الملوك به في مآتم الوجلل

ويكفي دليلا على منامسه اشبيلية لقرطبة قول الحصري المكفوف  
أبي الحسن علي بن عبد الغنى الشاعر يمتدح المعتمد :

أبنى عباد ما حسنت ••• الابكم الدنيا فقد  
دانت بغداد لقرطبة ••• وخلائفها للمعتمد  
سمعوا برشاد فتى لخم ••• فنفواها دون عن الرشيد  
يا فرع المنذر والنعمما ••• ن بلغت النجم فطل وزد  
طفئت انوار أمية في ••• قصر الخلفاء فقلت قد  
نافست بقصرهم أرها ••• فكأن أمية لم تشد (١)

وكان القصر المبارك من القصور التي ابتناها المعتمد للراحة واللهو  
وتبادل الانس مع أصحابه قد أمر بصناعة غز الين من ذهب، «فصنعا  
معا من سبعمائه مثقال خالصة ، فأهدى أحدهما الى الرشيد ابنه ،  
والاخر الى السيد العروس بنت ابن مجاهد » ثم قال في ذلك  
بيتا من الشعر هو :

بعثتا بالغزال الى الغزال ••• وبالشمس المنيرة للهلاك  
فلما أصبح المعتمد « على حال راحة في القصر المبارك ، ودخل اليه

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة قسم ٤ مجلدا ( تحقيق د . احسان عباس )  
ص ٢٦٢ .

الرشييد ابنه فتبادل الانس معه ، ثم أمر باحضار من جرت عادته  
بمشاهدة المجلس الكريم من الاصحاب فحضروا « فطلب منهم أن  
يذيلوا على بيته (١) » .

وقد وصف الاديب ابو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى القصر  
المبارك فقال :

فيا أيها القصر المبارك لا تنزل  
وانت جديد الحلتين قشيب  
ويا أيها الملك المؤيد دم بهه  
ليترع كوب أو يثار عكوب  
أسم فيه سرح اللحظ من طرف باسل  
فراذ الوغى في نظاريه غشيب  
ستظاره ام النجوم تحله  
لها كوكب لا حان منه غروب  
محيط بما أحبيت من كل صورة  
تروقك حتى شكلهـن قريب  
ومن حبك دون السموك كأنها  
أفاريد روض الحزن وهو هضيب  
الى طرر تحكى أصائل ملكه  
تكاد بأنداء النضار تصوب  
ومن مرمر احذاه رونقة المها  
فأخطأ فيه اللخط وهو مصيب  
وبحر عليه للرياحين فيئة  
كيمناك مخضر البرود لحوب  
لئن كان مكظوما كغيظك أنه  
كعرضك مصقول الاديم خشيب

---

(١) نفس المصدر قسم ٢ مجلد ١ (تحقيق د . احسان عباس) ص ٥٢١

أرى حو الاحداق أو رونق الطلى  
طلاه ففيه للعقول خلوب (١)

وواضح من هذا الوصف ان جدران القصر المبارك واسقفه كانت  
تردان بزخارف رائعة تحير اللّحظ ، وتروق العين بطورها ، وكانت لهذا  
القصر رحبة وبهو تتوسطه بحيرة تحف بها الرياحين ، تنعكس ظلالها  
على صفحة البحيرة .

ويصف ابن حمديس الصقلي هذا فقال :

ويا حبذا دار يد الله مسحت  
عليها بتجديد البقاء فما تبلى  
مقدسة لو أن موسى كلمته  
مشى قدما في أرضها خلع النعلا  
إذا فتحت أبوابها خلت آنها  
تقول بترحيب لداخلها أهلا  
وقد نقلت صناعاتها من صفاته  
اليها فأفانينا فأحسنّت النقا  
فمن صدره رجا ومن نوره سنا  
ومن صيته فرا ومن حلمه أصلا  
نسيت به ايوان كبرى لانه  
اراني مثلا ما رأيت له مثلا  
كأن سليمان بن داود لم تبح  
أوامره للجن في شيده مهلا

---

(١) ابن بسام ، الفخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ (تحقيق د . احسان عباس)  
ص ٥١٨ .

كأن عيون السحر نافذة له  
عليهن فضلا من بذائعه فضلا  
فكان مكان القول يبعث وصفه  
وقيقا وأذن الدهر تسمعه جذلي  
تري الشمس فيه ليقة تستمدها  
أكفء أقامت من تصاويرها شكلا  
تحوز له الامواه بركة جدول  
تخال الصبا منه مشطبة نصلا  
اذا اتخذتها الشمس مرآة وجهها  
اجالت عليها من مداوسها صقلا  
وقد توج البهو البهى بقبة  
فقل في عروس في جلابيها تجلى  
تجمعت الاضداد فيها مصانعا  
ولم أر خلقا قبلها جمع الشمال  
وأغرب ما ابصرت بعد مليكها  
بها مترع يعدى الشجاعة والبذلا  
ولما تمشينا من توقد نورها  
تخذنا سناه في نواظرننا كحلا (١)

ويصف الشاعر في هذه الابيات القاعة الرئيسية للقصر المبارك  
وزخارفها المذهبة والجدول الذي يخرقها ليصب في بركة صقلية المياه  
كالمرآة تتوسط البهو المستوف الذي تعلوه قبة جمعت من الزخارف  
البهية كل غريبة وتألفت بأضواء تتسلل من منافذ القبة فتغمر البهو

---

(١) نفس المصدر ، القسم الرابع ، المجلد الاول ( تحقيق د احسان عباس ) ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .



بسنا نورها ، وكان باطن القبة مكسوا بزخارف نجمية تمثل نجومها  
وكواب (١) .

وقد أطنب الشعراء في وصف مجالس القصر المبارك ، ففي شعرا  
ابن اللبانة الذي سبق أن أوردناه ما يشير الى أن قصر الثريا كان يتوسط  
القصر المبارك توسط الخال في الوجه واعتقد أن الثريا هي البهو والمقرب  
الذي تتوسطه البركة المشار إليها .

وكان من بين ملحقات القصر المبارك غرفة ذكر المراكش ان المعتمد  
سجن فيها شاعره ابن عمار ثم قتله فيها في سنة ٤٧٩ هـ (٢) ، ويؤكد ابن  
الابرار ذلك فيذكر ان المعتمد سجن ابن عمار في بيت خامل من بيوت  
القصر (٣) ايما ثم قتله بيده ، واستدعى صاحب المدينة ذا الوزارتين  
أبا محمد عبد الله بن سلام من داره ، وكان ابن سلام هذا مشغولا  
باعداد مجلس من أفخم مجالس دوره لينزل فيه ابن عمار بعد ان  
اشيع ان المعتمد قد صفح عنه ، ووعد باطلاق سراحه . فمضى ابن  
سلام الى القصر وهو لا يشك في أنه سيصحب معه ابن عمار ، فما كاد  
يصل الى فصيل حتى فوجيء برؤية ابن عمار وهو « متشطح في دمائه ،  
ممرغ في ثيابه » طريح في قيده ، فسحبوه على وجهه الى أساس جدار  
قريب من سواقى قصر المبارك ، فطرح في حوض كان قد حفر للجيار ثم  
ردموا عليه (٤) . وذكر ابن بسام أن جثته أخرجت من الموضع الذي  
قتل فيه ودري في قيوده خارج باب القصر المبارك ، وهو الباب المعروف

(١) يتمثل ذلك في قول ابن اللبانة :

بكت ثرياه لا غمت كواكبها .. يمثل نوء الثريا الرئح الفادى

(٢) المراكش ، المعجب ، ص ١٢٥ ، ١٢٧

(٣) يشير ابن بسام الى ان هذا الموضع الذي سجن فيه ابن عمار داخل

القصر كان على مقربة منه ( ابن بسام ، مجلد ١ قسم ٢ ص ٤٢٩ )  
بحيث اتاه في سجنه وقتله فيه ، ونستدل منه .

(٤) ابن ابرار ، الحلة السراء ، ص ١٦٠

في اشبيلية بباب النخيل (١) ، كما ذكر أن حفرا وقع بموضع رسمه من هذا المكان بعد أكثر من عشرين سنة ( في بداية عصر المرابطين ) مضت من مقتله ، وذلك لبنيان عرض فيه ، فأخرجت جمجمته وغطا ساقبيه مكبله بالاغلال (٢) .

أما القصر الوحيد « الذي قرأناه في شعر ابن اللبانه ، فلعه كان مجلسا من مجالس القصر المبارك ، أو أنه كان جناحا من أجنحة القصر منفردا في جانب منه من جهة الوادي . أما الروضة فكانت تشغل ركنا من بستين القصر المبارك أو قصر الامارة ، وفيها دفن المعتمد أباه المعتضد في نفس التربة التي دفن فيها القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل (٣) . وعلى نسق هذه الروضة اتخذ الموحدون لانفسهم روضة خارج باب جهور خصصت للسادة الامراء عرفت بروضة الامراء (٤) أو مقابر السادة (٥) .

### القصر الزاهي

ورد ذكر هذا القصر في ابيات نظمها المعتمد بعد ان نفاه المرابطون في العدو حيث أقام بعض الوقت « تنبذه منابر وأعواده ، ولا يدنو منه زواره ولا عواده ، بقي أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته ، تذكر منازل فشاقتة ، وتصور بهجتها فراقته » فقال :

---

(١) ابن بسام ، المصدر السابق ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣٠ . ونستدل من ذلك على ان ابيية جديدة استحدثت في زمن المرابط قريبا من القصر المبارك .

(٣) ابن الابار ، الحلة السراء ، ص ٥٣ .

(٤) ابن صايب الصلاة ، المن بالامانة ، ص ٢٩٨ .

(٥) الذيل والتكملة ، السفر الاول قسم اول ، ص ٢٢٢ .

بكى المبارك فى اثر ابن عباد  
بكى على أثر غزلان وآساد  
بكت ثرياه لاعمت كواكبها  
بمثل نوء الثريا الرائح الغادى  
بكى الواحد بكى الزاهى بقبته  
والنهر والتاج كل ذله باد (١)

كذلك ورد فى القصيدة التى يندب فيها المعتمد وهو فى منفاه  
اللحظات السعيدة التى كان يقضيها فى القصر الزاهر الذى كان قد شيده  
بتاج الشرف ، وكان من أجمل المواضع لديه وأبهاها واحبها اليه وأشهاها  
لاطلاله على النهر ، واشرافه على القصر ، وجها له فى العيون واشتماله  
بالزهر والزيتون ، وكان الزاهر يعلو بين أشجار الزيتون فى تارج  
الشرف ، ويطل عليه من الجانب الآخر لاشبيلية القصر الزاهى وقبته  
المعروفة بسعد السعود ، فيقول المعتمد :

فياليت شعرى هل ابىتن ليلة  
امامى وخلفى روضة وغدير  
بمنبته الزيتون مورثه العلا  
تغنى حمام او تدن طيور  
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا  
تشير الثريا نحونا وتشير

---

(١) ابن خاقان ثلاثى العقبان ، مصر ١٣٢٠ هـ ، ص ٢٤

ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده

غيورين والصب المحب غيور (١)

وواضح من هذه الابيات ان القصر الزاهى كان يرتفع بقبته  
المسماه « سعد السعود » فوق سماء مجموعة قصور بنى عباد المطلة على  
الوادى الكبير ، وذكر المقرئ نقلا عن الوزير ابى بكر بن اللبانه الدانى ،  
فى كتابه « سقيط الدرر » ، ولقيط الزهر « ان المعتمد بن عباد صنع  
قسيم فى القبة المذكورة وهو :

« سعد السعود يتيه فوق الزاهى »

ثم استجاز الحاضرين ، فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد  
الشرط الثانى :

« وكلاهما فى حسنه متناهى »

ثم أكمل قائلاً :

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد

قد جل فى العليا عن الاشباه

---

(١) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢٥ . وقد اخأ الاستاذ هنرى  
بيريس Henri Pérès, La Poesie  
and alouse en arabe classique au XI siecle, Paris, 1937, p. 139.

كان مزود بابراج مرتفعة والحقيقة ان الشاعر لا يذكر ابراجا قط وانما  
يشير الى عظم ارتفاع القصر ويكتب عليه الامر فينسب نزاهات للمتعة  
الى الزاهى بدلا من الزاهر مع ان : ابن خاقان يحدد الاسم بوضوح  
كما انه يشير الى موقعة على النهر بحيث يشرف على القصر ويكتنفه  
شجر الزيتون ويلتف به .



لازال يبلغ فيهما ما شاءه  
ودعت عداه من الخطوب دواهي (١)

ويعتقد الاستاذ بيرجس ان المعتمد كان يسكن هو وحريره وجميع جهازه الادارى فى القصر المبارك داخل نطاق السور وان الزاهى كان يشغل احدى نقاط السور من الداخل (٢) ، ولكن فى موضع آخر يفترض أنه ربما كان يقوم فى نفس الموضع الذى يشغله الان برج الذهب (٣) . وقد أيدته الاستاذ جيريرولوبيو فيما ذهب اليه (٤) ، ولا أستبعد من جانبى هذا الافتراض سيما ونحن نعلم ان الزاهى كان يطل على الوادى الكبير ، وانه لم يكن بعيدا من جهة أخرى عن القصر المبارك ، وأنه كان يطل بقبته سعد السعود على القصر الزاهر الواقع تجاهه على الضفة الاخرى من الوادى . وعلى هذا الاساس فان موقعة على النهر مباشرة يبعده الى حد ما عن سور المدينة ومن المعروف ان المعتمد يوم اقتحم المرابطون باب الفرج ، خرج لهم من القصر المبارك حاسرا من فاضته فلحق أوائلهم عند الباب وقد انتشروا فى جنباته ، وردهم عن الباب على أعقابهم ، ثم رمم ما تتلم من الباب ، ونستنتج من برونزة اليهم بهذه السرعة وقد انتشروا فى رحبة القصر وليس عليه الا رقيقة ترف على جسده ، « وقد ضاق بهم فضاؤها ، وتضعضت من رحبتهم أغضاؤها » (٥) ، واندفاعه عليهم بهذا العنف الى حد أنه تمكن من ردهم الى الوادى ، نستنتج من ذلك أن القصر الذى كان يقيم فيه المعتمد انذاك كان قريبا من الباب المذكور ( باب الفرج ) ، وان الموضع الذى

---

(١) ابن البار ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ٦٩ — المقرئ ، ج ٥ ص ١٤٦

Pérès, la Poesie and alouse, p. 137.

2) Ibid, p. 136, No 3.

3) Jose Gnerreés Iovillo, op. cit, p. 91.

(٤) الفتح بن خاقان ، المصدر السابق ص ٢٢ .

خرج منه المعتمد يقع بين باب الفرج الذى اقتحمه المرابطون وتسلكوا منه الى رحبة القصر ، وبين باب الصباغين الذى وجدأبنه مالكا مقتولا بجواره (١) ، وهو نفس الموقع الذى سمي فيما بعد بباب الكحل ، وعلى هذا النحو يمكننا ان نقول بشئ من الاطمئنان ان المعتمد يوم اقتحام المرابطون كان فى قصره المبارك القريب من مسرح الاحداث ، وانه لم يكن لا فى القصر الزاهى المطل على الوادى الكبير ولا فى قصر الزاهر القائم بالشرف ، وكلاهما يبعد كثيرا عن بابى اشبيلية المذكورين آنفا .

ويصف عبد الجليل بن وهبون المرسى القصر الزاهى المطل على الوادى الكبير كما يصف بهوه المقبب بقبوة خشبية مزينة بالزخارف البديعة قوامها العناصر النباتية والتوريق فيقول :

وللزاهى الكمال سنا وحسنا . . . كما وسع الجلالة والكمالا  
يحاط بشكله عرضا وطولا . . . ولكن لا يحاط به جمالا  
تواصلت المحاسن فيه شتى . . . فوفد اللحظ ينتقل انتقالا  
وقور مثل ركن الطود ثبت . . . ومختال من الحسن اختيالا  
تدافع من جوانبه أثقالفا . . . فكاد المستبين يقول مالا  
فلو أدنو حرام السحر منه . . . لاضحى بعبد السحر الحلالا  
سما تترتمى بعباب بحر . . . كأن بها اكاما أو تلالا  
فقد كساد البيب يهاك منه . . . ويحسب أن تجر الجو سالا  
فما ابقى شهابا لم يصوب . . . ولا شمسا تنير ولاهلالا  
وللبهو البهى سماء نور . . . تمثل شكلها حلقا دخالا  
مزخرفة كأن الوشى ألقى . . . عليها من طرائفه خيالا  
وما خلت الهواء يكون روضا . . . ولا سقفا يكون كذاك آلا  
بلى حققت أن النار كانت . . . له ظئرا وعصره زلالا

فلم اعدل بجامده مذابا •• ولم أنكر لندوته اشتعالا  
وكل مصدر حي جماد •• تبين فيه زهوا أو دلالة  
له عمل وليس له حراك •• وافهام دما ادى مقالا (١)

ويصف ابن وهبون تمثال فيل من خالص اللجين كان ينتصب في  
جانب من البركة ، ويمج الماء من فمه ، فيقول :

وفرغ فيه مثل النصل بدع •• من الافيال لا يشكو ملالا  
رعى رطب اللجين فجاء صلدا •• وقاحا فلما يخشى هزالا (٢)

وكان المعتمد يعقد جلساته في كثير من الاحيان على حافة البركة  
في الامسيات ، ويأمر بايقاد الشموع ، ويمتع ناظريه برؤية المياة تنساب  
من النيل الى البركة ، وضوء الشموع الباهت يمتد شاحبا شحيحا ،  
وأنين سواقى القصر والدولاب تختلط بعزف الاوتار وألحان المطربين •

وقد جلس المعتمد يوما على البحيرة والماء يسيل من فم ذلك الفيل،  
وقد أوقدت شمعتان من جانبيه ، وكان معه الوزير الفقيه الشاعر أبو  
بكر محمد بن اسحاق اللخمى المعروف بابن الملح ، فقال في ذلك عدة  
مقطوعات منها :

ومشعلتين من الاضواء قد قرنا •• بالماء والماء بالدولاب منزوف  
لاحا لعينى كالنجمين بينهما •• خط المجرة ممدود ومعطوف

---

(١) ابن بسام ، المجلد الاول ، القسم الثانى ( تحقيق د احسان عباس )  
ص ٥٠٨ ، ٥٠٩

(٢) نفس ، ص ١٠٩ ، ٤٧٢ •

وقال فيه ايضا :

كأن سراجي شربهم في التظاهما •• وأبنوب ماء الحوض في سيلائه  
كريم تولى كبرة من كليهما •• لئيمان في انفاقه يعذلانه (١)

### ثالثا : قصور بني عباد الاخرى

#### ١ - القصر الزاهر :

نستدل من الابيات التي ذكرناها من قبل من نظم المعتمد على أن هذا القصر الزاهر كان يقوم في موضع من تاج الشرف يقع قريبا من الضفة اليمنى من الوادى الكبير ، وكان يعرف بحصن الزاهر أو الحصن الزاهر ، كما عرفت المنطقة التي يشرف عليها بمنبته الزيتون ، وكان هذا القصر أحب قصوره اليه وأثرها الى نفسه ، فكان يقصدها كلما أراد لنفسه المرح واللهو والشراب بين اصحابه وندمائته ، وكان « له به من الطرب والعيش المزرعى بحلاوة الضرب ، مالم يكن بحلب لبني حمدان ، ولا لسيف بن ذى يزن في رأس غمدان ، وكان كثيرا ما يدير به راحه ، ويجعل فيه انشراحه » (٢) •

ويذكر المقرئ نقلا عن الحجارى فى المسهب ، ان يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية نشأت بالعدوة وأهل العدوى كانوا يكرهون أهل الاندلس ، وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بنوايا يوسف بن تاشفين فى اسقاط عروش الطوائف فاشتغل خاطر المعتمد بن عباد بالتفكير فى ذلك ، فخرج بها يوما الى قصر الزاهر وقعد على الراح ، فغنت الابيات الاتية بعد ان انتشى لتؤله وتستثيره :

(١) ابن بسام ، مجلد ١ قسم ٢ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ •

(٢) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢٤ •



حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم ••• ولؤوا عمائمهم على الاقمار  
وتقلدوا يوم الوغى هندية ••• أمضى اذا انتضيت من الاقدار  
ان خوفوك لقيت كل كريهة ••• أو أمنوك حلت دار قرار

فوقع في قلبه انها عرفت بساداتها ، فلم يملك غضبة ورمى بها في  
النهر فهلكت (١) •

ولا نعرف على وجه التحديد تاريخ شروع المعتمد بن عباد في بناء  
قصر الزاهر فلم تزودنا المصادر العربية بنصوص تاريخية حول تاريخ  
الانشاء ، وكل ما وصل الينا لا يعدو ابيات شعر قيلت في هذا القصر  
اشارات عابرة الى اسمه في جملة ما ابتناه المعتمد من قصور • ولكننا  
نستنج من دراساتنا عن طبوغرافية اشبيلية في العصر الاسلامي بعض  
حقائق قد تسلط الضوء على كثير من مواطن الغموض في مشكلة تاريخ  
هذا القصر ، وأود بهذه المناسبة ان أشير الى أن موقع هذا القصر يتفق  
الى حد كبير مع اثار حصن يرجع تاريخه الى عصر الموحدين ، تقوم  
أطلاله حاليا في قرية تعرف باسم سان خوان دي « حصن الفرج »  
تقع في شرق اشبيلية على الضفة Sar. Juan Azrifarche

اليمنى من الوادي الكبير ، ومن الطبيعي أن أربط اسم هذه القرية وما  
تبقى فيها من آثار حصن الفرج وبين باب كان يفتح في سور اشبيلية  
الجنوبى الشرقى في اتجاه هذه القرية كان يطلق عليه اسم باب الفرج  
أشرت فيما سبق الى أن عساكر المرابطين تسلمت خلاله الى القصر  
المبارك • وأعتقد ان موضع قصر الزاهر هو نفس الموقع الذي تبقت فيه  
آثار حصن الفرج المذكور ، واعتقد أيضا ان هذا الموضع نفسه كان  
يشغله حصن قديم من عصر الامارة الاموية كان يعرف بحصن الفرج  
شأنه شأن كثير من الحصون التي كانت تقام في عديد من قرى اقليم

الشرف (١) ولا تعدو ابراجا (٢) تحرس هذه القرى وتتولى الدفاع عنها في أوقات الفتن ، وبنفس الاسم سمي أحد ابواب اشبيلية المطل على الوادى الكبير تجاهه . فلما تولى المعتضد بالله اماره اشبيلية وراقه هذا الموضع ، لم يتردد في قصده ، فجدد بنيانه واتخذ أحد صوره الريفية التى يقصدها للهو والنزهة والمتعة ، وسماه القصر الزاهر لاشتماله بالزهر والشجر والزيتون . ثم جدد المعتمد على الله بنيانه في سنة ٤٧٢ هـ (٩٠٩/١٠٨٠) (٣) ويعتقد الاستاذ جيريرو لوبيو أن تسمية هذا الحصن بالزاهر انما جاءت تقليدا واضحا لقصر الزهراء الذى ابتناه عبد الرحمن الناصر غربى قرطبة ، أو قصر الزاهرة الذى أقامة المنصور

(١) ذكر الادريسي ان الشرع يمتد « مسافة اربعين ميلا ، ولهذه الاربعون ميلا كلها تمشى في ظل شجر الزيتون والتين ، ادلة بمدينة اشبيلية واخره بمدينة اشبيلية واخره بمدينة لبلة ، وكله شجر الزيتون وسعته ان عشر ميلا ، وأكثر ، وفيه فيما يذكر ثمانية الاف قرية عامرة اهله بالحمامات والدار الحسنة » ( الادريسي ، المصدر السابق ص ١٧٨ ) وقد لخص الحميرى هذا النص مع ذكر نفس الرقم الذى أورده الادريسي عن عدد القرى باقليم الشرف ( راجع : الحميرى ، ص ١٩ ) وذكر المقرئ نقلا عن ابن مفلح ان الناس يتعاطون السرح من جانبى نهر اشبيلية عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وابراج مشيدة ( المقرئ ، ج ١ ص ١٩٣ ) .

(٢) يذكر العذرى اسماء بعض هذه الابراج ومنها حصن شذفيلة وحصن شبيت طريس Siete Torres ( الابراج السبعة ) انظر العذرى ، المصدر السابق ص ١٠٢ ، ١٠٤ وحصن شذفيلة المذكور من بياض يحيى عبد الله عبد الملك بن هاشم من البربر في زمن الامير عبد الله الاموى ( العذرى ) .

(٣) ابن عذارى ، ج ٤ ، ص ١٨٩ . يؤكد ابن عذارى انه كان موضع حصن الفرّج من ثقبل حصن ينظر اشبيلية يسمى بهذا الاسم ، ويضيف نقلا عن صالح بن سيد : وفي سنة اثنين وسبعين واربعمائة جدد المعتمد على الله حصن الفرّج .

محمد ابى ابى عامر شرقيا<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من ان هذا التفسير لا يخلو من المنطق ، وانه يبد وأقرب ما يكون الى الحقيقة استنادا الى أن الزهراء وقرطبة كانتا دائما مصدر اللهم للمعتمد بن عباد ، كما سبق ان أوضحناه ، بالاضافة الى بيت من الشعر يسجل هذه الحقيقة كتبها المعتمد لرفاقه نطالع فيه •

حسد القصر فيكم الزهراء ••• ولعمري وعمركم ما أساء (٢)

فاننى أرجح ان تسمية حصن الفرع بالحصن الزاهر أو القصر الزاهر لم تكن تقليدا لاسم الزهراء أو الزاهرة ، لان هذين الاسمين يتعلقان بمدينتين متكاملتين في حين ان قصر الزاهر كان قصر ريفى أقيم داخل حصن • واعتقد أن تغيير التسمية من الفرع الى الزاهر انما تم في عهد المعتمد ، لان التسمية الجديدة شاعرية تتناسب مع رقة المعتمد الملك الشاعر وميوله وأهوائه وتتفق في نفس الوقت مع حقيقة المجال الذى أقيم فيه القصر ، فقد كانت تلفه بساتين ورياض غرست فيها اشجار الزيتون وأنواع الورود والازهار ولعل هذه الطبيعة الساحرة هى التى ألهمت المعتمد الاسم الجديد •

ويبدو ان هذا القصر تعرض للنهب والتدمير بعد سقوط دولة بنى عباد ، ولكن اطلاله ظلت قائمة حتى منتصف القرن السادس الهجرى ، وكان ما يزال يعرف بالحصن الزاهر بعد ان فقد كل خصائصه كقصر أميرى • ويذكر ابن الابار ان المريدين اتباع أبى القاسم بن قسى وصاحبه ابى الوليد محمد بن عمر بن المنذر تحركوا بقيادة محمد بن

---

2) J. guerrero Lovillo, op. cit., p. 94 Julis gonzalez, Repartimiento de sevilla, t.1, p. 495 :  
وراجع :

(٢) ابن خاقان ، تلائد العقيان ، ص ١٠ •

المنذر من لبلّة نحو اشبيلية ، فدخل حصن القصر (Aznalcázar) وطلّياطة (Tejada) من اعمال شرفها — وقد كثف جمعه وكذ حشده — فانتهى الى الحصن الزاهر ودخله ، وبظاهر اطريانه (Triana) انكشف أصحابه أمام طائفة من جيش أبي زكرياء يحيى بن على بن غانية (١) ثم تعرض هذا الحصن من جديد للتدمير عندما اجتاحت قوات البرتغاليين في سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) (٢) . ويذكر ابن عذاري ان يعقوب المنصور خليفة الموحدين أمر في سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) باختطاف منزل بخارج اشبيلية يكون بتاج الشرف ، ليأخذ بمخنق بحرّها ، ويكون كالطابع بين سحرها ونحرها ، فقامت في أدنى مدة أشخاص الاسوار ، ومثلت مواضع الديار ، وكمل القصر الكبير بمجالسه المشرفة على اشبيلية وما والاها من البطاح والانظار الى منتهى نظر الابصار . وكان بناؤه ذلك كل من أضخم ما عمل وفوق ما أمل ، والمنصور بالحضرة (اشبيلية) يتشوف الى أبنائه ويوالى السؤال عما يتزايد من بنائه ، حتى برح به الشوق الى التشفى من صفاته ، والى معانية كيفية الوضع ببياته ، فوجه عن الناظر فيه ، فوصل اليه وعرفه بكيفيته ، فزاد شؤون المنصور له وسماه بحصن الفرّج . . . » (٣) وقبل أن يرحل المنصور للجهاد في جمادى الآخرة سنة ٥٩١ هـ حيث انتصر في موقعة الأرك المشهورة ، ركب

(١) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ٢٠٤ ، ٢٠٣ .

2) Torres Balb as, Aznalfarache, al - Andalus, Vol, XGV, p. 223.

ولكن ابن عذاري يذكر ان البرتغاليين خرجوا من جهة شنترين والاشبونة ووصلوا في غارتهم الى قرية شلوقة (Sanlúcar) من الشرف ، واغاروا على حصن القصر وغيره ، دون ان يذكر اسم حصن الزاهر (ص ١١٨) وفي نفس السنة يذكر ابن عذاري ان العدو تغلب على حصن شنتغيلة وهو نفس حصن شذفيلة الذي سبق الإشارة اليه (ص ١١٩)

(٣) ابن عذاري ، القسم ٣ ص ١٨٩ .



الى حصن الفرّج ، وعانين ما تم بناؤه من الحصن فأعجب به (١) . فلما تم له الانتصار على قوى المسيحية في اسبانيا في تلك الوقعة ووصل الى اشبيلية مظفرا منصورا ، جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الاعظم ، واذن فأقبل عليه الشعراء ينشدونه قصائد مدح ، أشهرهم الشاعر على بن حزمون المرسى (٢) . وفي العام التالي (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) انتقل الى حصن الفرّج بتاج الشرف وأكمل غرس البحيرة المحدثّة أدنى الحصن ، وأمر بعمل نواعير على شاطئ النهر تحت الحصن ليستكمل بها جمال الموضع (٣) . ثم نزل بالحصن مرة أخرى في سنة ٥٩٣هـ أى في أعقاب غزوته الثالثة ، حيث أقام بقية فصل الصيف وتمتع برقة هواء الحصن (٤) . وهكذا يتبين ان حصن الفرّج الذي جدد المنصور الموحدى بناءه وأضاف اليه قاعات وقببات لم يكن سوى حصن الزاهر الذي كان جدد المعتمد بن عباد بنيانه وقد تبقت من الحصن اثار أسوار تكتنفها أبراج مربعة الشكل ضخمة سنتحدث عنها في جملة الاثار الباقية من القصور .

### ٣ - المنيات والمجالس والمقترهات :

يبقى بعد ذلك عدد من المنيات أو المجالس التي أقامها بنو عباد بين الربى والبطاح تحف بها الجداول وتشققها الوديان التي طرزت ضفافها بالاشجار والأدواح . وكان المعتمد بن عباد يقصد هذه المنيات بين الحين والحين ، ليقضى بين ندمائه وأصحابه ساعات ، يفترشون خضرة أرضها ، ويسرحون الابصار في جمال مناظرها ، وينعمون بالسماع

(١) نفس المصدر ، قسم ٣ ص ١٩٣ ، ١٣٢

(٢) الاكشى ، المعجب ص ٢٩٣ .

(٣) ابن عذارى ، ص ١٩٨

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٠٤

والطرب في اطار طبيعي خالص • وقد ورد أسماء هذه المجالس في المصادر العربية ، ولكننا لم نتوصل بعد الى تحديد بعض مواقع هذه المنيات من العمران الاشبيلي زمن بنى عباد ، وسنكتفى هنا بذكر دار المزينة ومجلس التاج في منية المعرس ، ومنتزة وادي الطلح •

### أ - دار المزينة :

قد نقرأها دار المزينة تصغيرا لمزنة وهي السحابة البيضاء ، وقد تكون دار المزينة ، أي الدار المنمقة لكثرة زخارفها وتنميقاتها ، وأيا ما كانت القراءة ، فقد كانت دارا ريفية تزدان قاعاتها بالتوريق والتشجير الملون ، وكانت تلفها الاشجار وتكتنفها الازهار ، وتحيط بها الرياض النضرة التي تكسوها الورود وزهور الاسى والجلنار الزاهية ، والظاهر أن المعتمد أقامها بين بساتين قصره ليقضى فيها مجالس أنسه ومرحه • وقد وصف الفتح بن خاقان مجلس هذه الدار ، فذكر أن فخر الدولة بن المعتضد ، « دخل عليه في دار المزينة والزهر يحسد اشراق مجلسه ، والمدد يحكى اتساق تأنسه ، وقد رددت الطير شدوها ، وجددت طربها وشجوها ، والغضون قد التحفت بسندسها ، والازهار تحيي بطيب تنفسها » (١) ولا أستبعد أن يكون موقع تلك الدار في الأرض الفضاء الممتدة خارج باب جهور من أبواب اشبيلية ، وهي نفس المنطقة التي أختارها أبو يعقوب بن عبد المؤمن الموحدى لبناء قصوره المعروفة بالبحيرة (٢) • والظاهر أن بساتين هذه الدار كانت تتصل ببساتين القصر المبارك ، وقد أقيم فيها مجلس أنس كان يتردد عليه المعتمد في الليالي القمرية حيث يلتحف قصر المبارك بضياء القمر ويصف الفتح هذا المجلس ،

---

(١) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٩ المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامانة ، ص ٤٦٤ .

ويذكر دخول فخر الدولة على المعتمد في مجلسه ، « في ليلة قد ثنى  
السرور منامها ، وامتطى الحبور غاربها وسنامها ، وراع الانس فؤادها ،  
وستر بياض الامانى في سوادها ، وعازل نسيم الروض زوارها  
وعوادها ، ونور السرج قد تلقى اذيالها ، ومحامن لجبن الارض نبالها ،  
والجلس مكنى بالمعالى ، وصوت المثنى والمثلث على ، والبدر قد  
كمل ، والتحف بضوئه القصر واشتمل ، وتزين بسناه وتجمل » (١) •

### ب - مجلس المصر :

وكان مطلا بقاعته المعروفة بالتاج على الوادى الكبير خارج باب  
جهور بين الرياض والبساتين وكان التاج قاعة تسمى بقببتها ، وتعلو  
بهايتها على مجموعة قصور بنى عباد ويذكر ابن خاقان أن المعتمد قصد  
هذا المجلس في يوم « قد نشر من غيمه رداء ند ، وأسكب من قطره ماء  
ورد ، وأبدى من برقة لسان نار ، وأظهر من قوس من قوس قزحه  
حنايا آسى جفت بنرجس وجلنار ، والروض قد نفت رياه ، وبث الشكر  
لبسقياه ، فكتب الى الطبيب أبى محمد المصرى ( خفيف ) •

أيها صاحب الذى فارقت عيني  
ونفسى منه السنا والنساء  
نحن فى المجلس الذى يهب الرا  
حة والسمع والغنى والغناء  
نتعاطى التى تسمى من اللذ  
ة والرقعة والهوى والهواء  
فأنته تلف راحة ومحيا  
قد اعدا لك الحيا والحياء

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦ — المقرئ ، المصدر السابق ،  
السابق ، ج ٦ ص ١٧ •

فواقاة ، وألفى مجلسه وقد أتلت فيه الاباريق أجيادها ، وأقامت فيه خيل السرور طرادها ، واعطته الامانى انطباعها وانقيادها ، وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها ، وخلعت عليه الشمس شعاعها ، ونشرت فيه الحدايق ايناعها ، فأذبرت وتعوطيت الاقداح ، وخامر النفوس الابتهاج والارتياح ، وأظهر المعتمد من ايناسه ما به نفوس جلاسه ، ثم دعا بكبير ، فشربه كما غربت الشمس في ثبير ، وعندما تناولها قمام المصرى ينشد ابياتا تمثلها :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً  
بشاد مهر ودع غمدان لليمن  
فأنت أولى بتاج الملك تلجسه  
من هوذة بن على وابن ذى يزن (١)

وواضح من البيتين الاخيرين ان التاج هو اسم القبة التى تعلو مجلس المعرس ، والشاد مهر هو البستان . ونستدل على اسم المعرس من الابيات الاتية التى كتبها ذو الوزارتين ابو الوليد بن زيدون ، وكان حاضرا المجلس المذكور :

يا جمال الموكب الغادى اذا  
سار فيه يا بهاء المجلس  
شرفت بكر المعالى خطبة  
بك فانعم بسرور المعرس  
وارتشف معسول ثغر اشنب  
تجتنبه من حجاج العس

(١) الفتح بن خاقان ، ص ٧ — المقرئ ، ج ٦ ص ١٨ .



واغتبق بالسعد دى دست المنى  
يصبح الصنع دهان الاكؤسى (١)

وكان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين يؤثر النزول في هذا المجلس كلما حل باشبيلية ، ويصفه الفتح بقوله : « وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ، ما شئت من نهر ينساب انسياب الراقم ، وروض كما وشت البرد يد راقم ، وزهر يحسد رياه ، ويتمنى الصبح أن تسم به محياة » (٢) .

ولعله هو نفس الموضع الذى أقام ابو يعقوب يوسف الموحدى بالقرب منه قصور البحيرة خارج باب جهور (٣) .

وكان يشق تلك الرياض الممتدة خارج باب جهور واد متفرع من الوادى الكبير كان يعرف حتى عهد قريب قبل ان يردم باسم تاجاريتى Tagarete وكانت تتخلله خارج باب جهور بحيرة ذكر ابن عذارى انها كانت تقع خارج هذا الباب (٤) استغلها ابو يعقوب يوسف في انشاء بحيرة صناعية اختطها داخل صورته التى ابتناها فيما وراء باب جهور وعرفت بقصور البحيرة (٥) ، ولعلها نفس البحيرة التى يسميها الفتح

- 
- (١) نفس المصدر ، ص ٧  
(٢) نفس المصدر ، ص ١٧٨ ، المخرى ، ج ٢ ص ١٩٣ .  
(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ص ٤٦٤ .  
(٤) ابن عذارى ، قسم ٣ ص ١٩٢ . وفى ذلك يقوم بمناسبة وصول المنصور الموحدى الى اشبيلية فى سنة ٥٩١ هـ قبل توجهه لمحاربة القشتاليين وحلفائهم من دول اسبانيا المسيحية فى موقعة الارك « ولما وصل المنصور الى اشبيلية نزل بظاهر بحيرة باب جهور ، فخرج الملأ من أهل البلد اليه برسم السلام عليه » .  
(٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامانة ، ص ٤٦٤ حيث يقول فى معرض حديثه عن موضع قصور البيرة المعروف عند الناس قديما بلقم فرعون « واخط بيرته منه فى الجنان المنسوب لابن مسلمة » . راجع ايضا ابن عذارى ، قسم ٣ ص ٩٥ .

بن خاقان باسم البحيرة العظمى تميزا لها عن بحيرتين صغيرتين أو  
بركتين صناعيتين كانتا تتورطان بهوى الثريا والزاهى ، وكانت تحف  
بالبحيرة الكبرى زمن المعتمد بن عباد الاشجار ، وتنعكس عليها النجوم  
فتبدو على صفحة مياهها كالازهار (١) .

### ج — منتزة وادى مطلع :

كان المعتمد كثيرا ما ينتاب هذا الوادى مع رميخته ، وهى اعتماد  
جاريته وأم أولاده ، وكانت لها معرفة بالغناء ، حسنة الحديث ، حلوة  
النادر كثيرة الفكاهه (٢) . ويذكر المقرئ ان وادى الطلح واد بشرف  
اشبيلية ملتف بالاشجار كثير ترنم الاطيار وأرضة تحف بها الازهار (٣)  
ويذكر ابن سعيد اسم هذا الوادى بجهة حصن القصر (٤) .

### ثالثا : قصور الموحدين المجاورة لقصور بنى عباد

اهتم خلفاء الموحدين فى الاندلس ببناء القصور ، وحظيت اشبيلية،  
حاضرتهم فى الاندلس ، بعنايتهم ، فأسسوا بالاضافة الى قصور بنى  
عباد قصر للامارة ملاصقا لبعض قاعات القصر المبارك والثريا ، كما  
اقاموا قصور البحيرة خارج باب جهور ، وقصور أخرى للسادة الامراء  
خارج باب الكحل ، هذا الى اعادة بنيان حصن الفرج فى الموضع الذى  
كان يقوم فيه الحصن الزاهر .

---

(١) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ١٠

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ص ٨ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٤) ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د . شوقى  
ضيف ج ١ ص ٢٩٦ .

## ١ — قصور البحيرة:

في شهر صفر سنة ٥٦٧ هـ ( ١١٧١ م ) أمر أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أثناء مقامه في اشبيلية ببناء « قصوره المكرمة السعيدة المعروفة بالبحيرة خارج باب جهور من اشبيلية » ، كما أمر بأن تخطط بحيرة هذه القصور في الجنة المنسوبة لابن مسلمة القرطبي ، بعد أن انتزع منه ملكيتها مقابل عوض صحيح من الجنات مثلها . وفي هذا الموضع ابتنى العرفاء القصور المذكورة ودورا للامراء فاقت القصور التي ابتناها العريف محمد بن المعلم لآخيه السيد أبي حفص على وادي اشبيلية خارج باب الكحل . وقد تولى بناء قصور البحيرة ودور الامراء العريف أحمد بن باسه عريف (١) البنائين في الاندلس ، فاستكمل بناءها ، وجاءت من الحسن يحار فيها الوصف « أربت على مباني الخورنق والسدير ، وطلعت بباب جهور كالبدر المنير » (٢) . ضم سورها بأسوار مبنية من الجيار والرمل والحصي . وكان الخليفة أبو يعقوب يوسف قد عهد الى كل من القاضي أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الاشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) ابي بكر محمد بن يحيى الحذاء امام جامعة اشبيلية (ت ٦٠٠ هـ) والموثق باختطاط ما يلزم لاقامة بساتين ملحقة بالقصور تغرس بأشجار الزيتون والاعناب والكمثرى والاجاص المسمى بالعبر والارزة والتفاح ، فاختصا ما أمرهما به ، وكان الملتزم للحفر في غرس البحيرة المذكورة الشيخ أبو داود بلول بن جلدا سن مشرف اشبيلية وأعمالها تحت اشراف السيدين أبي العلاء ادريس الوزير وابنه يحيى (٣).

ثم نظر الخليفة أبو يعقوب يوسف في مشكلة توصيل المياه الى قصوره باشبيلة والبحيرة ، وعهد بذلك الى المهندس الحاج يعيش، وكان

---

(١) ينتمي أحمد بن باسه الى أسرة اندلسية متخصصة في فن البناء .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، ص ٦٧ .

(٣) ابن صاب الصلاة ص ٤٧٦ .

خارج باب قرمونة أثر قديم بعد به العهد من بنيان جسر روماني قديم علت عليه الارض ، وأصبح مجرد خيط رفيع من حجارة لم يكن معروفا الهدف منه . فأخذ الحاج يعيش المهندس يتتبعه ، وحفر حوله ، فاذا به جسر قديم للمياة يرجع تاريخه الى العصر الروماني « سرب قد جلب فيه الماء قديما الى اشبيلية من عمل الاوائل الملوك من الروم الماضية والقرون الخالية » (١) فما زال الحاج يعيش يتتبعه بالحفر حتى أوقعه الحفر في العين القديمة المسماة عند اهل اشبيلية بعين الغبار ، فتبين بعد فحصها انها ليست عينا كما كان الظن ، وانما كانت فتقا في الجسر الروماني ، فاستمر يعيش يواصل الحفر حتى اهتدى الى أصل الجسر قرب قلعة جابر (٢) Alcala de Guadaria فأصلحه المهندس الحاج يعيش واجراه الى داخل اشبيلية حتى البحيرة ثم أمر الخليفة الموحدى باجرائه الى داخل اشبيلية والى قصور بنى عباد لتعم الفائدة وينتفع الناس من مياهه في شربهم ومرافقهم ، كما أمر ببناء محبس للماء في حارة ميور (٣) El callejon del agna وتقابلها اليوم حارة الماء

وما زالت بقية من هذا الجسر قائمة خارج باب قرمونة من اشبيلية ، وبعض عقوده في هذا القطاع من الاجر ، وبعضها الاخر من الحجر .

- 
- (١) نفس المصدر ، ص ٤٦٨ .  
(٢) تقع قلعة غابر شرقى اشبيلية على مقربة من قرموية واليهما ينسب عامر بن خدوش القلعي الذى يقول :  
الا يا سقى الرحمن قلعة جابر . . فكم لى فيها من ليال زواهر ( راجع ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ تحقيق د . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٢٩١ ) .  
(٣) ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٦٩ .



## ٢- أعمال الموحيدين داخل قصور بني عباد باشبيلية :

من العسير استخلاص ما أقامه الموحدون في مجموعة الابنية التي تتألف اليوم قصر اشبيلية فقد كان يتألف من قصور مختلفة في مركزين رئيسين : قصر الملك بدور الذي أقامه في سنة ١٣٦٤م على أبنية اسلامية، والقصر المسمى بالقصر القديم .

ولا نشك في أن الموحيدين هدموا جانبا من قصور ابن عباد وأقاموا مكانها قاعات جديدة تتفق زخارفها ويتناسب تخطيطها مع الاسلوب الشائع في فنون الموحيدين ، ويتميز بالجمع بين البساطة التي اتسمت بها عمائرهم في المغرب والعلو في الحشد الزخرفي والميل الى التعقيد وهما خاصتان بارزتان في فنون الأندلس في عصرى الخلافة والطوائف وقد شاع في فن الموحيدين استخدام شبكات المعينات في المسطحات المراد زخرفتها كما هو الحال في صومعة جامع اشبيلية وفي بائه بهو الجص بقصر اشبيلية . ولم يتبق من اضافات الموحيدين في قصور بني عباد سوى البائكة المذكورة ، والبهو المصلب المجاور ، هذا الى جانب بهو العدل . وسنعود الى الحديث عنها عندما نتعرض لدراسة آثار هذه القصور وكان الخليفة أبو يعقوب يوسف قد أقام القسبة الداخلية والخارجية في سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) : أما الداخلية فتضم قصور بني عباد وما أضيف اليها من قصور الموحيدين داخل نطاق المدينة (١) ، وكان المشروع يستهدف كذلك ضم بنيان المسجد الجامع بالقسبة ، وأما القسبة الخارجية فقد أقيمت خارج باب الكحل (٢) ، وكانت تحيط بقصور السادة الامراء اخوة الخليفة وأبنائه . ويحدد

---

(١) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٣٨

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامانة ، ص ٢٣٥ .

ومن المعتقد انها كانت تقوم في نفس موضع قصر سان تيلمو «San Telmo» وحدائق مار لويسا المطلة على الوادى الكبير .

ابن صاحب الصلاة امتداد اسوار القصبة الداخلية فيذكر انها كانت تبدأ من رحبة ابن خلدون داخل اشبيلية ، وتضم جامع القصبة ودار الصناعة حتى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل (١) . ولكن اعمال البناء في أسوار القصبة الداخلية لم تلبث أن توقفت بعد وفاة الخليفة (٢) لان ابا يوسف يعقوب المنصور الخليفة الموحدى الجديد أعرض عن بنیان هذا السور (٣) . وكان الموحدون قد هدموا اسوار قصور بنى عباد واستخدموا احجارها في بنیان أسس صومعة جامع اشبيلية وكانت من النوع العادى أو القديم المسمى بالطحون (٤) ، وهى أحجار من نفس نوعية احجار الركائز الباقية بجامع ابن عدبس . ومن المعروف ان هذا المسجد أقيم بناؤه من أحجار السور الرومانى كالثأن في صور قصر الامارة العبادى . ولهذا فقد اعاد ابن باسه استخدام احجار سور القصر العبادى في بناء القسم الادنى من الصومعة بما فيه الاسس ، وما زالت كتلتان تحملان بعد نقشا لاتينيا . والظاهر ان ابن باسه توفى قبل شروعه في بنیان القسم الادنى من الصومعة بالحجر ، فتوقف على أثر ذلك البنیان بالاحجار واستبدل بها البنیان بالاجر وتم ذلك على يد على الغمارى .

### ٣ — قصور السادة الموحدين :

يؤكد ابن صاحب الصلاة ان محمد بن المعلم العريف تولى الاشراف

- 
- (١) نفس المصدر ، ص ٤٨٠ .
  - (٢) ذكر ابن صاحب الصلاة انها بنيت حتى نصفها ( المن بالامانة ، ص ٢٣٥ ) .
  - (٣) ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر ، ص ٤٨٢ .
  - (٤) نفسه . ولعل الطحون تعريف من كلمة «Tajon» الاسبانية ومعناها كتلة من الحجر الجيرى .

على مباني السيد ابي حفصه اخي الخليفة ابي يعقوب يوسف ، التي ابتناها له على وادي اشبيلية خارج باب الكحل ، في موقع يمكن تحديده من سور القصبة البرانية ودار الصناعة • ويعتقد الاستاذ خوليو جنثالث أن هذا الموضع نفس موضع القصر المسمى بسان تيلمو (١٦٨٢ - ١٧٣٣) استنادا الى أنه كانت تقوم فيه منية في عصر الاسترداد (١)

وهناك قصور أخرى كانت تقوم عند سقوط المدينة في أيدي القشتاليين بالقرب من الباب المسمى فيما بعد بباب الباركيثا La Barqueta فقد منح الملك الفونسو العاشر اخاه الامير دون فادريكي Fa drique اقطاعا ضخما يقع بين دير سانتا كلارا والباب المذكور ، ويضم من بين محتوياته قصرا وبساتين ممتدة • وفي هذا الاقطاع شيد برجا اتبع في بنائه الاسلوب القوطي ، ما يزال قائما حتى اليوم ويحمل اسمه (٢) • ولكن لم يكد يمضي سنوات على ذلك حتى صادر الفونسو العاشر ممتلكات دون فادريكي بسبب خلاف وقع بينهما ، وقدم الملك قسما من هذه الممتلكات الى منظمة قلعة رباح الدينية في ١٨ مارس ١٢٧٣ في حين قدم سانشو الجسو قسما آخر منها هبة الى طائفة الراهبان الكلاريات الفرنتسكانيات في سنة ١٢٨٩ ، وفي هذا القسم اقيم الدير القائم في الوقت الحاضر • وقد أقامت منظمة قلعة رباح في البساتين المجاورة لباب الرجل كنيسة سان بيتو San Benito ودورا لرئيس القساوسة وكان سانتا لوثيا يتميز بشوارعه الضيقة ومن بينها شارع الشمس وشارع الافران ومبانيه التي كان يسكنها المدجنون في القرون الثلاثة التي أعقبت وفاة فرناندو الثاني وفي وسط شارع الشمس كان يقوم البيت المسمى ببيت الملك المسلم Casa del rey inoro ويعتقد

1) Julis Gonzalez, Repartimiento de seirlla, t.I, p. 493.

2) Elie Lambert. L'art gothique a Seville p. 160 - Santiago Moutoto, Nueva Guia de Sevilla, Madrid, 1951, p. 126.

ثليستينو لوبث مرتين بعد دراسة حول التفسيرات المختلفة لاسم هذا الملك ان المقصود بالملك المسلم هو ابن محفوظ صاحب لبلة والغرب (١) الذى نزل فى هذا البيت أو القصر فى سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٢م) (٢) وقد يكون المقصود بالملك المسلم ملك يياشر بالفعل الحكم فى اسبانيا الاسلامية ، ولعله السلطان الغالب بالله محمد بن الاحمر الذى قدم الى اشبيلية فى سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣م) ليجدد معاهدة الصلح المعقودة بينه وبين الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة ، وكان بصحبه صهراؤه الزعيمان ابو محمد وابو اسحق ابنا اشقيلولة مع قوة غرناطية من خمسمائة فارس ، فخرج اليهم الملك الفونسو العاشر لتلقيهم ، ودعاهم لزيارته داخل المدينة ، فاستجاب ابن الاحمر ، ودخل اشبيلية مع صهره وجماعة من فرسانه ، فنزلوا بالعبادية منها وهو زقاق ضيق من اشبيلية ، وفى الصباح الباكر ابلغ بأن القشتالين سدوا الدروب الموصلة الى مكانة اثناء الليل بالخشب المسمرة تعويقا لسير الخيل ، فخشى على نفسه ، وشتم رائحة الغدربه ، وبالنزعيان ابني اشقيلولة فأمر رجاله بكسر هذا الخشب وارتحل مع أصحابه فغادرا اشبيلية ، مغاضب لالفونسو • ولم يقتنع باعذار الفونسو الذى أقسم انه لم يأمر بسد الدروب الا بقصد حمايته من اللصوص (٣) •

وواضح من هذه الرواية أن البيت المسمى ببيت الملك المسلم يمكن ان يقصد به القصر الذى نزل به السلطان الغرناطى ، اذ ان ابن محفوظ

(١) ابن عذارى القسم الثالث ، ص ٤٣٦ .  
 (٢) Celestino Lopez Martinez, Mudejares y moriscos, p. 19  
 وقد ايد سانتياجو مونتوتو Santiago Montot هذا الراى فى كتابه عن شوارع اشبيلية  
 (Santiago Montoto, Las Calles de Seirlla, Seirlla,

حيث يسمى هذا الملك باسم Abemafor (p. 426 1950) اى ابن محفوظ

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٤٣٦ .



صاحب لبلة كان قد أخرج أهل لبلة منها قبل ان يدخلها القشتاليون ،  
ووصل مع قومه الى مراكش في خلافة المرتضى الموحدي .

واذا كان الاستاذ جيريرولوبيو يعتقد ان زقاق العبادية هو القصر  
فهذا الاعتقاد فيما يبدو خاطيء لأن شارع الشمس كان يقع في أقصى  
الشمال الشرقي من اشبيلية قريبا من باب قرطبة ، أو بين هذا الباب  
وباب الفتح المجاور لباب قرمونة واذا كان قد سمي بالعبادية ، فلعل  
هذه التسمية ترجع الى الدار القديمة التي كان يسكنها في اشبيلية  
القاضي اسماعيل بن عباد .

#### رابعا : الاثار الباقية من قصور بنى عاد والموحدين

##### ١ — اثار القصر المبارك وقصر الامارة العبادي والقصر الزاهي :

بعد ان نكب المرابطون آل عباد ، وأسروا عميدهم المعتمد ونفوه  
الى العدو ومنها الى اغمات ، ووقع النهب في قصره (١) ، هبت على  
اشبيلية ريح عاتية من التدمير شملت قصوره التي كان قد ابتناها للهوه  
ومراحه . أما القصر فقد رجحنا أنه كان مقاما في نفس الموضع الذي  
يقوم عليه اليوم برج الذهب ، والمنطقة المجاورة له من جهة القصر حتى  
برج الفضة ، واما القصر الزاهر فلم يتبق منه في عصر الموحدين الا  
آثار دراسه وجدران واهية فبناه المنصور حصنا اسماه حصن الفرج ،  
كان يشتمل على قباب وقصور ، واما القصر المعرس ومجلس التاج ،  
فقد ظل يحتفظ بعناصره في عصر المرابطين وكان يتردد عليه الامير علي

---

(١) المقرئ ، ج ٦ ص ٢٠ ويذكر عبد الواحد المراكشي ان البربر بعد  
دخولهم اشبيلية لم يتركوا لاحد بين أهلها سبدا ولا لبدا ، « وانتبهت  
قصور المعتمد يهيا قبيحا » ( المراكشي ، المعجب ، ص ١٤٢ ) .

بن يوسف ، ولكنه تعرض بدوره للتدمير في موجة الاضطرابات التي واكبت نهاية العهد المرابطي في الاندلس ، ولم يبق من اثاره سوى البحيرة الكبرى الواقعة خارج باب جهور . واما القصر المبارك وما كان يضمه من مجالس فخمة كالثريا والوحيد وقصر الامارة ، فقد ابقى عليها المرابطون ، وظلت تحتفظ الى حد كبير بعناصره الاولى طوال عهدهم وبداية عهد الموحيدين .

وقد ظل القصر المبارك مقرا لضيوف دولتي المرابطين والموحيدين، ونستدل في ذلك على النصوص التاريخية التي زودنا بها كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذاري ، وتشير هذه النصوص الى أنه بعد وفاة ابن مردنيش وغلبة الموحدين على مرسية بادر هلال بن مردنيش باظهار طاعته للخليفة الموحيدي ابي يعقوب يوسف في اشبيلية ، فقدم مع آله وأصحابه ليعلم طاعته للخليفة ، فأرسل الخليفة الى لقائه اخواه السيد أبا زكريا يحيى وأبا ابراهيم مع علية ابنة اشياخ الجماعة من الموحدين، فتلقوه بالتكريم على أميال من اشبيلية ، وصحبوه اليها ، فدخل « في صحبتهم الى القصبة العتيقة الى مجلس الخليفة رضى الله عنه » (١) وذلك في أول رمضان سنة ٥٦٧ هـ ، ولما تمت مبايعته للخليفة ، أنزله « في قصر (٢) محمد بن عباد أمير اشبيلية الرفيع الشأن ، العظيم البنيان ، وأنزل أصحابه في الدور المتصلة به (٣) ، وقد أعدت لهم الفرش والبسط والمطاعم والمكارم والمشارب والمآرب ، وأفهموا أنهم الاقارب والاصحاب » (٤) .

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٧٢ . ويستدل من النص المذكور ان الخليفة الموحيدي اتخذ من قصر الامارة العبادي مقرا للحكم .

(٢) المقصود به القصر المبارك بشرياه .

(٣) والمقصود بهذه الدور بعض الملحقات الخاصة بهذا القصر .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٧٢ ، ٤٧١ وابن عذاري ، ص ٩٦ .

وفي العام التالي ( في الثامن من ربيع الاول سنة ٥٦٨ هـ ) عاد الخليفة الموحدى من زيارته لمرسية وبصحبه جميع أولاد محمد بن مردنيش وعيالاتهم وعيال ابيهم وأخواتهم ، فأنزلهم الخليفة أضيافا في قصر ابن عباد وفي الدور المتصلة به ، واشترى لهم دورا باشبيلية من أربابها لسكناهم غير أن القصر المبارك لم يلبث أن هجر بعد ان ابتنى أبو يعقوب يوسف قصور البحيرة ، والظاهر أن بعض جدران القصر تصدعت وسقطت ، واتفق ذلك مع شروع العريف احمد بن باسه في بناء صومعة جامع القصبه باشبيلية وحاجته الى كمية من الاحجار الضخمة ، فاستخدم في ذلك الاحجار المقتلعة من سور قصر ابن عباد ، وهكذا أخذ السور الخارجى للقصر المبارك وقصر الامارة العبادى يتهدم ويعاد استخدام احجاره في أبنية الموحدين الاخرى ، اما القصر نفسه بمجالسه قاعاته فقد ظل يحتفظ بكيانه ، ويذكر المراكشى أن القصر المبارك كان مايزال قائما في عهده (١) ويؤدى وظيفته كمقر ضيافة للوافدين على اشبيلية من ضيوف الدولة الموحدية ففي سنة ٦٣٢ هـ ( ١٢٣٤ م ) دخل الامير ابو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر مدينة اشبيلية بحيلة دبرها وقتل شيخها ابا مروان الباجى غدرا ، وأقام في القصبه شهرا ( أى قصر الامارة ) ولكن أهل اشبيلية أخرجوه منها وجددوا بيعتهم لابی عبد الله محمد بن هود (٢) .

فلما سقطت اشبيلية في أيدي القشتالين في ( ٢٧ رمضان ٦٣٦ هـ ) ٢٢ من ديسمبر سنة ١٢٤٨ م ، وأصبحت قاعدة للوك قشتالة اتخذ

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥١٦

(٢) ابن عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٢٥ ( يقول في معرض حديثه عن قيام المعتمد بحبس ابن عمار : وجعل في غرفة على باب قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك . وهو باق الى قوتنا هذا ) .

(٣) ابن عذارى ، قسم ٣ ، ص ٣٢٢ .

هؤلاء قصر اشبيلية مقرا لهم ، وأصبح هذا القصر والمجموعة العبادية والموحدية مقر فرناندو الثالث الفونسو العاشر العالم وبدروا الاول النقاسى ملوك قشتالة ، وشاركت اشبيلية شقيقة طليطلة في شغل مكان الحاضرة الرئيسية للوك قشتالة القدامى (١) . ثم أقدم الفونسو العاشر العالم على احداث بعض التغييرات في قصور المسلمين ، فأسس قصرا على الطراز القوطى بقيت منه قاعدة طويلة منخفضة تعلوها قنوات قوطية تعرف اليوم باسم حمامات ماريادى بادى Banos de Maria de Padilla كما تبقت ثلاث قاعات كبيرة تغيرت معالمها في عهد شارلكان (٢) . ثم اقام الملك دون بدرو الاول الذى عرف بحبه للفنون الاسلامية وصادقته الحميمة بسلطان غرناطة ، الى الجنوب الغربى من قصر الموحدى الذى كان يشغل على وجه التقريب موضع بعض الدور المطلة على بهو البنود ، بالاضافة الى بهو الغدل وقصر الجص وقاعة كراكول Cuarts de caracol الدارسة (٣) ، واقام قصرا جديدا أقرب ما يكون الى قصور بنى نصر بغرناطة مستغلا في بنائه مواضع من القصور العبادية ومستعينا بعرفاء مدجنين من طليطلة واشبيلية ، وعرفاء مسلمين استقدمهم من مملكة بنى الاحمر بغرناطة ، ومن المعروف ان القصور الاسلامية كانت تمتد حتى الموضع الذى تشغله دار التجارة مع الهند Casa de la contratacion de les Indias ويقع فيما بين مبانى القصر الحالية والكاتدرائية ، وكانت تعرف في سنة ١٣٣٢ م باسم القصر القديم (٤) .

- 
- 1) Elie Lambort, L'art gothique a Seirille apris la recon quete, Revue Archeologique, Paris, 1932, p. 155.
  - 2) Ibid, p. 161.
  - 3) Guerrero Lovillo, guia de Sevilla, ed. Aries, Barcelona, 1952, p. 11 - Lampercz (V.), Arquitectura civil espanola, del los siglos I al XVIII, Madrid, Vol, I, 1922, p. 599.
  - 4) Torres Balbas Ars Hispaniae, T. IV., arte Almohade, Madrid, 1949, p. 30.



وبينما تولى الملك خوان الثانى ترميم القصور الاسلاميـة  
والمسيحية (١) أقام الملك الكاثوليكيان قاعات ومصليات داخل نطاق  
القصر ، كما أجرى الملك شارلكان اضافات جديدة وفقا لطراز عصر  
النهضة . كذلك اضاف كل من فيليب الثالث والخامس اضافات جديدة (٢)  
ولقد تعرض بعض هذه العمائر للحرق (٣) والهدم والترميم كما حدث  
فى عهد ايزابيلا الثانية ( ١٨٥٤/١٨٥٧ ) (٤) .

ومع كل ما سبق ذكره من اضافات وهدم وترميم فقد كان قسم  
من القصر المبارك ما يزال قائما فى عهد بدرو الاول صحيح ان الفونسو  
العاشر قد أسس قصره القوطى بالقرب من القصر المبارك أو داخل قسم  
منه، وذلك حول البهو المعروف ببهو المصلب el Patis del crucero  
كما أقام نفس الملك قاعته المعروفة بقاعة العدل فى قطاع القصر الموحدى  
ومن الجائز انه هدم لهذه المنشآت التى أقامها قسما كبيرا من القصر  
المبارك وقصر الامارة العباد ومع ذلك فقد أبقي على قسم لا بأس به من  
القصر المبارك ، ولانشك فى أنه ساعد على اقامة المنشآت الجديدة تصدع  
المنشآت الاسلامية أو سقوط بعضها وتخربه فى أعقاب الحصار الطويل  
( خلال ١٧ شهرا ) الذى احكمه القشتاليون حول اشبيلية وما تبع ذلك  
من قذف هذه المنشآت بالمجانيق (٥) وقد عبر الشاعر الاشبيلي أبو

---

(١) ارسل الملك دون خوان عددا من الرسائل اصدرها من شقوبية من  
بينها رسالة من هذه المدينة فى ٣ يوفمبر سنة ١٤٢٧ تتضمن اشارات  
هامة الى مجموعة من الفنانين المدجنين الذين يعملون فى ترميم قصر  
اشبيلية .

2) Contreras, Estudios descriptivo de los monumentos arabes gramada,  
Seivlla y cordoba, Madrid 1885, p. 100.

3) Conteras, op. cit., p. 115.

4) Guerrero Lovillo, op. cit., p. 11.

(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، قسم ٣ ص ٤٣٧ .

موسى هارون عن ذلك فى قصيدته التى رثى بها اشبيلية ، ووصف ما نال  
أهلها من الشدة ، ومنها :

انا الى الله قد حل المصاب وما  
من حيلة فى الذى أمضى وما حتما  
فى كل حين ترى صرعى مجدلة  
واخرين أسارى خطبهم عظما  
وقد أحاطت بنا الاعداء فاغرة  
افواهها تبتغى ارواحنا طعما  
عفت يد الشرك ما شاد الخلايف من  
قصر ومن مصنع ضخم حكى ارما  
من ينصر المنزل الاعلى يقل ولها  
ما خط قط اذا أسى ولا رسما  
اين القباب التى كانت محجبة  
فيها الملوك تفيض الجود والكرما (١)

ويعتقد الاستاذ جيريرولوبيو فى بحثه القيم عن القصر المبارك أنه  
لم يندثر فى جملة ما اندثر من ابنية الموحدين ، ويعتقد ايضا انه تبقى  
منه أثر هام لعله نفس مجلس الثريا ، استنادا الى بعض العناصر  
المعمارية التى تحتفظ بها قاعة السفراء بقصر اشبيلية الحالى وهى  
لا تختلف كثيرا من حيث كثافة زخارفها ودقة تنميقاتها وتنوعها أو حتى  
من حيث التخطيط عن نظيرتها فى قصر الحمراء بغرناطة اللهم الا فى  
وجود العقد المنفوخ ثلاثى الفتحات الذى يشبه نظيره فى القاعات الملكية

---

(١) راجع الفصيدة فى البيان ، ص ٣٨٢ — ٣٨٤ ولاحظ ما ذكره الشاعر  
فى الأبيات الواردة بالمتن بشأن ماالت اليه القصور العبادية والموحدية  
من مصر سيىء وما أصابها من تدمير بحيث شوه معالمها وأطاع بقبابها  
التي كايت تعلو على عمران اشبيلية مطلة على الوادى الكبير .

بقصبة مألقة من عصر الطوائف ، وكلاهما استوحى فكرة العقد ثلاثي  
الفتحات من المجلس الغنى بقصر الزهراء ( انظر الشكل ) . ويؤكد الاستاذ  
جيرير ولوبيو ان قرطبة كانت قصدر الهام فنى للوك الطوائف اليهامها  
تجاوز اشكال العقود الى اسماء القصور ، ويخرج من مناقشة الطويلة  
بنتيجة حاسمة ومقبولة وهى أنه وصلت الينا من قصر المعتمد اجزاء  
رئيسية فى أهم ابنيته داخل نطاق المجموعة المعمارية الكبرى التى يمثلها  
القصر الحالى ، وان هذه الاجزاء لاتعدو المجلس الرائع الذى اتخذته  
المعتمد داخل المبارك وسماه الثريا ، ولكنها وصلت الينا فى ثوب مخالف  
لما كانت عليه زمن المعتمد ، فقد تجردت من كسوتها الزخرفية القديمة ،  
وكسيت زخارف مغايرة ، الا أن جوهر الثريا مايزال واضحا من حيث  
التخطيط والعناصر المعمارية التى تنطبق على قاعة السفراء (١) .

واذا احصينا البقايا الاخرى التى وصلت الينا من القصر المبارك  
نضيف الى ما سبق العقدين التوأمين المنفوخين على شكل حدوة الفرس  
وهو النوع الشائع استخدامة فى العصر الاموى وعصر الطوائف ،  
ينفتحان فى الجدار الخلفى من واجهة بهو الجص ، ونعتقد ان هذين

---

Jose Guerrero Lovillo, op. cit., p. 104 - 109.

وقد اطلعنى الاستاذ جيريرو ايضا فى مقابلة اخيرة معه على ان قاعة  
السفراء الحالية ليست فى الواقع سوى قاعة من قاعات قصر الثريا  
أعيد كسوة جدرانها وفق الاسلوب الغرناطى زمن السلطان محمد  
الخامس الذى كان صديقا للملك القشتالى بدور الاول . ويعتقد ان قبة  
هذه القاعة الحالية اقيمت مكان قبة مقريصة اثارها ما زالت موجودة  
حاليا ، وفى هذه الحالة تصبح قبة قصر الثريا أو قبة مقريصة اقيمت  
فى مبنى اسلامى فى الايدلس وأقدمها . ولست اوافقه على هذا الرأى  
لان القباب المقريصة لم تظهر فى المغرب والاندلس قبل عصر المرابطين  
( راجع مقالى )

Elsayed A. Salem, Algunos aspectos del florecimiento  
economico de alveria islamica durante el periodo de los Taifas  
y de los Taifas y de los Almoravides, Revista del Instituto Egipcio  
de Madrid, Vol. XX, 1979, p. 17, No. 1.

العقدين يمثلان جانبا من القصر المبارك أو الزاهى وان الموحددين أعادوا استخدامها بعد ان كسوها بزخارف حصينة من طابع زخارف الموحددين . ويتوسط البهو المذكور حوض لعله كان قائما من عصر المعتمد على غرار الاحواض والبرك الصناعية فى قصور الزهراء ، وقد تكون هى نفسة البركة التى أشرنا انفا انها أقيمت فى القصر الزاهى ، وذكرنا ان تمثالا لفيل كان منصوبا على حافتها يمج الماء من فيه . وقد تكون هناك فى مجموعة القصر الحالى بقايا أخرى من قصور المعتمد ما تزال دفيئة فى باطن قاعاته وأبهائه ، أو طمست معالمها بكسوات زخرفية تغطى جدرانها ولكن الكشف عنها يحتاج الى دراسات أثرية وحفريات وهو أمر يصعب تحقيقه لان الآثار التى وصلت الينا من مجموعة القصر ، وان كانت غير متجانسة من حيث الاسلوب الفنى والمعمارى ، الا أنها تؤلف مجموعة متكاملة يتعذر التضحية ببعضها فى سبيل الكشف عن آثار غير مؤكدة العثور عليها .

## ٢ — آثار قصور الموحددين داخل مجموعة القصور العبادية :

من العسير استخلاص ما أقامه الموحددين فى مجموعة الابنية التى تؤلف اليوم قصر اشبيلية فقد كان يتألف من مركزين رئيسيين : قصر الملك دون بدر و الذى أقامه فى سنة ١٣٦٤ م على ابنية اسلامية والقصر المسمى بالقصر القديم . والذى يهمننا دراسة آثار القصر الموحدى الذى أقامه أبو يوسف يعقوب على انقاض احد قصور المعتمد بن عباد ، هذا القصر لم يتبق منه اليوم سوى قاعة الجص ببهوها الضيق الصغير الذى يتخذ شكل مستطيل يقوم فى أحد جانبيه القصيرين صف من العقود يتألف من عقد كبير منكسر يتوسط من كل جانبيه الايمن والايسر ثلاثة أقواس صغيرة تتكىء على أعمدة أعيد استخدامها من قصر المعتمد بن عباد ، ويؤلف حافات العقود السبعة خطوط متموجة . وبنيتا العقد الاوسط تغطيها شبكة من أشرطة منحنية متشابكة على شكل معينات ،



في حين تمتد العقود الجانبية وتتقاطع متحرفة لتحديث معينات مخرمة ، ويقابل هذه البائكة في الجدار المقابل جوفة من ثلاث عقود على شكل حدوة الفرس تتكىء على عمودين مركزيين • كذلك تبقت من القصر الموحدى قبة ذات اثنى عشر ضلعا متقاطعا فيما بينها في غرفة بالمنزل رقم ٣ من بهو البنود ، غير بعيد من بهو الجص ، وتشبه هذه القبة كثيرا من حيث التخطيط قبة المحراب بالمسجد الجامع بتلمسان (١) وهى قبة يرجع تاريخ انشائها الى عصر المرابطين ، تقوم على أساس تقاطع ١٢ ضلعا دقيقا بارزا من الاجر ، ويشعل الفراغ المركزى الناشئ من تقاطع ضلوع القبة قبوة مقربصة ما تزال في المرحلة الاولى من مراحل تطور نظام المقربصات • ولكن هذا التشابه يقل عند مقارنتها بقبة المحراب بالمسجد الجامع برباط تازا التى ازدادت تنميكا وتأنقا لزارفها الكثيفة وتوريقاتها المتطورة (٢) • ويميل الاستاذ تورييس بلباس الى نسبتها الى نسبة قبة القصر الاشبيلي — الى عصر المرابطين لتشابهها الكبير بقبة المحراب بجامع تلمسان ، مع الفارق في زخارف التوريق الكثيفة المخرمة التى تغمر تلمسان (٣) ، ولكننى أعتقد أنها موحدية وان تاريخها يرجع الى بداية عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب الموحدى،

(١) راجع التفاصيل في :

Henri Terrasse, L'art Hispano Mauresque, Paris, 1932, p.; 235.

Georges Marcais, L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954, p. 195.

مايويل جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى اسبانيا ،

ترجمة د . أحمد لطفى عبد البديع ود . السيد عبد العزيز سالم ،  
القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٣٤٥ .

2) Henri Terrasse, La grande mosquee de Taza, Paris, 1943, p. 28,  
Georges Marcais L'architecture musulmane d'Occident, p. 268.

3) Leopoldo Torres Balbas, Ars Hispaniae, arte almohade, Nazari y mudejar, Vol, Iv, Madrid, 1949, p. 31.

لان طابع المقرنصات التى تشغل مركز القبضة أقرب الى نفس طابع  
مقرنصات ديلاس أو يلجاس ببرغش •

### ٣ — آثار حصن الفرّج :

تقع قرية سان خوان دى حصن الفرّج San Juan de Aznalfarache الى الجنوب الغربى من ربض طريانة قبلى اشبيلية ، وكانت بحصنها المنيع ويموقعها الاستراتيجى الهام على قمة مرتفع مسطح تشكل الخط الدفاعى الامامى عن اشبيلية فى عصر الموحدين والمركز لادفاعى الرئيسى عن منطقة الشرف • ونستدل من كتاب تقسيم اشبيلية Sevilla بعد ان استولت عليها قوات القشتالين ، انه لم تكن بهذا الحصن فى عصر الموحدين حامية لها قيمتها بخلاف شلوقة San Lucar وطلاطة Tejada ولا نستبعد أن يكون هذا الحصن قد هجر وتعرض للتخريب بعد سقوط اشبيلية بدليل أن الملك وهبة فى سنة ١٢٨٤ م لمدينة اشبيلية ، وبفضل هذه الهبة تحول الحصن بالتدرج الى قرية تحمل اسم المنظمة الدينية العسكرية التى آل اليها وهى سان خوان ثم اسم الحصن وهو حصن الفرّج (١) •

ومن المعروف ان حصن الفرّج كان من الحصانة بحيث لم تتمكن قوات القشتالين اقتحامه بسهولة فقد أكتفى دون بلايو كورينا Don Pelayo Correa بالمرابطة بقواته ادنى الحصن دون أن تنال قواته منه شيئاً (٢) ، الى ان دخلته فى سنة ١٢٤٦ بعد مقاومة عنيفة • ويؤكد دى ثوينيجا مؤرخ اشبيلية مناعة الحصن بقوله : « ان اطلاله تشهد بمناعة قلعته ، وتقع فى أعلى نشر مجاور للوادي وبه

1) Yulio Gonzales, op. cit, I. I, p. 497.

2) Alfonso X, Cronica General, PP. 750, 751.

تنتهى المرتفعات من سلاسل جبال سيرامورينا مشرفة على سهول  
طريانة « (٣) •

ولم يتبق اليوم من حصن الفرج إلا اثار السور الذى كان يحيط  
بالقلعة ، اذ أن القرية الحالية هى مجموعة من الابنية الحديثة • ومادة  
بنيان هذا السور من الملاط ، اما الابراج وكلها رباعية الشكل فقد  
توزعت فى ستارة السور على مسافات متقاربة ، وهى صماء حتى  
الارتفاع الذى نشاهده اليوم ، مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنها  
كانت تشتمل على غرف عليا فى مستوى ممشى السور على غرار ابراج  
سور مقرانة باشبيلية •

وبخلاف ذلك لم يتبق أى أثر للقصر ولا لقبابه التى أبدع الشعراء  
فى وصفها ، وحتى هذه الاسوار الباقية ، لا تحتفظ تماما بحالتها الاولى  
بعد ان تعرضت لاعمال الاصلاح والترميم عدة مرات •

---

1) Ortiz De Zuniga, Anales eclesiasticas, t. I, p. 11.

### نبذة عن قصور دولتى المرابطين والموحدين :

كنا نجهل ما كانت عليه قصور المرابطين فى اسبانيا الاسلامية حتى أمكن الكشف عن بقايا قصير « ميتقـوط » فى سهل مرسية على بعد أربعة كيلو مترات شمال شرقى هذه المدينة ، ويعتبر هذا القصر المثل الأول الذى احتذاه الموحدون فى قصورهم بأشبيلية ومالقة وقرطبة ، والذى احتذاه بنو نصر من بعدهم فى بهو السباع بحمراء غرناطة • وأهم ما يتميز به التناسق التام فى مخارج سورهِ ومداخله وفى توزيع غرفهِ ، ويتوسط هذا القصر صحن مستطيل يطل على جانبيه القصرين جوسقان مربعان بارزان يمهدان لجوستى بهو السباع بـغرناطة • ويتقاطع ممشيان يؤلفان محورى البناء على شكل صليبي ، وتمتلىء المستطيلات الأربعة الناشئة من هذا التقاطع بأشجار البرتقال والليمون • وقد اقتبس هذا النظام نفسه بعد ذلك بقرنين من الزمان فى جامع القرويين بفاس ، وفى بعض قصور أمراء بنى مرين بمراكش •

ولم يذكر مؤرخو العرب جهود الموحدين فى بناء القصور ، ومع ذلك فإن عصر الموحدين يعتبر من أزهى العصور فى البناء والتشييد ، فقد أقاموا الدور والقصور فى غرناطة وقرطبة ومالقة وأشبيلية ، وقد نوهت كتب التاريخ بما بذله أبو يوسف يعقوب من بنائه قصر البحيرة خارج باب « جهور » من أبواب اشبيلية وأمدّه بالمياه من قلعة جابر وقرمونة ، وأضاف سنة ٥٦٧ هـ ( ١١٧١م ) قاعات أخرى الى قصر بنى عباد بأشبيلية بقيت منها أجزاء تعد غاية فى الروعة والجمال وسط خليط من الإضافات المسيحية ، ولا تريد هذه البقايا عن جزء من قاعة الجص وقبوة من المقرنصات والضلوع بالمنزل رقم ٣ فى بهو البنود بالقصر وبقايا سور وأبراج كانت تحيط بالقصر القديم •



## قصور الحمراء بغرناطة :

لم تكن غرناطة زمن الفتح الاسلامى سنة ٧١٢ ميلادية سوى قرية صغيرة افتتحها المسلمون عنوة ، وضموا اليهود الى قصبتها ، ولعل ذلك كان سببا في تسميتها بعد ذلك « باغرناطة اليهود » . ومنذ الفتح لم يعرها المسلمون اهتماما اذ استقر جند دمشق في البيرة التي ظلت حاضرة كورة البيرة زمن بنى أمية . ولكن غرناطة أخذت تنمو شيئا فشيئا منذ القرن العاشر ، وأصبحت مدينة كبيرة ، فلما سقطت الخلافة بقرطبة ، استولى البربر على البيرة ، فخلت وانتقل أهلها منها الى غرناطة ، وبزغت شمس غرناطة وأصبحت حاضرة كورة البيرة ، ثم أخذ اسم غرناطة يسيطر تدريجيا على الكورة ، وأخيرا حل محل اسم البيرة .

وكان لموقع غرناطة على الضفة اليمنى من نهر شنيل واختراق نهر حدرة لها — أثر كبير في احاطة الجنسان والبساتين بها ، وكانت تشرف من الناحية الجنوبية الغربية على فحس فسيح ، وكان يطل عليها من الشرق والغرب جبل شلير الذى لا يفارقه الثلج شتاء أو صيفا (Sierra Nevada) . وكان للمرتفعين اللذين يفصل بينهما نهر حدرة واللذين عليهما مدينة السلاطين وحى البيازين — أهمية استراتيجية عظيمة كان لها أثر كبير في مناعة المدينة .

ولما سقطت غرناطة في أيدي البربر جعلها زاوى بن زيرى عام ١٠١٣ ميلادية عاصمته ، وقد مدنها حبوس الصنهاجى وحصن أسوارها ، وخلفه ابنه باديس بن حبوس فكملت في أيامه . وظلت غرناطة عاصمة بربر صنهاجة حتى استولت عليها جيوش المرابطين عام ١٠٨٩ ميلادية ويغلب على الظن أنهم جعلوها حاضرة دولتهم في الأندلس ، ثم فتحها الموحدون عام ١١٤٦ ميلادية . وفي نهاية عهدهم نجح ابن هود ملك بلنسية سنة ١٢٣١ ميلادية في ضم غرناطة الى

ملكه ، وبعد وفاته سنة ١٢٣٧ م ضمها اليه محمد بن يوسف بن نصر سيد حصن أرجونة وبسطة ووادي آش وشريش وجيان ومالقة ، وجعلها عاصمة مملكته •

وكانت اسبانيا الاسلامية اذ ذاك قد تحطمت أعوادها وانكسرت رقعته أمام الدفع السريع للاسترداد القومي الاسباني على أثر سقوط المدن الكبرى كقرطبة سنة ١٢٣٦ م ومرسية سنة ١٢٣٩ م واشبيلية سنة ١٢٤٨ م في أيدي النصارى • وكانت الأحوال السياسية وقتئذ تحتم تأليف جبهة قومية قوية أمام الخطر الجاثم ، فقامت مملكة غرناطة التي دامت ما يقرب من قرنين ونصف القرن من الزمان بالرغم من الصراع غير المتكافئ بين النصرانية والاسلام ، وبالرغم مما عانته مملكة غرناطة من حروب داخلية • وكان توسل بنى الأحمر بسلطين بنى مرين في الجانب الآخر من الزقاق ، ثم عقدهم محالفات سياسية مع ملوك قشتالة — عاملا قويا في اطالة أمد هذا الصراع • وترك محمد الأول عام ١٢٧٢ م ملكا قويا يستطيع الثبات أمام الأعداء • وكان تقلص الاسلام قد أدى الى تركيز أهل الفنون بالأندلس في غرناطة ، فوفد اليها أهل الحرف والصناع ، وأقاموا فيها واستغلوا كل شبر من أراضيها ، فنهض فن العمارة وأقام محمد الأول قصبته الحمراء وبنى فيها برج الطليعة Torre de la vela وبرج التكريم Torre de Homenage كما أقام فيها بعض الأسوار القوية ، وخلفه ابنه محمد الثاني « ١٢٧٢ — ١٣٠٢ » وكان سياسيا حصيفا استطاع أن يوطد سلطانه في البلاد ، وكان لا يتردد في الاستتجاد ببنى مرين كلما أحسن بشبح الاسترداد يهم بمملكته ، وتلاه محمد الثالث ، ومع أنه كان ضريرا فقد كان نشيطا عالما ، مولعا بالفنون والعمارة فبنى قصرا بالحمراء ، كما بنى

المسجد الجامع بالقصر<sup>(١)</sup> ، وقد هدم في طليعة القرن السابع عشر ولم يبق منه سوى ثريا برنزية محفوظة بمتحف الآثار بمديرية •

على أن العصر الذهبي لدولة بنى نصر يبدأ بعهد أبى الحجاج يوسف الأول ، فقد كان حاميا للآداب والفنون ، فأقام أول نواة لقصر الأساطير بما فيه برج قمارش والبرج المعروف بقصر متشوكة والحمام الملكى وباب الشريعة وبرج الأسيرة ومصلى البرطل ، وظل يوسف الأول يحكم سنين كلها رخاء ، حتى قتل عام ١٣٥٤ م وهو يؤدى الصلاة فى جامع الحمراء ، وخلفه ابنه محمد الخامس الغنى بالله الذى أكمل فى الحمراء ما كان قد بدأه أبوه فيها ، ودام عهده حتى سنة ١٣٩١ م ثم تولى الحكم بعده ملوك ضعاف ، وتوالت الأحداث فى العهد الأخير الذى سبق مباشرة سقوط غرناطة آخر معقل للإسلام فى الأندلس فى أيدي النصارى ، وانبعثت الفتن بين أفراد الأسرة المالكة ، وقامت الثورات تأييدا لأحدهم على الآخر • وكانت آخر حلقة فى سلسلة هذه الفتن ذلك الصراع بين الزغل وابن أخيه أبى عبد الله بن أبى الحسن الذى أدى الى تسليم مدينة غرناطة فى ٢ من يناير ١٤٩٢م

ويشهد قصر الحمراء بغرناطة هذه الأحداث ، وتروى قاعاته وأبراجه قصة هذا الصراع الأليم الذى انتهى بضياع الأندلس ، وتعتبر حمراء غرناطة مقبرة الحضارة الإسلامية ، ففيها وضع رجال الفن من مسلمى الأندلس خلاصة فنهم وعصارة ما وصلت اليه

---

(١) يذكر ابن الخطيب « السلطان محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر توفى سنة ٨١٠ هـ وأعظم مناقبة ابتداء المسجد الأعظم بالحمراء فى غرناطة على ما هو عليه من الظرف والتنجيد والترقيش من فخامة العمد واحكام أتوار الفضة وابداع ثرياتها ووقف عليه الحمام بازائه » انظر اللوحة البدرية فى الدولة النصرية طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ، ص ٥٠ .

عبقريتهم ، ومن أهم مزايا الفن الغرناطى أنه فن دنيوى على نقيض فن المرابطين • ولم يكن بناء بنى نصر للمساجد الا نتيجة للتوسع الاجتماعى الذى فرضته هجرة سكان المدن التى سقطت تباعا فى أيدي النصارى • وحتى هذه المساجد كانت تزخر بالزخارف التى تلهى المسلم عن صلاته وتجعل من هذه المساجد قصورا خيالية تسبح فى زخارفها وتنميقاتها الأبصار دون ملل أو كلل • بل ان هذه الزخارف كانت تغطى جدراننا رقيقة ضعيفة ، وتكسوها كما لو كانت أبسطة ، وهكذا يكشف فن غرناطة عن حقيقة طبيعية : هى رغبة شعب قد بلغ ذروة التطور فى التمتع بحاضره والشك فى غده ، وكذا كانت الأبنية التى زخرت بها غرناطة قصورا يتمتع فيها المرء بحياة من الترف فى نطاق طبيعى لامثيل لجماله • وكان المجال الذى يحيط بهذه القصور يتجاوب هو وهذا التمتع • ونجح عرفاء بنى نصر فى احداث تأثير جمالى يصحب فن توزيع الخمائيل والجنان ومزج المنظر الطبيعى بالعمارة • فالحمراء تجلو لنا أروع أمثلة هذا الفن ، بل هى تعتبر واحة خضراء فى اقليم قاحل جاف تحرقه الشمس ، ولا تدع غابة الحمراء التى تحيط بالقصر لسلطاني وكثافة الفروع — أى مجال لنفاذ أشعة الشمس ، كما أن هذه النسومات المنعشة التى تهز الأشجار فترطب الوجوه المحترقة والماء الذى ينساب بين الصخور ، والطيور التى تغرد على الأشجار وبين الأغصان والأفنان — كل ذلك — يجعل من قصر الحمراء قصرا أسطوريا أو جنة الله فى أرضه ، ويحمل المرء على أن يحيا فى عالم خيالى لا يفكر فيه الا فى القصور التى كانت تعيش فيها أميرات ساحرات • وهنا يبلغ الفن الغرناطى الذروة ، فقد أعد كل ذلك أعدادا دقيقا لتخدير المشاعر عن ادراك الحقيقة التى لا سبيل الى التغافل عنها وهى انتهاء دولة الاسلام فى الأندلس •

ويعتبر قصر الحمراء وقصر البرطل وجنة العريف أكمل مجموعة اسلامية للقصور الاسبانية ، وأقدم آثار الحمراء حصن القصبه الذى



ينسبونه الى مؤسس الأسرة محمد بن نصر المعروف بمحمد الأول (١٢٤٨ — ١٢٧٢ م) ويغلب على الظن أنه أقام هو وابنه محمد (١٢٧٣ — ١٣٠٢ م) في قصر ما خارج القسبة • وكل ما بقى منه باب النبيذ (Puerta del vino) الذى ما يزال قائما فى معزل عن بقية الأبنية الأخرى داخل سياج أحدث منه • وبنى محمد الثالث بدوره (١٣٠٢ — ١٣٠٩ م) نحو الشرق بقليل مسجدا سلطانيا لا أثر له اليوم ، اذ أمر فيليب الثانى بهدمه سنة ١٥٧٦ م •

أعمال يوسف الأول : وينسب الى يوسف الأول (١٣٣٤ — ١٣٥٤ م) وابنه محمد الخامس (١٣٥٤ — ١٣٩١ م) بناء القصور السلطانية بالحمراء وهى التى أقيم تحول صحنى الريحان والسباع • وما ينسب الى يوسف الأول يشتمل على السور الحصين الذى يحيط بمرتفع الحمراء بأبراجه وبوابته العظمى المعروفة بباب الشريعة الذى ينم نظام بنائه عن اصالة وعن فن اسلامى بحت لادخل للعناصر المسيحية فيه • وقد تم بناؤه فى ١٣٤٨ م وفقا لما احتواه النقش الكتابى • وقد أطلق عليه باب العدل نسبة لصورة يد مفتوحة ومفتاح ، ترمز الأولى الى العدالة ويرمز المفتاح الى مدخل قصور الحمراء ، كما أطلق عليه اسم باب الشريعة نسبة الى المصلى الذى كانت تقام فيه صلاة العيدين والابتهالات الى الله أوقات الشدة والقحط والجفاف •

ومن أقدم قصور الحمراء التى ترجع الى عهد يوسف الأول قصر البرطل (١) ويعنون به فى الأندلس المظلة التى تقوم على بائكة هذا القصر بين برج السيدات (Las Damas) مصلى صغير ، وتتألف مظلة

---

(١) تعنى هذه الكلمة المظلة او السقيفة وقد وردت فى نفح الطيب ج ١ ص ٣٦٦ ( طبعة محيى الدين عبد الحميد ) عند ذكره استقبال الخليفة الناصر للملك اردون عند باب الاقبياء بالزهراء •

هذا القصر من خمسة عقود أوسطها أكثرها ارتفاعا • ويطل هذا البرطل على بركة تزودها نافورة أسفل العقد الأوسط — بالمياه • وراء هذا البرطل وفي ركن منه قاعة مربعة تشبه البرج يمكن الارتقاء منها الى طبقة أعلى عن طريق درج الى اليسار • ويغطي الجدران التي تعلو عقود البائكة شبكات من زخرفة المعينات ، ويحيط بالجدران ازار من الزليج تتعدد فيه الرسوم الهندسية الملونة • وتقوم عقود البائكة على أربع أرجل من الآجر •

والى يمين البرطل من شرقه وعلى درب السور أو ممشاه مسجد صغير ملحق بالبرطل لصق دار قديمة ، ويتناقض هذا البناء الصغير في بهاء عمارته ونوافذه المفتوحة على كلا الجانبين وبناء الأسوار والأبراج المجاورة في حمرتها وعرائثها من الزخرف ، ويبلغ طول هذا المسجد ١٦م من المتر وعرضه ٣ أمتار ، وفي رأسه محراب يقابل الباب ويتجه نحو الجنوب الشرقي وتعلوه قبوة مقرنصة • ونستطيع أن نرجع بناء هذا المسجد من أسلوب زخارفه الى عهد يوسف الأول •

ولا يبعد برج الأسيرة كثيرا عن قصر البرطل ، اذ يقوم على مرتفع يعلو الحفير الفاصل بين الحمراء وجنة العريف ، ويضم هذا البرج قصيرا يتألف من قاعة أساسية تكتنفها شرفات ومخادع جانبية ، ويتوسط البرج صحن داخلي صغير يحيط به من جهاته الأربع مجنبات • وزخرفة قاعات هذا البرج لاسيما تربيعاته الزليجية الملونة والزخرفة الجصية الرائعة التي ما زالت تحتفظ ببقايا ألوان وتذهيب تجعل هذا القصر من أجمل ما شيده يوسف الأول •

وبرج الشرفات أو الأسنة بين مصلى البرطل وبرج الأسيرة ، وقد سمى كذلك نسبة الى شرفاته المديبة وميازيبه البارزة على أحد جوانبه • ويناقض هذا البرج الأبراج الاسلامية الأخرى ، اذ من اليسير ملاحظة

أثر العمارة المسيحية في بنائه ، ويغلب على الظن أن أسيراً مسيحياً ساهم في بنائه ، والقبوة التى تعلو قاعة الطبقة الأولى منه تقوم على تقاطع العقود القوطية • وفى أسفل البرج تنفتح بوابة صغيرة ، وهنا تجلى منظر من الشعر الحزين ذلك هو أحدور الملك الصغير (cuesta del rey chico)

والى يسار برج السيدات برج مخدع الملكة (de la Reina) ويضم هذا البرج — شأنه فى ذلك شأن برج الأسيرة — قصراً صغيراً لطيفاً يرجع الى يوسف الأول • ويتصل هذا البرج بقصر الريحان وبرج قمارش • وقد تغيرت الأجزاء العليا منه فى القرن السادس عشر ، وازدانت بروائع من فن التصوير الايطالى • وقد أعيد الى هذه القاعة مظهرها القديم •

قصر بهو الريحان : ويتألف قصر الحمراء من ثلاث مجموعات : اثنتان منها ترجعان الى عصر يوسف الأول ، والثالثة ترجع الى عصر محمد الخامس • وقد ضاعت معالم المجموعة الأولى التى كانت تشتمل على مجموعة من الأبنية لم يبق منها سوى أسسها • ويجاورها صحن فى جهته الشمالية مجنبه تتقدم برجا يعرف اليوم باسم برج متشوكة ، وهو مهندس شارلكان ، والى جانبه كان قصر العدل أو المشوار ، وفيه كانت تجرى الأحكام •

وتضم المجموعة الثانية — وترجع أيضا الى عهد يوسف الأول — قصر السلطان ومقر الحكم • ويعتبر هذا القصر أروع ما شيده السلطان يوسف الأول ، ويتوسط هذا القصر بهو الريحان ، وفى جهته الشمالية برج قمارش الذى يشتمل فى داخله على قاعة السفراء • ومن قمريات هذه القاعة ومنظراتها يمكن امتاع البصر بمنظر من أروع مناظر الطبيعة الساحرة ، وتنتقل العين فى نهر حدرة الذى تتدفق مياهه أدنى البرج الى حى البيازين فى المرتفع الآخر المقابل للحمراء •

وزخارف هذا القصر يعجز عنها الوصف ، وتتألف من زخرفة جصية ماونة هندسية ونباتية وكتابية • ويعلوه سقف خشبي تكسوه زخرفة هندسية • ويسبق قاعة السفراء رواق مستطيل يعرف باسم « رواق البركة Barca » ويعزون ذلك الى قبوته التي تشبه الزورق كما يعزون آخرون الى كلمة البركة العربية • ويطل على بهو الريحان بائة مؤلفة من سبعة عقود أوسطها أكثرها ارتفاعا • وهو أروع مثال للصحن الأندلسي ، اذ تشغل وسطه بركة كبيرة مستطيلة الشكل تحف بها أشجار الريحان ، ومن هنا سمى أيضا باسم بهو البركة • ويقابل هذه الواجهة جنوبا واجهة أخرى مماثلة في المحور نفسه ، ويتألف هذا الجانب الجنوبي من طبقتين •

والى شرقي مجلس قمارش وبهو الريحان الحمامات السلطانية وهي من أقدم أبنية القصر • وتتألف هذه الحمامات مجموعة كاملة من الأبنية ، وترجع الى عهد يوسف الأول الذي سجل اسمه في نقش كتابي • ويسبق الحمامات الى الشمال قاعة يطلق عليها اسم قاعة الأسرة ، وقد أجريت عليها اصلاحات عدة في القرن السادس عشر غيرت كثيرا من معالمها القديمة • ويسقف القاعة الأساسية في الحمامات قبة تخترقها مناوور أو مضوى وهي أشكال نجمية لانفاذ الضوء ، وتكسو الجزء الأدنى من الجدران تربيعات رائعة من الزليج ، وتحمل العقود المتجاوزة المنكسرة أعمدة صغيرة رشيقة •

### أعمال محمد الخامس :

ذكرنا فيما سبق أن محمداً الخامس أتم وأصلح أبنية أبيه ، مثل ذلك قصر الريحان وراق البركة على وجه خاص ، اذ أن زخارفه تختلف تماماً عن زخارف قاعة السفراء • كما أنه زود قصر أبيه بمدخل رائع يطل على صحن المشوار ويتصل به أسطوان على شكل المرفق يفضي



الى صحن الريحان • وتشبه واجهة هذا المدخل واجهة القصر باشبيلية  
الذى أسسه في العصر نفسه بدرو القاسى ملك قشتالة •

وقد توج محمد الخامس أعماله المعمارية بتشبيده المجموعة الثالثة  
في قصور الحمراء ، وهى مجموعة قصر السباع • والمحور الأساسى  
لهذا القصر الجديد يتعامد هو ومحور بهو الريحان ، ونظامه جديد في  
تاريخ العمارة الغرناطية في القرن الرابع عشر ، اذ أنه بدلا من  
القاعتين اللتين تقعان في الطرفين القصيرين للمستطيل في بهو قصر جنة  
العريف وبهو الريحان ، أحاط بالصحن المركزى المعروف ببهو السباع  
في واجهاته الأربع — أربع بوائك • ويتوسط الصحن فوارة تتألف من  
ثلاثة أجزاء : النافورة ، والحوض الأعلى ببيلتسه ، ثم الأدنى من  
النافورة استدار تحتها اثنا عشر أسداً تمج الماء من أفواهها • ويدور  
بالحوض طراز كتابى في مدح محمد الخامس • وتدور بالصحن أربع  
بوائك تقوم على عمدتها الرقيقة الرشيقة عقود نصف أسطوانية مطولة  
تعلوها جدران مكسوة بالشبكات الزخرفية • ونقرأ في جدران هذا  
القصر نقوشاً عربية منها : « عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى  
بالله » كما تزخر الجدران بأشعار ابن زمرك في مدح هذا السلطان •

وصحن السباع على شكل مستطيل طوله ٢٨ر٥ متراً وعرضه  
١٥ر٧٠ متراً ، ونظام هذا الصحن يماثل نظام صحن قصر منتقوط  
بمرسية ، اذ على جانبيه القصيرين جوسقان مقبيان تحملهما أعمدة  
رشيقة ، ويتقاطع محورا الصحن وقد اتخذتا شكل قناتين للمياه بحيث  
يؤلفان شكلا صليبياً • ويذكر الأستاذ لامبير أن الشكل العام لصحن  
السباع بما يحيط به من بوائك في جهاته الأربع يبدو متأثراً بنظام

أبهاء الأديرة المسيحية (١) وان كنا نعتقد اعتقاداً جازماً أنه متأثر بنظام أبهاء المساجد أو الأربطة .

خلف الجوسق الغربى قاعة فسيحة تغيرت معالمها الاسلامية ، على حين أن خلف الجوسق الشرقى قاعة الملوك أو قاعة العدل (٢) ، وتزخر بالعقود المتعارضة التى تحشد فى بوابتها المقرنصات الدقيقة . أما القاعتان الجانبيتان للصحن شمالاً وجنوباً فهما من أروع ما جاد به فن العمارة الاسلامية فى الأندلس ، فالقاعة الجنوبية وتعرف بقاعة بنى سراج تتوسطها بيلة من الرخام بها آثار بقع حمراء يقال : انها من دماء بنى سراج بعد أن قضى عليهم ملوك بنى نصر . وتعلو القاعة قبة رائعة الجمال من المقرنصات الدقيقة نجمية الشكل ، أما القاعة الشمالية المقابلة لها فاسمها قاعة الأختين نسبة الى لوحتين كبيرتين من الرخام متماثلتين فى الشكل كانتا تKSوان الأرضية ، وتعلو هذه القاعة بالمثل قبة نجمية الشكل من المقرنصات الدقيقة التى تشبه خلايا النحل . وتؤدى هذه القاعة الى شرفة تطل على حى البيازين . وجميع جدران هذه القاعات مكسوة بالخازف الهندسية والنباتية المحتشدة تتخللها كتابات كوفية نسخية وأدعية للسلطان . والأجزاء الدنيا منها مؤزرة بالزليج والفسيفساء .

وقصر السباع يضم أكثر من تأثير للفن المسيحى ، ويمكننا أن نفسر هذه الظاهرة بالعلاقات الودية التى أخذت تزدهر فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر بين غرناطة من جهة واشبيلية وطليطلة

---

Lambert, L'alhambra de Grenade, revue de l'art LXIII, p. 144-164.

(٢) تزدان بعض أسقف هذه القاعة بصور الملوك عرب ومناظر للطعان والحرب وغيرها ، ولكنها صور يبدو فيها التأثير الجاد للمدرسة الإيطالية مما يجعلنا نظن أن فنانيين مسيحيين ساهموا فى زخرفة هذه القاعة .

من جهة أخرى ، بين محمد الخامس وبدر القاسى ، وقد نتج من ذلك حدوث تبادل فنى بين عاصمتيهما ، ومن هنا نشأت صلات غربية الشأن بين الفن الاسلامى بغرناطة والفن المدجن باشبيلية وطليطلة ، أو بينه وبين الفن القوطى المسيحى على نقيض ما حدث بين غرناطة وشمالى أفريقية فى القرن الرابع عشر . ومن مظاهر هذا التأثير المسيحى تعقد الزخرفة والعلو فى حشدها ، كما أننا نلمح فيها ظهور عناصر جديدة أكثر ، يقال عنها : انها طبيعية . وتتجمع هذه العناصر عادة فى أكاليل على النحو الذى اتبعته الزخارف المدجنة المعاصرة ، وتمتاز بهذه الزخارف رنوك على مثال الرنوك التى تزين الأبنية المسيحية .

### قصر جنة العريف :

ونختم حديثنا عن القصور بذكر قصر جنة العريف ، فبخلاف قصور الحمراء ترتفع عدة تلال بحيث تشرف على وديان نهر حدرة ونهر شتيل ، وتتدفق هذه التلال من مياه نهر حدرة عن طريق انقنوات والحنايا والتواعير والأنابيب الماصة التى تخترق الوديان ، وبذلك أمكن انشاء جنات فيحاء تحيط بدور اللهو التى كان يشيدها أمراء المسلمين وقد زالت كل هذه الجنان حين كفت المياه عن الوصول الى تلك الدور ، الا فى جزء أقل ارتفاعاً ، ولكنه أكثر خصبا هو جنة العريف .

وقد تبارى الكتاب ابان القرن السادس عشر فى وصف ومدح هذه الجنان التى نصب مأوها فى وقتنا هذا وان كانت تزودنا مع ذلك بصورة شاحبة لمجدها الغابر الدارس وعيونها الرائعة وأشجارها وغاباتها التى تظلل قصورها .

والبناء الأساسى فى مجموعة أبنية جنة العريف يتألف من صحن

شديد الاستطالة تقوم في طرفيه أبنية ، وفي وسطه قناة تتحدر فيها المياه ، وتنتصب في الجهة الجنوبية مجموعة من العقود المتصلة ، ونظام البناء يماثل نظام القصر السلطاني في مجموعة وان كان يسبقه تاريخيا ، اذ أنه يحتوى على نقش كتابى فيه ذكر للسلطان اسماعيل الذى جدد القصر عام ١٣١٢ م •

وقد أقام سلاطين غرناطة في هذا القصر وما يجاوره من القصور المرتفعة رغبة في التمتع بالهدوء والاتصال الوثيق بالطبيعة • وكل شيء في جنة العريف بسيط في مظهره قوى في تأثيره على النفس ، ولا دخل لليد البشرية في تعديل ذلك ، اذ ترك للطبيعة كل شيء • كما أنه كان من شأن زخارف هذا القصر وتوزيع منظراته ونوافذه واحاطة نطاق طبيعى رائع به — وما يهيب للمراء أن يحس بالراحة وأن يتمتع بكل ما يحيط به •

ويبدو لنا مما سبق عرضه أن من الظلم أن نتهم عرفاء بنى نصر بأنهم أهملوا فن العمارة وأقبلوا على الزخرفة ، وأنهم كانوا مزخرفين منمقين ولم يكونوا مهندسين معماريين ، فان النظام الرائع بقصر الريحان وقصر السباع والتناسق التام بين أجزائهما المختلفة — تبين أن فنانى السلطان محمد الخامس على الأقل أحرزوا درجة عالية في فن العمارة والجمع بين توزيع الفراغ والكتل ، كما وفقوا في الجمع بين العمارة والطبيعة ، وكلها مقومات هامة لا بد أن تتوافر في فن العمارة والبناء •

واذا كانوا قد وجهوا النقد الى ضعف البناء فيكفى ردا على هذا النقد أن قصر الحمراء مازال قائما في صورته الأصلية دون أن تتصدع جدرانها أو تنهار قاعاته ، ويكفى دلالة على المظهر المعماري لقصور الحمراء «مظاهرة الحمراء» التى حدثت في ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ حين اجتمع وفد مؤلف من ٢٤ مهندسا معماريا في قصر الحمراء للتفكير في وضع أسس لعمارة قومية جديدة ، وكل ما يمكننا أن نستخلصه من قرارهم أن « قصر الحمراء مستودع رائع للعمارة الاسبانية » •





## الفصل الثالث

### التحصينات

#### النظم الدفاعية في المدن الأندلسية



## النظم الدفاعية في المدن الأندلسية :

أطلق مؤرخو العرب في كتاباتهم عن المجتمعات الأندلسية المغربية عددا من التسميات ، التي تختلف تبعا لأهمية كل مجتمع من الوجهة العمرانية ، فكانوا يطلقون لفظة « مدينة » للدلالة على كل بلد لها حظ كبير من الأهمية ، بينما كانوا يطلقون عليها اسم « حاضرة » اذا كانوا يعنون بها عاصمة إحدى الكور أو الأقاليم •

والمدن الإسلامية نوعان : الأول يشتمل على المراكز العمرانية السابقة على الفتح الإسلامي ، والثاني المدن التي أسست في عهد الإسلام • وقد شهد الفاتحون عند فتحهم الأندلس بلادا غنية موفرة الرخاء ، ماضيها مجيد وعمرانها رفيع ، وأحس المسلمون عندئذ بالحاجة الى الاستقرار بها ، اذ وجدوا في هذه المدن المأهولة من قبل ، نظاما ممتازا من الطرق فاهتموا به غاية الاهتمام ، اذ أن المراكز العمرانية بالأندلس ، المتقاربة في توزيعها ، كانت تكتسب رخاءها من التجارة • وكان أغلبها يعتمد على ثراء ما يحيط به من قوى ومزارع الأمر الذي يفسر كثافة السكان بها •

ولما وطد المسلمون سلطانهم بحيث شمل الجزء الأعظم من شبه جزيرة أيبيريا وأحسوا بالاستقرار بعد الفتح ، عمدوا الى انشاء مراكز عمرانية جديدة تمكينا لمصالحهم الاقتصادية ورغبة في تدعيم نظامهم الدفاعي أمام هذه المحاولات المستمرة من جانب الأسبان للتحرر ، هذه المحاولات التي ما لبثت الأسبان أن بدأوها في كويادنجا في لاوقت الذي لم يفرغ فيه المسلمون تماما من اخضاع شبه الجزيرة كلها لسلطانهم •

وتتميز أكثر المدن الأندلسية التي أسسها المسلمون ، بصفات حربية بحتة مما يدل على أنها أسست للدفاع عن بعض المناطق •



وأسماء هذه المدن يعبر بجلاء تام عن هذه الصفات مثل ( قلعة جابر )  
Alcala de Guadaira و ( القليعة ) Alcolea و ( قلعة أيوب Calatayub  
( قلعة رباح ) Calatrava و ( القصر ) Alcazar و ( حصن الفرج )  
Aznlfarache و ( حصن القصر ) Aznalcazar وهلم جرا ....  
وكانت تحيط بالمدينة الأندلسية الإسلامية أسوار منيعة تحميها  
من الغارات والغزوات •

واكتفى المسلمون ، في أول عهدهم ، بالأسوار الرومانية حتى  
إذا ما اتسع نطاق المدينة بازدياد سكانها وتمثلت أسوارها نتيجة  
طبيعية للتوسع العمراني وأصبحت هذه الأسوار عقبة كأداة في سبيل  
العمران ، وتآلفت خارج هذه الأسوار أرباض ارتبطت ارتباطا وثيقا  
بالحومات أى الأحياء ، استعمل المسلمون حجارة الأسوار في بناء  
المسجد الجامع وغيره من الأبنية ، وتحولت مواضع الأسوار المتهدمة  
الى طرق فسيحة أقيمت أسوار إسلامية على نطاق أكثر اتساعا بحيث  
تحيط بالأرض • ومثل ذلك ما فعله الأمير السموح بن مالك الخولاني في  
بنائه لجسر قرطبة من أحجار سور المدينة سنة ١٠١ هـ (٧١٩م) :

وفي ذلك يقول صاحب كتاب « فتح الأندلس » أصاب المسلمون  
اذ فتحوا الأندلس بمدينة قرطبة آثار قنطرة رفيعة القدر معقودة فوق  
نهرها الجارى على عدة جنايا وثاق الأركان من تأسيس الامم الماضية  
الدائرة لم يبق منها الا رسوم ، ولا يصل الناس الى قرطبة الا في  
السفن فيلقون في ركوبها مشقة عظيمة ، فأمر عمر بن عبد العزيز  
السموح بن مالك ببنائها ، فصنعت على أتم وأعظم ما عقد عليه جسر  
في معمور الأرض من حجارة سور المدينة •

وقد عمد الأمير عبد الرحمن بن معاوية بعد ذلك الى بناء سور  
آخر حول قرطبة فبناه باللبن : « وفي سنة خمسين ومائة (٧٦٦م) أمر

الامام ابن معاوية ببناء سور قرطبة فبنى ما كان جبر منه باللبن اذ بنيت القنطرة من صخره فكمل بناؤه حسب ما أمر به •

وقد حدث مثل ذلك في اشبيلية اذ بنى عبد الله بن سنان مولى عبد الرحمن الأوسط سور اشبيلية سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م) من حجارة سورها القديم كما استعملت بعض هذه الحجارة في بناء مسجد اشبيلية الجامع المعروف بابن عديس سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) • وحين هدمت هذه الأسوار للمرة الثانية بعد أن اتسعت المدينة في عهد الموحيدين استخدمت أحجار السور في بناء أساس الصومعة وقد عثرنا بالفعل على عدة أحجار عليها كتابة لاتينية في احدى الجوانب السفلى بهذه الصومعة مما يدل على أنها تنتسب الى السور الرومانى القديم •

وكان يدعم الأسوار أبراج تتوزع في السور على مراحل مختلفة كما كان يحيط بهذه الأسوار أسوار أخرى أمامية وتخترقها أبواب تيسر اتصال المدينة بخارجها ، كما كانت تقام قلعة أو قصبة في أشد أجزائها ارتفاعا تدافع عن المدينة في حالة الهجوم من أعلى ، وغالبا ما تستند هذه القلعة الى جزء من أسوار المدينة ليسهل على حاميتها الفرار في الوقت المناسب •

وكان المسلمون منذ الفتح في حرب دائمة مع نصارى اسبانيا الذين مافتتروا يجاهدون منذ وطئت أقدام المسلمين هذه البلاد من أجل استردادها ، واصطبغت هذه الحرب منذ عهد ملوك الطوائف بصبغة دينية حين اتسعت رقعة اسبانيا المسيحية بعد أن سقطت الخلافة الأموية سنة ١٠١٠ م • وقامت على أنقاضها دويلات صغيرة ما لبثت أن استسلمت الى الفونسو السادس ملك قشتالة بمجرد قيامها ، ولا نستثنى من هذه الدويلات سوى مملكة اشبيلية ، وقد استنجد ملكها المعتمد ابن عباد الذى تولى الحكم في ١٠١٢ الى ١٠٩١ م بيوسف ابن

تاشفين أمير المرابطين ومؤسس هذه الدولة في المغرب ، اذ كان رعى الجمال أهون عليه من رعى الخنازير ، وبالفعل سارع يوسف لنجدة المعتمد من طغيان الفونسو السادس ، وهزمه هزيمة نكراء في واقعة الزلاقة Sagraias عام ١٠٨٦ م بالقرب من بطليوس Roldanos ثم أنزل منصور الموحدين بالنصارى هزيمة كبرى في واقعة الأرك ١١٩٦ م وتعتبر هذه الهزيمة آخر انتصار للإسلام في الأندلس •

ومنذ أن وفد بربر المغرب الى الأندلس اصطبغت الحرب في الأندلس بصبغة الجهاد وتوسل النصارى بملوك الفرنجة واتسم الصراع بين القوتين بما يشبه الحروب الصليبية في المشرق ، وان كانت تغلب فيه الناحية القومية : وكان من نتائج هذا الصراع أن اهتم المسلمون بالذود عن أراضيهم والدفاع عن كرامتهم فعمدوا الى تحسين وسائل دفاعهم وتفننوا في مناعتها فابتدعوا نظاما جديدة في التحصينات من ذلك « الأبراج البرانية » والمداخل ذات المرافق لتضليل الأعداء ومفاجأتهم •

ونود هنا تفسير كل العناصر المعمارية التي تتألف منها العمارة الحربية الاسلامية في الأندلس •

### الأسوار الأساسية « الستارة » :

كانت تحيط بالمدينة من جميع جهاتها لترد عنها هجمات الأعداء • وقد اتخذ المسلمون بادية ذي بدء النظام الرومانى في أسوارهم ، وهكذا بنوا أسوار مدينة اشبيلية وأسوار قصبة ماردة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط • كما بنوا أسوار مدينة الزهراء وأسوار حصن غرماج في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر •

وكانت مدينة قرطبة ، على حد قول الشريف الادريسي تتألف من

خمس مدن متتالية حوطت كل واحدة منها بستور فاصل وكان بناء هذه الأسوار بالأحجار على نحو الأسلوب الذى كانت تتبعه العمارة الرومانية من حيث طريقة توزيع الأحجار واعتدال خطوطها •

كان ذلك فى عهد الخلافة الأموية بقرطبة عندما ساد سلطان المسلمين فى شبه الجزيرة • فلما سقطت الخلافة الأموية واستقل كل أمير باماراته ، وبدأ عهد ملوك الطوائف ، شرع هؤلاء فى تحصين بلادهم • ويذكر المؤرخون أن سور اشبيلية بنى باللبن فى زمن الفتنة ، كما بنى كذلك سور قرطبة وقرمونة وبطليوس ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو العجلة فى حماية المدن من الغارات التى كان يشنها الطامعون من هؤلاء الملوك على المدن الأخرى المجاورة ، والرغبة السريعة فى سد الثغرات التى كانت تتخلل الأسوار السابقة ، كما يبدو ذلك فى سور اشبيلية الذى أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدمه سنة ٩١٣ م على يد سعيد بن المنذر المعروف بابن السليم ، رغبة فى منع المحاولات التى كان يبذلها أشراف المدينة للاستقلال عن السلطة المركزية فى قرطبة •

على أن تحسينات كثيرة أدخلت فى النظام المعمارى لبناء الأسوار الأندلسية فى عهد المرابطين « ١٠٩٠ م — ١١٤٥ » نتيجة حتمية للظروف السياسية التى كانت تحيط بهم وقتئذ • وقد وضعوا نصب أعينهم دفع التقدم الذى أحرزه النصارى فى عهد الفونسو السادس عند توسعه فى حركة الاسترداد القومى ، وقد ابتكر المرابطون نظاما جديدا فى تخطيط الأسوار ، ذلك أنهم عمدوا الى الاكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة متكسرة ، وميزة هذا النظام أن يترك الجند أعداءهم يتقدمون داخل احدى الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا • ويشبه هذا النظام الزمبرك اذا ضغط عليه ثم ترك ، اندفع بقوة فيصيب ما يقابله • وقد ظل هذا النوع من الأسوار قائما فى اسبانيا حتى آخر العهد بدولة الاسلام فى الأندلس •



ويتألف السور في الأندلس في أعلاه من درب يسير عليه المحاربون ويسمونه المؤرخون أحيانا بممشى السور ، وشرفات يقذفون منها سهامهم ، ودروات يحتمون خلفها • والدروات كتل قائمة تنتهى بشكل مخروطى ، ويتخلل جسم الدورة فتحات تساعد المحارب على النظر الى أسفل دون أن تصيبه أسهم الأعداء • وقد تبقى من أسوار المدن الأندلسية عدد كبير ما زال سليما في أكثر أجزائه ، كما هو الحال في أسوار غرناطة والمرية وقرطبة واشبيلية وطليطلة وشريش ومالقة وبطليوس •

### الأبراج :

### البرج المربع :

وكان يقوم بين مسافة وأخرى من الستارة أبراج أكثر ارتفاعاً منها بحيث تبرز الى خارج المدينة ، وكانت أغلب هذه الأبراج تتخذ شكلا مربعا كما هو الحال في أبراج حصن منتقوط بمرسية وأبراج سور اشبيلية وقرطبة وبعض أبراج غرناطة والمرية وقصبة مالقة وجبل فارو وجبل طارق • ويتألف البرج من نصفين : نصف أدنى مصمت ، ونصف أعلى وتشغله غرفة ، تعلوها في بعض الأحيان غرفة أخرى ، أعدت للدفاع وفتحت فيها منافذ السهام ويغشى الغرفة في أغلب الأحيان قبوات نصف كروية ، وكثيرا ما يمر الدرب في داخل البرج فيصبح ممرا تخطيه قبوات متعارضة ملتصقة • ويرتقى الراقون درجا في داخل البرج يفضى الى أعلى بحيث يشرف على الأسوار جميعها ، ويدور بأعلى البرج شرفات ودراوى هرمية الشكل ، وأبراج غرناطة كبرج الملكة وبرج قمارش وبرج الأسيرة قصور كسيت جدرانها بالزليج والزخارف الجصية الدقيقة وغطيت سقفها بأروع ما وصل اليه فن المقرنصات من تعقيد •

## البرج المضلع :

ليس البرج المضلع أو كثير الضلوع ابتكارا اسلاميا ، اذ أنه يرجع الى تقاليد فنية قديمة ، وقد عرفتة العمارة الرومانية • ومن أمثلة ذلك البرجان اللذان يجنحان باب قرطبة بمدينة قرمونة مئمتنا الشكل وأبراج مدينة قريجوس مسدسة الشكل ، والأبراج التي تحيط بقصر دقلديانوس بسبيطة والتي ترجع الى بداية القرن الرابع مئمتنا الشكل ، وهناك أبراج مؤلفة من اثني عشر ضلعا كما هو الحال في برجى بالاتين بتورين وهو من عمل الامبراطور أوجست ، وقد عرفت العمارة البيزنطية بالأبراج المضلعة وخاصة النوع السداسي مثل ذلك حصن سيزيك بأسيا الصغرى وحصن سن البرج في شمال أفريقية •

وقد تأثر المرابطون والموحدون بصفة خاصة — بالعمارة البيزنطية قشيدوا أبراجا مسدسة الشكل — كالبرج المسدس المنعزل في حصن العقاب ( لاس نافاس دي تولوسا ) بالقرب من جيان ، والبرج المطل على قنطرة القاضى بغرناطة • وقد استعمل الموحدون البرج المئمتن على نحو منظم في بناء أبراجهم ( البرانية ) وهو تعبير أندلسي نبعت عن الأبراج الخارجية عن نطاق السور • وما لبث أن شاع هذا التنوع في المدن التي تقع على الحدود بين المسلمين والنصارى مثل مدينة القصور وبطليوس • كما استخدموا أبراجا مؤلفة من اثني عشر ضلعا كما هو الحال في برج اسبانتا بروس بيطليوس وبرج الذهب بأشبيلية • وفي مدينة لبلة برج كثير الأضلاع يعرف ببرج الذهب • وقد شاعت الأبراج المئمتة في الأندلس كما نشاهده اليوم في مدينة شريش وشتمرية •

والبرج المئمتن يفضل بكثير عن البرج المربع من وجهة النظر الدفاعية ، اذ أنه بكثرة ضلوعه يمكن المدافعين من التحرك في كافة الجهات والزوايا • على أن البرج المستدير هو أفضل هذه الأبراج

لاستدارته وسهولة الانتقال في أجزائه • ومن هذه الأبراج ما نراه اليوم في الأبراج التي تحيط بالبيازين في غرناطة •

### البرج البرانى :

لما اشتد الخطر المسيحى على المدن الأندلسية ، ابتدع الموحدون نوعا جديدا من الأبراج تسمى « الأبراج البرانية Torres Albarranas » قصد بها تدعيم الستارة ، اذ أنه يقع عادة خارج الستارة ويربطه بها ستارة أخرى تسمى قورجة (١) Coracha لتغلق الطريق أمام الأعداء في أضعف أجزاء السور • وهكذا أقيمت الأبراج البرانية بمدينة بطليوس وطلبيرة وماردة وقلعة جابر • وهذا اللفظ مشتق من كلمة برانى ويدل على الأصل الاسلامى لهذا النوع من الأبراج ولاشبات ذلك يكفى أن يلاحظ أن أقدم هذه الأبراج هى أبراج قصبة بطليوس وحصن القصور اللذين يرجعان الى عصر الموحدين • وليست لدينا أمثلة أخرى منها فى فن العمارة البيزنطى أو العمارة الاسلامية بالشرق • وترجع الأبراج البرانية الى عصر الموحدين وتتخذ اما الشكل المربع أو الشكل المثلث كما هو الحال فى أبراج قصة الموحدين ببطلليوس وأسوار مدينة استجة وقلعة جابر • ولكن البرج البرانى المثلث يمتاز على البرج البرانى المربع بأنه أكثر منه مناعة وأكثر حصانة اذ أن جوانبه ضعف جوانب البرج المربع وان كان البرج المستدير أفضل من هذين النوعين • ولم يستعمل الموحدون البرج المستدير لأن بناء الأبراج المربعة والمثلثة بالملاط والأحجار أسهل من بناء الأبراج المستديرة • وقد شاع بناء هذه الأبراج الأخيرة فى شمال افريقيا فى قلعة أمرجو ورباط وهما من عصر المرابطين • ومن أمثلة الأبراج البرانية باشبيلية

---

(١) قورجة اصطلاح مغربى يطلق على أسوار متفرعة من الاسوار الأساسية وتنتهى بأبراج برانية •

برج الذهب وبرج الشرفة وببطلْيوس برج اسبانتا بروس ، ويرتبط برج الذهب الستارة الأساسية عن طريق قورجة لم يتبق منها اليوم أى أثر ، وأصبح البرج منعزلاً عن حافة نهر الوادى الكبير .

### السور الأمامى « الحزام البرانى أو البربخانة » :

أتاحت الحروب المستمرة التى قام بها البيزنطيون العناية بالعمارة الحربية للدفاع عن مدنهم . وكانت أسوار هذه المدن تتألف من ستارة أساسية تدور حول الحصن أو المدينة ثم سور أمامى آخر أقل من السور الأساسى ارتفاعاً يبعد عنه بمسافة تعادل ربع ارتفاع السور الأساسى ، ويحيط هذا السور الأمامى بالأبراج ويدور حوله حفير أو خندق . وكان المسلمون فى اسبانيا يشاهدون هذا النظام المعمارى الفريد فى إعجاب وما لبثوا أن أقبلوا على تقليده . ويذكر مؤرخو العرب بداية استعمال هذه الأسوار الأمامية منذ القرن العاشر الميلادى . غير أن الدلائل المادية تشير الى أن استعمال المسلمين لهذا النوع من الأسوار بدأ فى عهد المرابطين بشمال أفريقيا كما هو الأمر فى قلعة أمرجو ، ويعتقد « تراس » أن السور الأمامى من أصل مسيحى .

وقد أحس الموحدون بأهمية هذا النظام فى تحصيناتهم . إذ أن السور الأمامى يمنع العدو المهاجم من شن هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية ويعطل من تقدمه لفتح الثغرات التى يمكنه أن ينفذ منها داخل المدينة ، وهكذا اهتم أبو يعقوب يوسف بتحصين قلعة جابر التى كانت تعتبر المركز الدفاعى الأمامى لمدينة اشبيلية وحصنها . كما أنه شيد الأسوار الأمامية لقصبة بطليوس المنيعه ويغلب على الظن أن الموحدين أقاموا الاسوار الأمامية لقصبة بطليوس المنيعه ويغلب على الظن أن الموحدين أقاموا الأسوار الأمامية فى جيان وشريش والجزيرة الخضراء وبسطة ولوشة ومالقة . أما سور اشبيلية الأمامى فقد شيده الخليفة أبو العلا



اتريس المأمون بن أبي يعقوب يوسف سنة ٦١٨ هـ «١٢٢١ م» وحفر  
حوله خندقا • وقد تبقت من هذا السور الاشبيلي أجزاء هامة تبدأ من  
باب المقارنة حتى باب قرطبة •

### الأبواب ذات المراقق :

كان يتخلل الأسوار أبواب تصل داخل المدينة بخارجها ، وكان  
النظام البيزنطى لهذه الأبواب هو عقدان متقابلان أحدهما يفتح الى  
الداخل والآخر يفتح الى الخارج • وقد ابتدع المرابطون نوعا آخر  
من هذه الأبواب هو الأبواب ذات المراقق وتعنى بذلك أن الممر الواصل  
بين فتحتى الباب ينحني بزاوية قائمة في شكل المرفق وتمتاز هذه  
الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات وقد عقد  
الموحدون من هذا النظام إذ أنشأوا أبوابا مرافقها مرتوجة ، ولم  
يسقوا هذه الممرات حتى يتيح الفرصة للجند بالانصراف من على  
المهاجمين وقدقهم بالتبال والتار الاغريقية يصبونها عليهم صبا • ومن  
هذه الأبواب ذات المراقق نذكر باب de los Pesos بعرتانة وباب  
Monaita بهذه المدينة ويرجعان الى عصر المرابطين ، وباب قرطبة  
باشبيلية ، وباب مدينة لبلة ويرجعان أيضا الى عهد المرابطين •

ومن عهد الموحدين يرجع باب Capitól وباب الزائدة Apendice  
ببطليوس • أما الأبواب ذات المراقق الثلاثة فتوجد بمراكش مثل أبواب  
قنصة الأودية برباط • وقد اتبع ملوك بني نصر النظام الموحدى  
المتدلى للأبواب ذات المرفق الواحد كما هو الشأن في باب العدل أو  
باب التشريعة بحمراء غرناطة •

هذه نظرة سريعة موجزة عن بعض وسائل الدفاع المدنى الاسلامى  
فى الأندلس فى العصور الوسطى ويمكن أن نستنتج منها مدى ما وصلت

اليه العمارة الحربية الأندلسية من تقدم يفوق نظيراتها في المشرق  
الاسلامى •

وتحتفظ الأندلس في وقتنا هذا بآثار هائل من الحصون والقلاع  
الاسلامية التي تنطق بالدور الكبير الذي قامت به ، كما تعبر بقايا  
الأسوار والأبراج عن الجهاد المرير الذي قام به المسلمون للاحتفاظ  
بوطنهم والدفاع عن شرفهم وكرامتهم • وقد ظلت هذه العناصر  
المعمارية الاسلامية مثلا يحتذى للعمارة المدجنة والمسيحية حتى عصر  
النهضة حين فقدت التحصينات من قيمتها الدفاعية القديمة على أثر  
ما ابتكرته الحروب من آلات حربية جديدة كالمدافع والمتفجرات •

---

\* المدجنة نسبة الى العناصر العربية التي خضعت تحت نفوذ النصارى  
وبقيت في حمايتهم •



## فهرس الموضوعات

مقدمة .. .. . ٧ — ٥

الفصل الاول .. .. . ٤٥ — ٨

### المساجد

أولا : المسجد الجامع بقرطبة .. .. . ٢٩ — ٨

ثانيا : المساجد الاندلسية في

عصر الدولة الاموية وعصر ملوك الطوائف .. .. . ٣٧ — ٢٩

ثالثا : المسجد الجامع بقصبة اشبيلية .. .. . ٤٥ — ٣٧

الفصل الثاني .. .. . ١٣٨ — ٤٧

### القصور

١ — القصور الاندلسية في عصر الدولة

الاموية وعصر ملوك الطوائف .. .. . ٦٩ — ٤٩

٢ — قصور اشبيلية في العصر الاسلامي .. .. . ١٣٩ — ٧٠

٣ — قصور الحمراء بغرناطة .. .. . ١٥١ — ١٤٠







آرامگاه شاهان صفوی در تبریز



درگاه باب مردوم



زخرفة لولبية تزين احدى خاصرتي عقد بجامع اشبيلية



بهو الريحان قصر الحمراء







گورستان قباقران، قزوین، ایران



باب الفيز بقرى الحمراء



عقود دار الجند بقصر الزهراء





قصر الحمراء في غرناطة



قبة نجمية تعلو قاعة بنى سراج بقصر السباع ( غرناطة )







العقود ثلاثية الفتحات بالقاعة الرئيسية في بقبة مالقة

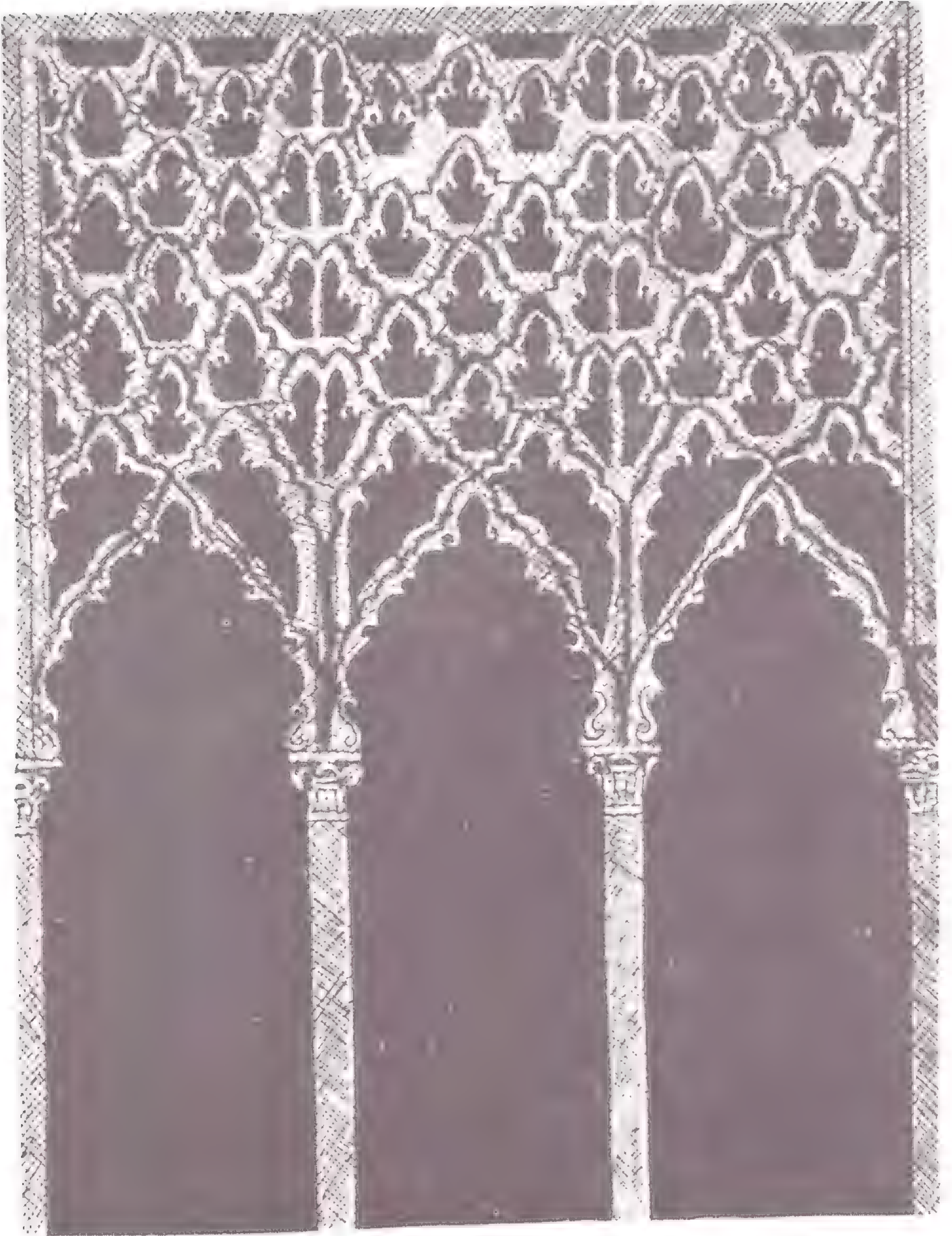




تأصيلات زخرفية بمنظرة دار عائشة بقصر قمارش غرناطة

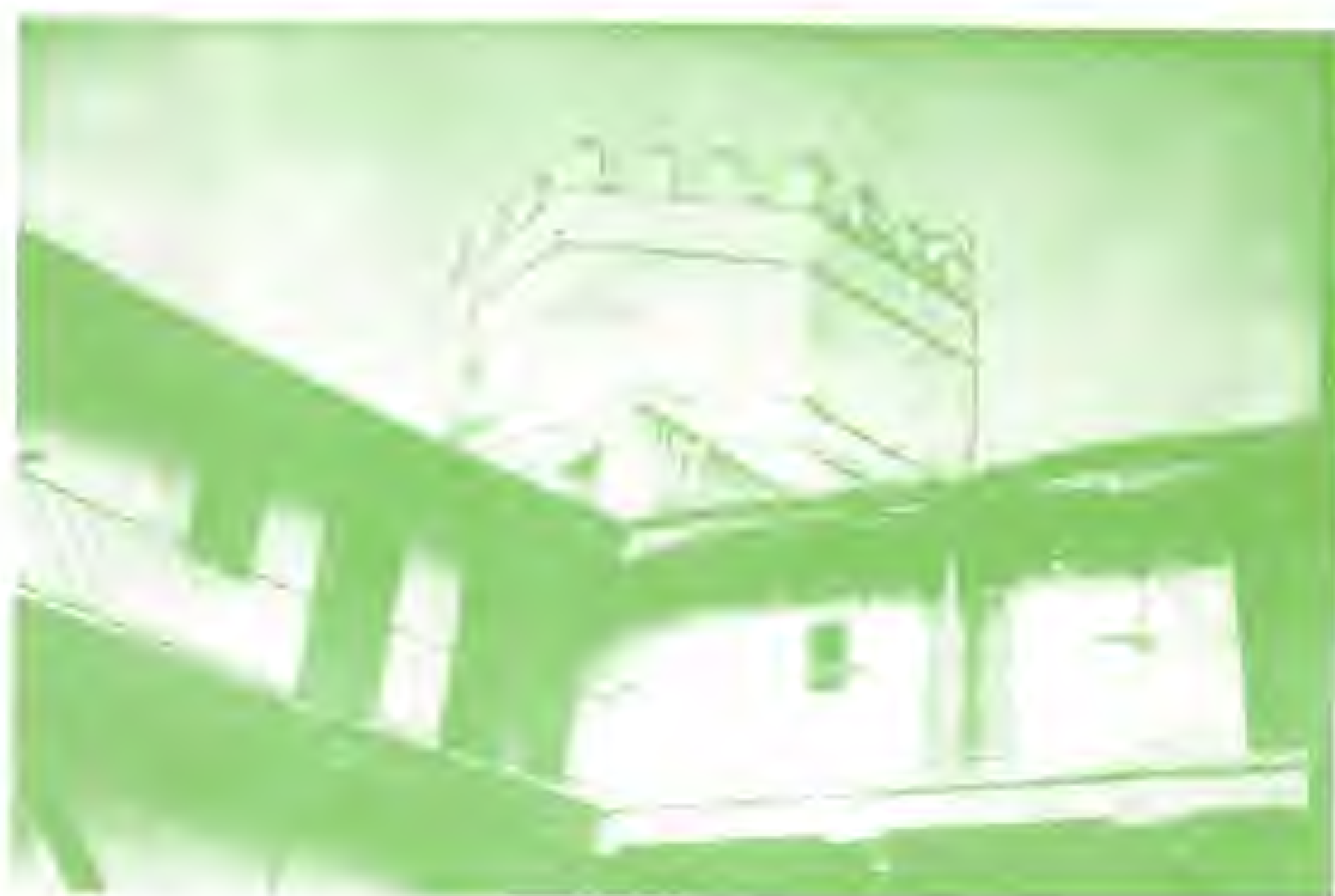


قطاع من أسوار اشبيلية



تفصيل لشبكة المعينة التي تكسو عقود بهو الحصن بقصر اشبيلية







الداخل من باب المدخل





منظر قاعة السفراء





المتحف الوطني للفنون الإسلامية في الرياض







قصر الحمراء بقرطاج



جانب من احدى البلاطات بقصر الخليفة ( مدينة الزمراء )



عنقود به عصبية مائقة



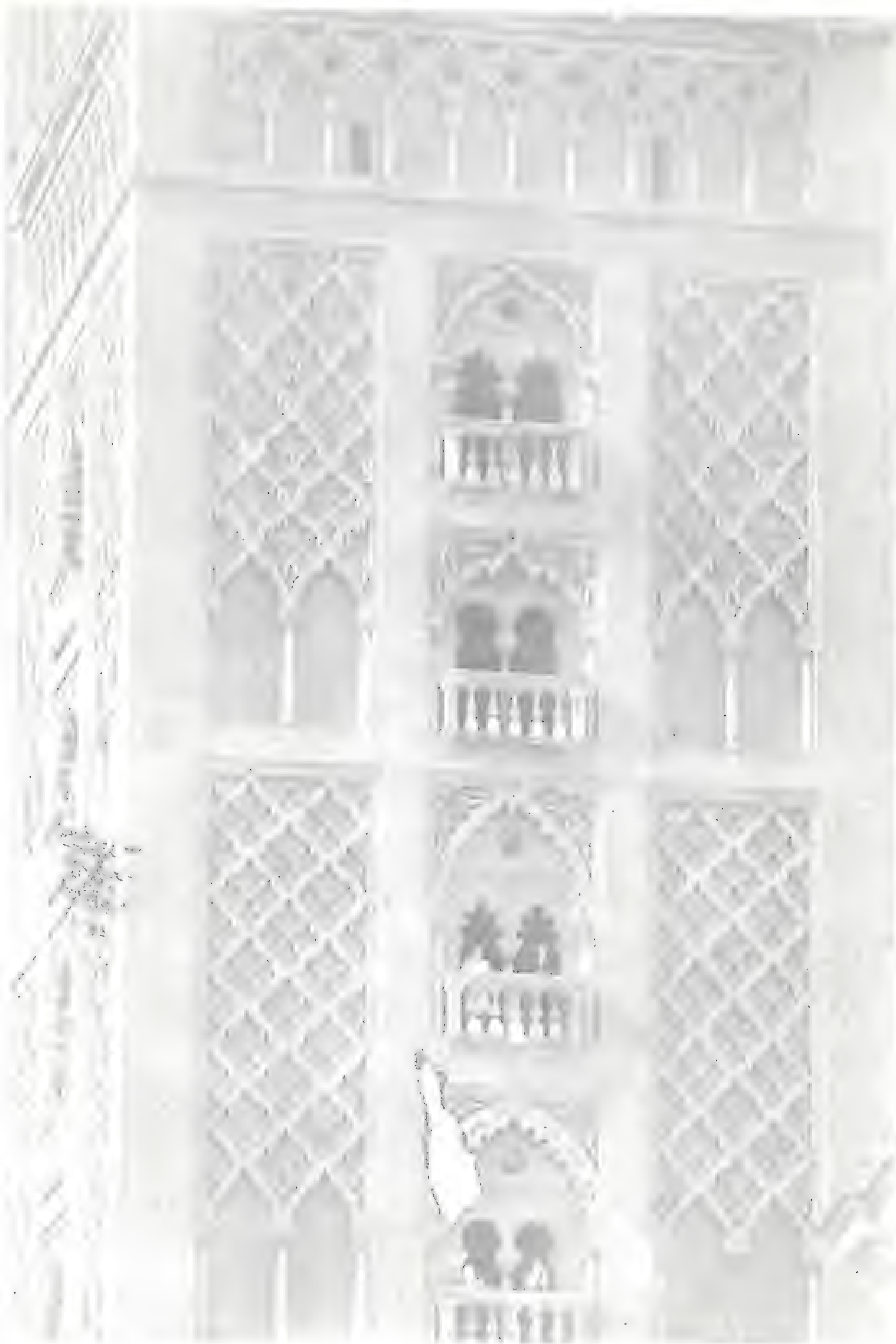
قاعة الملوك بقرية السباع بغرناطة







برج الذهب باشبيلية



جانب من واجه صومعة المسجد الجامع باشيبي







باب المدخل بقاعة السفراء المطله على بهو الريحان  
( قصر الريحان بغرناطة )



مدرسة البنات في القاهرة



THE BUREAU OF THE ARMY



THE BUREAU OF THE ARMY



بهو الشور ( قصر الحمراء )





بهو السباع بقصر الحمراء غرناطة



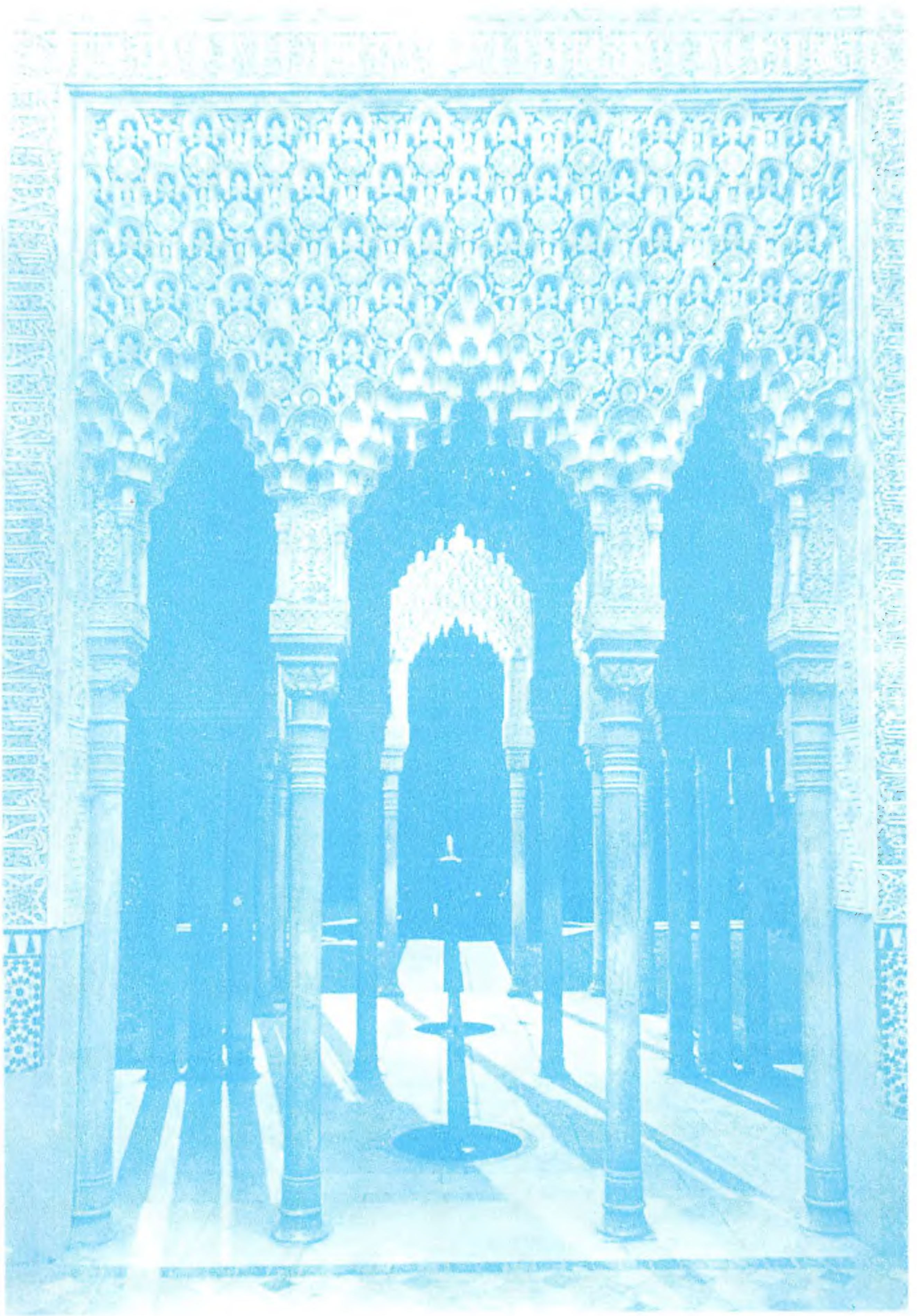


هو الحصن لقصر اشيلية









قاعة تطل على بهو السباع بقصر الحمراء